الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد السادس والخمسون ـ السنة الخامسة ـ شعبان ١٤٠٥هـ نيسان (أبريل) ١٩٨٥م

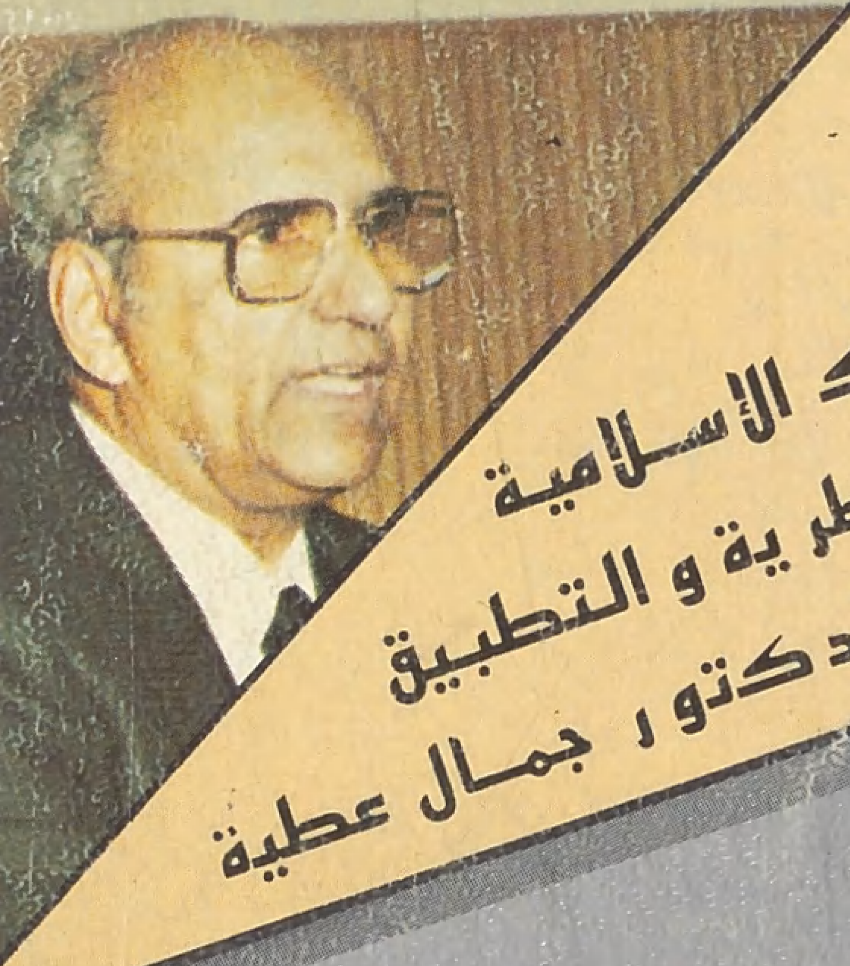

البنوك الإسلامية
بين النظرية والتطبيق
حوار مع الدكتور جمال عطية

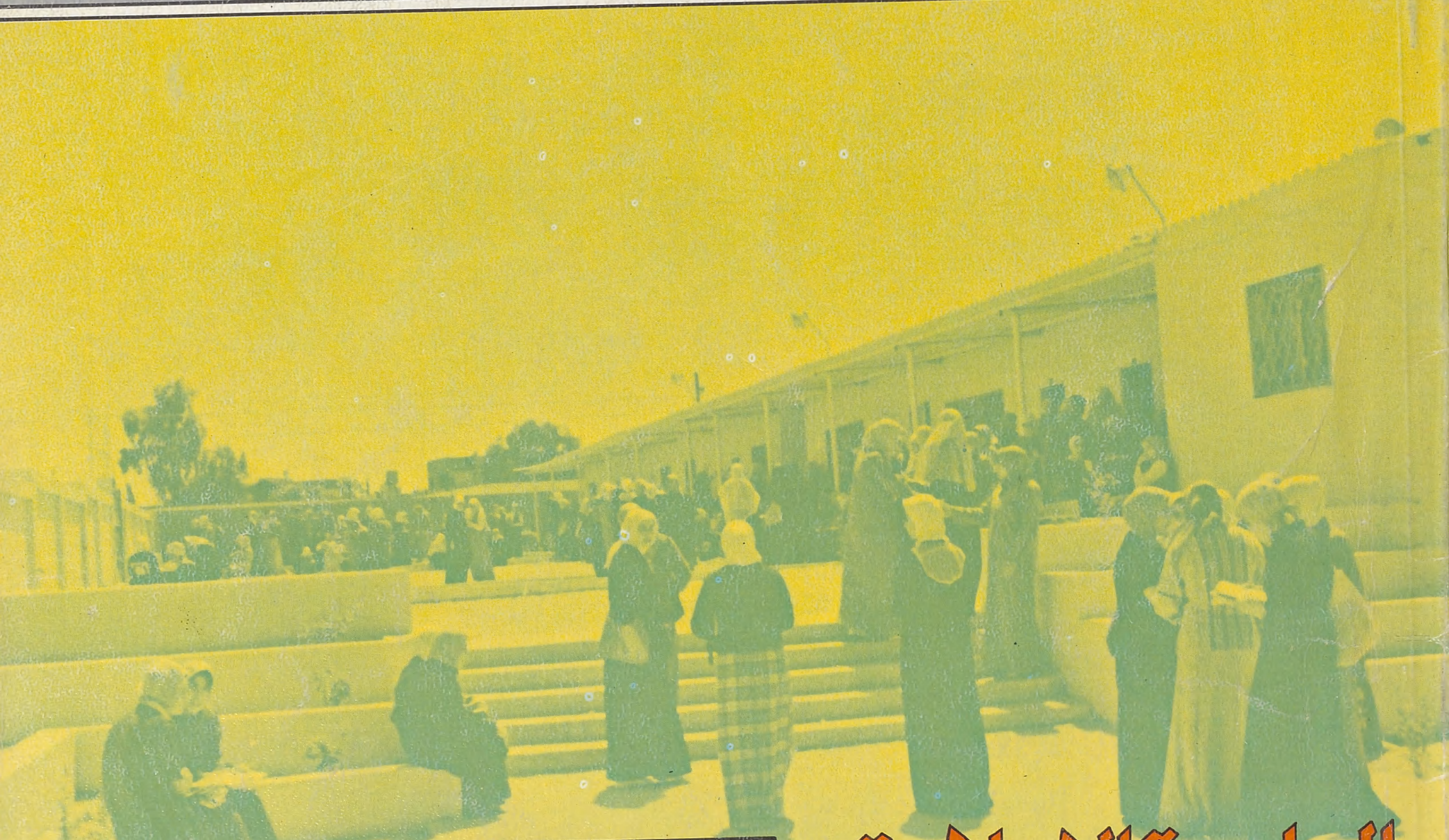

الجامعة الإسلامية في غزة

ودورها الفريد في العالم الإسلامي

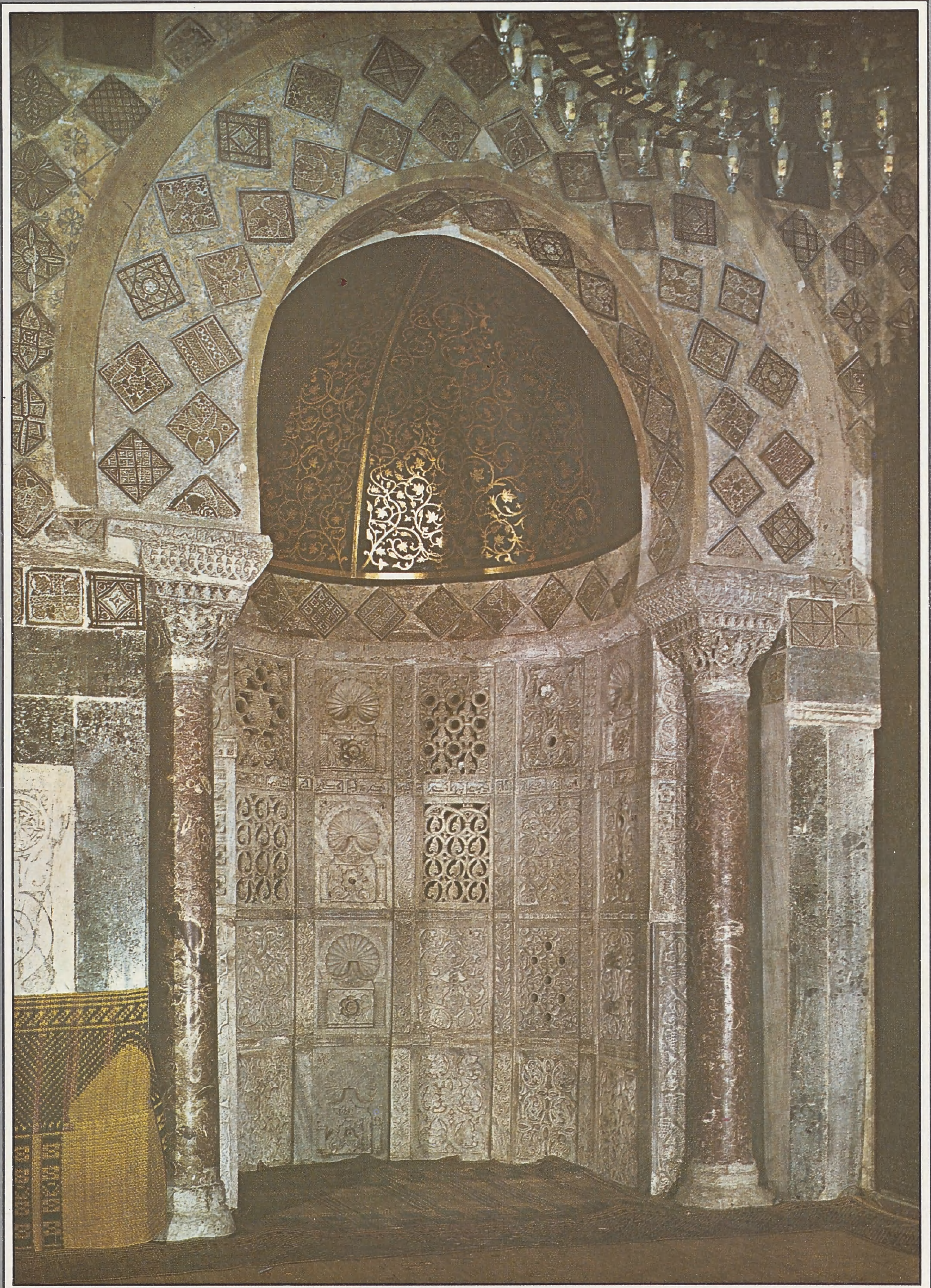

محرابُ جامع عُقبة بن نافِع ـ القيروان ٨٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

126659645

الأمة
Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

مع العصر

كتاب الأمة العاشر
التراث والمعاصرة

■■ لا شك أن مشكلة التراث والمعاصرة ، أو ما يعبر عنه بالأصالة والمعاصرة ، قضية لا تزال مطروحة في حياتنا الثقافية منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريباً ، الذي حمل معه - إضافة إلى المواجهات العسكرية التاريخية - مواجهة من نوع آخر ، إنها المواجهة الحضارية الشاملة التي جاءت بها أوروبا إلى بلادنا حاملة معها نواتج نهضتها ، ووسائل تقدمها كلها إضافة إلى اعتقادها أن حضارتها وقيمها هي المقياس الوحيد لكل نهوض وتقدم ، تؤمن بذلك وتبشر به في عالمنا الإسلامي الذي أصيب بهذه الصدمة الحضارية ، وعاش حالة الانبهار التي أفقدته القدرة على التميز والرؤية الصحيحة بعد أن توقف العقل المسلم عن الإبداع والعطاء ، وخرجت الأمة المسلمة من الساحة وافتقدت الفاعلية الحضارية ، وخيم عليها الركود ، وسادها مناخ التخلف ، وأصبحت القضية المطروحة على العقل المسلم بإلحاح : كيف نواجه التحدي ونواكب العصر ؟..

إن النهوض لا يمكن أن يتحقق بالاقتصار على رؤية الماضي والافتخار به كبديل عن ممارسة تغيير الواقع ، كما لا يمكن في الوقت نفسه أن يتحقق باستيراده من خارج أفكار الأمة وقيمها .

والحقيقة البادهة : أن لا معاصرة دون أصالة ، ولا أصالة صادقة دون معاصرة فاعلة ، فالماضي بالنسبة للأفراد والأمم هو الذاكرة المصاحبة دائماً التي يختزن فيها الإنسان تجاربه وعبره ، ويوظف دروسها لحاضره ومستقبله ، ويورثها أولاده وأحفاده ، ويمكِّنه حضورها الدائم من الحكم على المستجدات على ضوء تلك التجارب ... والبون شاسع بين العاقل الذي يعتبر بماضيه بما فيه من دروس وعظات لحاضره ، وبين الأحمق مطموس الذاكرة الذي لا يمكن إلَّا أن يكون عبرة لغيره ، فالحاضر جزء منا ونحن جزء منه ، رضينا بذلك أم رغبنا عنه ، وكذلك الماضي هو جزء منا ونحن نسغ ممتد منه ...

وقد يكون من الأمور المطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى ، الانتهاء إلى تحديد واضح لمفهوم التراث ، ووظيفة التراث بعد التميز في التعامل بين أحكام العقل وأحكام الوحي ، كما لا بد في الوقت نفسه من تحديد مفهوم المعاصرة في إطار الفكر الإسلامي ، وأن من أوائل شروطها : القدرة على هضم التراث واستيعابه ، واستيعاب تطور شبكة العلاقات الاجتماعية ، وتبدل وظائف الدولة الحديثة وامتداد سلطانها ووسائلها ومؤسساتها ، ومفرزات الحضارة الحديثة التي تنتسب إلى أصول غير إسلامية ، ومن ثم القدرة على تنزيل الإسلام على واقع الناس ، أو المحاولة من أهل التخصص لوضع الأوعية الشرعية المعاصرة لاستيعاب حركة الناس ، وبمعنى آخر : البدء بالممارسة الإسلامية بعد أن تجددت ذاكرة المسلمين تجاه دينهم ، وتحقَّق الانتماء ، وانتهت مرحلة تحقيق الذات ... ■■

[من تقديم الكتاب]

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	٤٦٦٢٢٢
رئيس التحرير	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	٤٤٧٣٠٠
قسم التوزيع والاشتراكات	٤٦٦٢٨٥
تلكس	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	الأمة الدوحة
ص . ب	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 466222	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Distribution and Subscribers Dept.	466285
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA
Mailing Address:	P. O. Box 893 DOHA QATAR

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صـورة الغلاف

■■ عندما تُحتل الأرض ، ويتحكم بالناس عدو غايته : تدمير حضارتهم ومقومات وجودهم تمهيداً للقضاء على وجودهم ذاته ، تزداد الحاجة إلى وجود مؤسسات تعليمية تربوية تحفظ على الأجيال هويتها ، تقدم لها الحصانة الثقافية التي تمنعها من الذوبان ، تواجه التحدي الحضاري بتحدٍ مثيل تؤكد فيه على القيم التي هي ألزم ما تكون للإنسان في مثل هذه الحالة ، تنطلق من فلسفة واضحة متميزة تشكل الحافز للعقل وحركة الإنسان الذي هو ليس آلة تعمل من الخارج ، وإنما يأتي سلوكه نتيجة معطيات ذاتية كامنة ؛ تحاول أن تتجنب أخطاء مرحلة ما قبل الاحتلال التي قد تكون مهدت ، بوعي أو بغير وعي ، لهذا الاحتلال الجاثم على الصدور .. ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ مؤسسة ناصر علي ناصر المفرجي للتجارة	ص . ب ٢٧٦١٥ بهلاء سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.
امريكا	ALMIHGER	408-B LOCUST STREET COLUMBIA, MO 65203, USA

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار أمريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الامريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــــة الأمـــــــــة ٤

● (قضيـــة للمناقشـــة) :
أيـن الخلل ؟ وقفة مع الحركة الإسلاميـــة [٢] ....
الدكتور يوسف القرضـــاوي ٨

● من أحكام قصر الصلاة ... فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ١٤

● بطاقــة من قـــارىء ١٦

● القصة القرآنية والأدب الإسلامي .... الدكتور نجيب الكيلاني ١٧

● حاجة العصر ومسؤولية الأمـــة فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي ٢٠

● حديقـــــة الأمــــــة ٢٤

● الدور التربوي لوسائل الإعلام .... حسن فضل المولى دفع الله ٢٦

● تنصـــير قبيلة الفولاني في غربي أفريقيـــا ....
إعــداد : عبدالرحمن أحمد عثمان ٢٩

● وبـه يتيـه على الزمـان (شعـــر) .... يحيى برزق ٣٢

● حتى لا يعصى أمر الله .... ربيعة عمر السارح ٣٣

● كلمـة حول تعبيرات خاطئة .... بدر الحسن القاسمي ٣٤

● العلـم والحيـــاة :
نعمــــة المـــــاء .... توفيق يوسف القيسي ٣٦

● مكتبـــة الأمـــــة ٤٢

● في الاقتصــــاد الإســـلامي :
البنـــوك الإسلاميـــة بين النظريـــة والتطبيق ....
في حوار مع الدكتور جمال عطية ٤٤

● (اســـــتطلاع) :
الجامعة الإسلامية في غزة ودورها الفريد في العالم الإسلامي ......
إعـداد : إسماعيل الكيلاني ٥٢

● أعـد النظـر : تعقيب على مقـال « في الأدب الإسـلامي » ...
حمـادة عبد القادر ٦٠

● (نـــدوات ومؤتمـــرات) :
نظرات في مناهج علمـــاء الحديث وكتبهم ....
الدكتور همـام عبد الرحيم سعيد ٦٤

● حضـارة وحضـارة (شعـر) .... محمد التهامي ٦٧

● (الأســرة المسلمـــة) :
الطفولة بين شراسة الهدامين ورحمة الإسلام ...... عبد القادر عبَّار ٦٨
قضيـة في رسـالة ٧١

● مع إمام النحو : ابن مالك الأندلسي الدكتور حسن موسى الشاعر ٧٢

● تآلف القلوب في نهج القرآن .... عبدالغني احمد ناجي ٧٤

● التحديات المستقبلية للفكر التربـوي الإسـلامي ....
الدكتور سعيد إسماعيل علي ٧٦

● بريــد الأمـــة ٨١

● بأقـــلام القـــراء ٨٤

● شـؤون المسلمـين في العـالم ٨٦

● مـع الصحافـة في العـــالم ٩٢

● مسابقة العدد السادس والخمسيـن ،
وحل مسابقة العدد الرابع والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤

● (خواطـــر وأفكـــار) :
الزاد الثقـــافي والقتلة المجرمون .... ناهد عمرو سليمان ٩٦

حاجـــة العصــــر ومســؤولية الأمـــة

■ إنَّ كسرى فارس ؛ يزدجرد ، آخر ملوكهم ، لما خرج من المدائن وقد أيقن بزوال ملكه أخذ معه ألف طاهٍ ، وألف مغنٍ ، وألف مربٍّ للصقور ، وكان يرثي لنفسه ، ويقول : يا حسرتاه ، ما أخذت شيئاً ، كيف أعيش في هذه القلة القليلة من الخدم والحشم ؟ إلى هنا بلغت المدنية الفارسية المزوّرة المصطنعة التي قامت على دماء الفقراء وعلى عرق الفلاحين ، لذا جاء قول ربعي بن عامر رضي الله عنه وهو يبيِّنُ سبب خروج المسلمين لفتح بلاد فارس : « إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شـــاء ... من ضيق الدنيا إلى سعتهـــا » .... (ص : ٢٠) ■

تنصـــير قبيلـــة الفـــولاني

■ ركَّز المنصِّرون جهودهم على قبيلة الفولاني لأنها أذكى القبائل في أفريقيا قاطبة ، وللدور الذي يمكن أن تؤديه لمصلحة التنصير في القارة الأفريقية كلها ، فضلاً عن جهل أفرادها بأساسيات الإسلام الذي يتجلىٰ بغياب الممارسات الإسلامية في أوساط الشباب منهم خاصة ؛ لما يقع عليهم من عبء الرعي والإشراف على الأبقار ، فلا يجدون سبيلاً إلى التعليم حتى مرحلة متأخرة من حياتهم ، وهذا مما يسهل على المنصرين مهمتهم ويقربهم من هدفهم .... (ص : ٢٩) ■

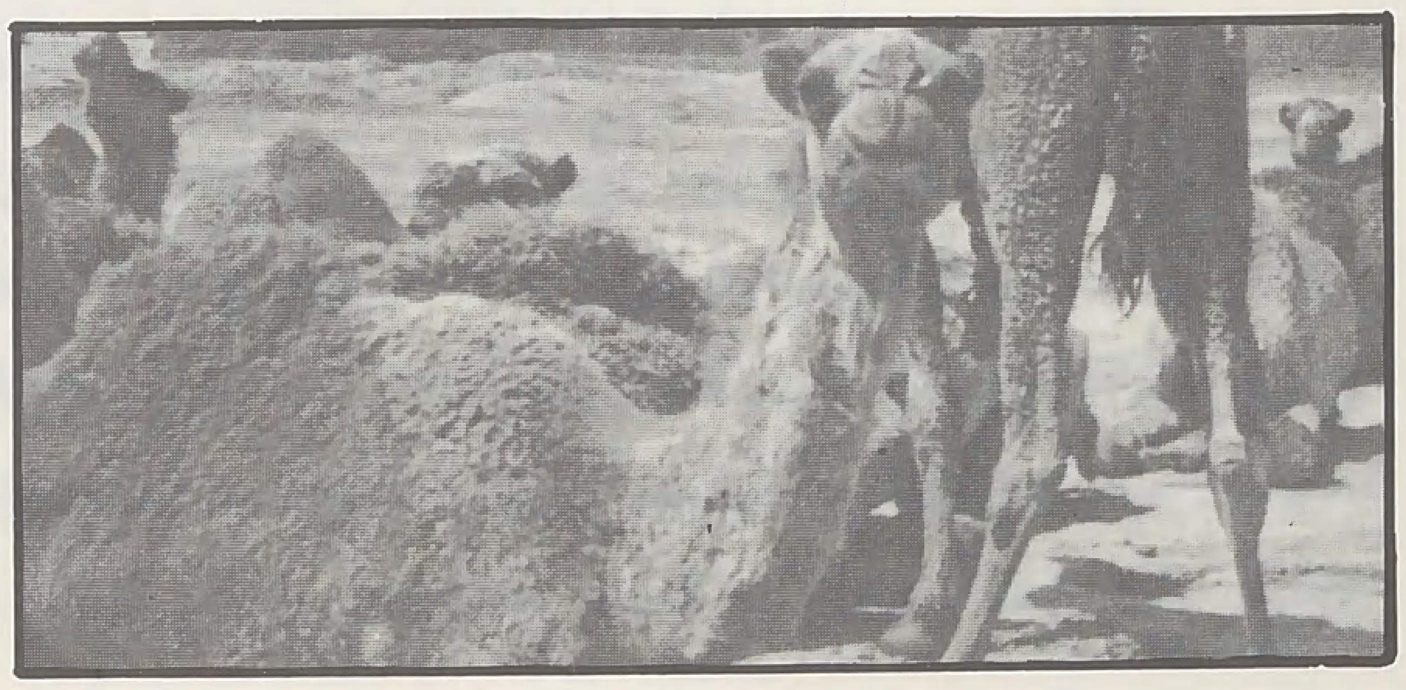

نعمـــــة المـــــاء

■ كيف لا يكون الماء نعمة من الله كبرى ، وهو الذي يحمل الحياة في عروقنا ، يمد بها كل خلية من خلايانا ، صغرت أم كبرت ، وخلايا كل المخلوقات الحية حولنا ؟ كيف لا يكون نعمة وهو الذي يخلص أجسامنا مما بها من شوائب وسموم ، والذي يهبنا النظافة ، ويؤمن لنا الغذاء والدواء ؟ كيف لا يكون نعمة وبه تخضرّ الأرض ، بجنات لا حصر لها ولا عدّ ، والتي عليها نعيش ونحيا ، وكذلك الأنعام تفعل ؟ .... (ص : ٣٦) ■

كلمة الأمة

المسلمون: بين صواب الهدف

□□ الهاجس الدائب الذي يؤرق المسلم ، والتحدي الذي يواجهه عندما يستشعر حدود مسؤوليته وأبعاد الأمانة التي حُمِّلها بعد أن أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ، أو ما يسمى في المصطلحات الحضارية اليوم : القلق السوي الذي يطارد الإنسان الفاعل ، ويدفعه ويحرضه ، وينمي شعوره بالتناقض الحاد بين واقعه المعاش وقيمه التي يعمل على تجسيدها في حياته وحياة الناس لإلحاق الرحمة بهم وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ... إن هذا الهاجس أو هذا القلق هو المهماز الحضاري ، وهو أساس كل تغيير في العصور كلها ، يبدأ الإحساس به داخل النفس ، ومن ثم يستفيض ويمتد فيصوغ السلوك ، ويكوّن الأخلاق ويحكم علاقات الإنسان الخارجية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) □□

فإذا ما غاب هذا القلق على مصير الناس وما انتهوا إليه ، وانطفأت تلك الفاعلية ، وانكفأ الفرد على ذاته ، وقدست الأمم والجماعات أفكارها وتاريخها واسترخت ولم تحاول الصعود ، بدأت مرحلة السقوط الحضاري ، وخمدت جذوة الإيمان التي تمد بالطاقة لمتابعة المسير : إن هذا الهاجس هو الإيمان الذي يُشعر الإنسان بالتحدي من حوله ، ويهديه إلى وسيلة الدعوة الناجعة وسلاح المواجهة المؤثر ، وإلى مراجعة رصيده من الأفكار والوسائل حيث لا بد من الاستجابة لسنة الله في التغيير وتطوير الوسيلة في الدعوة ، وتنويع أسلحة المواجهة أيضاً طبقاً لطبيعة الظروف وطبيعة العدو والإمكانات المتوفرة .

ونسارع إلى القول : إننا لا نطلب الإتيان بالمعجزات في نطاق العالم الإسلامي ، أو العاملين للإسلام ، وإنما المطلوب حقاً هو حسن توظيف الإمكانات الموجودة فعلاً لتحقق أفضل مردود ، وجعلها قادرة على هزّ العالم الإسلامي وتحريك بِركِهِ الراكدة ، والتأصيل لسنن المدافعة في الأرض ، والاستفادة من الخبرات كلها التي تحقق الحماية للمستضعفين وتستنهضهم ليؤدوا الدور المنوط بهم ...

لذلك يبقى المطلوب دائماً - أو الهاجس الدائم كما أسلفنا - في المواقع المختلفة وعلى الأصعدة كلها : إعادة النظر والقيام بعمليات المراجعة لوسائل العمل وطرائق نشر الدعوة ، ومستلزمات البلاغ المبين : بعد أن استقر في وجدان المسلمين أن القيم الإسلامية هي الحق المحض ، وساروا أشواطاً طيبة على طريق الالتزام ، وتجدد انتماؤهم للإسلام ، وهو ما أطلق عليه اسم « الصحوة الإسلامية المعاصرة » والإسلام محض حق ، والحق يعلو ولا يُعلى عليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء : ١٤١) والمنطق الطبيعي يقضي بأن ينتصر أهل الحق على أهل الباطل ، والابتلاء بالهزيمة في بعض الجولات إن تحققت فيها العبرة والدرس والسداد لا تخرج في النهاية عن إطار النصر ، لكن الواقع اليوم في كثير من بلدان العالم الإسلامي لا يتحقق فيه ذلك بالقدر المطلوب ، أو بالمساحة المطلوبة ، فالمسلمون مهيضو الجناح ، والبلايا تتتابع على عالمهم ، والإخفاق يترافق مع حركاتهم ، الأمر الذي قد يعرض القيم الإسلامية ذاتها عند بعض الناس للاهتزاز أمام هذا الاختبار الميداني الصعب : ويعرض نفوس بعضهم للإحباط والانكسار ...

وأمام هذا السيل الجارف من الفتن كان لا بد من التسليم ابتداءً بأن هذا الفشل والانكسار الذي تعاني منه بعض جوانب العمل الإسلامي اليوم إنما يتمركز في الوسائل ذاتها التي قد تكون أصبحت غير مجدية في هذا العصر ، أو قد تكون مخطئة في كثير من الأحيان ، فكثير من المسلمات التي مضى عليها زمن طويل لم تناقش ، ولم تراجع ، وأقل ما يقال فيها : إنها لم تحقق الأمل المرجو منها فهي مدفوعة بالواقع الذي نعاني منه ، فالخطأ والخلل لا يمكن أن يخدم الحق ويوصل إليه .

فالسقوط والفشل والهزائم ، التي هي من عند أنفسنا بسبب من وسائلنا المخطئة أو غير المجدية في نصرة ديننا لا بسبب منه ، لا يجوز أن تمتد لتصيب القيم ذاتها ، وتنسحب عليها ،

وخطأ الوسيلة

وكان الأجدر بنا أن نراجع حساباتنا ، ونختبر صحة وسائلنا لنحدد مكان الخلل وصور الخطأ التي أوصلتنا إلى هذه النتائج حتى لا نقع فيها مرة أخرى ، لا أن يحملنا تتابع الإحباط والانكسار إلى أن نتهم المبادىء والقيم فنلجأ إلى محاصرتها وتحنيطها باسم المعاصرة ، أو تمييعها باسم الواقعية ، أو إبعادها باسم انها دعوة مثالية لا يمكن تطبيقها اليوم ، أو تقييدها باسم المصلحة ، أو استبدالها بحجة تَبَدُّل الأعراف وتحت عنوان : لا ينكَر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان : وقد يتطاول بعضنا أكثر ، فيلقي بمسؤولية فشله على القدر إن لم يجد جهة خارجية يلقي بالتبعة عليها ، فالمهم ألَّا نعترف بأخطائنا ولو أدَّى بنا ذلك إلى التضحية بالقيم التي نعتقدها ، ومخالفة كل منطق ، ومغايرة طبائع الأمور .

ويكاد الإنسان يلمح لهذا الأمر بعض المعالم الهادية في غزوة أحد ، حيث كان سبب الهزيمة : الخطأ في الوسيلة وليس الخطأ في القيمة والمبدأ ، فعلى مستوى العقيدة ، والقيم والانتماء قال تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) .

أما على مستوى الوسيلة التي أخطأناها فأوصلت إلى الهزيمة وانتصار الكفر على الإيمان في هذه الجولة ، فكان قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٦٥) .

إن الهزيمة في أحد هزَّت القيم ذاتها عند فئة فانقلبت على أعقابها ، ودعت غيرها إلى اللحاق بدينها الأول أو كادت ... كانت هذه الفئة عاجزة عن تحديد موطن الخطأ حيث إنه في الوسيلة التي كانت سبب الهزيمة (العدول عن أمر القائد والطمع في الغنيمة ، وليس في نصرة العقيدة) فارتَكَست ... وكان قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ مِن عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ واضحاً في تحديد موطن الخطأ ، ومن ثم كان قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الاستعلاء بالإيمان] ليحمي من السقوط والإحباط والوهن والحزن والانكسار النفسي ، ذلك أن الهزيمة التي حلت بالمسلمين كانت بسبب الخطأ في الوسيلة كما أسلفنا ، إذ لا يمكن في تصور العقلاء ولا في تصور المؤمنين أن ينتصر الكفر على الإيمان ، وما يمكن أن يحدث في هذا نتيجة الخطأ في الوسيلة إنما يكون للتربية والإعداد والتصويب والاعتبار والتدريب على تحديد موطن الخطأ واستدراكه مستقبلاً لتسديد طريق المؤمنين ، وإلَّا كيف يمكن أن نتصور انتصار الكفر على الإيمان إذا لم نعزُ ذلك إلى وسائلنا ؟!

فإذا تحدد موطن الفعل المؤثر أو الموقع الفاعل ، وتمت المراجعة المطلوبة في الدعوة والعمل الإسلامي الذي محله الوسائل والخطط أصبحت مقولة : ليس بالإمكان أفضل مما كان : مخدرة ومعطلة لنا فعلاً ، وقاتلة لكل تطلع ونشاط ، ومهرباً لإغلاق صفحة الماضي وعدم مناقشته وتحديد مواطن الخطأ فيه ، وبذلك تمر بنا التجارب ، وتتكرر النكبات ، ويستمر فينا الارتكاس ، فإذا لم يستبدل المسلم اليوم المعادلة ، فيعتقد أنه بالإمكان دائماً الحصول على أفضل مما كان ، وأفضل مما هو كائن أيضاً ، ويكون ذلك هاجسه الدائم ، وشعاره المستمر ، فيبحث عن أسباب التقصير ، فسوف لا يكون هناك نهوض ، ولن يؤمل أي ارتقاء أو أي كسب للقضية الإسلامية ... إنها حالة الوهن والحزن المستمر التي تغيب عندها معاني ودوافع الارتقاء والاستعلاء ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ إنها فاعلية الإيمان التي لا تُطفأ ، والنور الذي يدخل من أدق الثقوب فلا يمكن حبسه .

ونكاد نعتقد هنا أن الكثيرين من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية لا يطيقون عملياً المراجعة على الرغم من رفعهم لشعاراتها ، ويتهربون منها تحت شتى العناوين والمعاذير والتسويفات والمسوغات . وتكاد تكون أخطر قضية يعاني منها العاملون للإسلام ، وتزيد من الارتكاس : عدم الاعتراف بخطأ الوسيلة وعدم جدواها ، الأمر الذي يؤدي إلى الخلط وعدم التحديد ، بين الوسائل المخطئة والأهداف المحقَّة ، فيدافعون عن خطئهم في اختيار الوسيلة ويغطون فشلهم بالكلام عن صواب المبادىء والقيم ، وبذلك يضعون أنفسهم في مرتبة فوق مرتبة الآدمية ، وكل بني آدم خطَّاء . وقد نقرأ في دفاترهم فلا نجد اعترافاً واحداً بخطأ رغم الواقع الأليم الذي نعاني منه على الأصعدة المختلفة ، حتى لو امتد الأمر وفُسر التقصير تفسيراً

كلمة الأمة

المسلمون: بين صواب الهدف

ينال من القيم ذاتها ، المهم ألَّا ينال من بعض الأشخاص الذين أصبحت ذواتهم وسلوكياتهم هي المقياس ، ووسائلهم هي المعصومة ، وكأنَّ قدر الله تعالى هو المسؤول عن أخطائهم والعياذ بالله ... وقد نغطي فشلنا في تحقيق الهدف بسبب من خطأ الوسيلة (والكيِّس من دان نفسه) بتتبع عورات الآخرين واتهامهم وإطلاق الأحكام التي فيها الكثير من الظلم والقليل من الحق إلى درجة أصبح ذلك يشكل اليوم منحىً خطيراً في الدعوة إلى الله ، إنه محاولة لصرف الأنظار عن أخطائنا ولفتها وتوجيهها إلى ما نقوم به من تضخيم خطأ الآخرين ، فبدل الاستفادة من أية تجربة لأية جهة من جهات العمل الإسلامي والدعوة إلى الله ـ حيث إن ذلك يمكن أن يعتبر رصيداً مضافاً إلى تجاربنا ـ نضخم الأخطاء إلى درجة تُستَشم منها رائحة الشماتة وبخس الناس أشياءهم علَّ ذلك يستر ويغطي ما نحن فيه .

وقد تكون المشكلة اليوم أن أعداء الإسلام الذين يخضعون أمورهم للدراسة والتحليل والتفسير ودراسة الدوافع أقدر على الاعتبار والاستفادة من تجارب العاملين في حقل الدعوة أكثر من بعض الإسلاميين أنفسهم ، الذين حالت تربيتهم الخاصة وولاءاتهم الشخصية دون اعتبارهم بتجربتهم فانقلبوا إلى وسائل إيضاح تستحضر وقت اللزوم للاستدلال على فساد عهد وممارسة ظلم وقمع واستبداد سياسي .

إن أعداءنا ـ مع الأسف ـ كانوا الأقدر على الاستفادة من تجاربنا في رسم خططهم وفي محاربتنا ، وكانوا الأقدر على توظيف جهودنا وجهادنا لمصلحتهم في أكثر من موقع على خارطة العالم الإسلامي ، ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما تجاوزه إلى التأثير علينا في اختيار وسائلنا المخطئة وإلجائنا إلى ممارسات هي محل نظر من الناحية الشرعية حيث أصبحت الطرق التي رسمت لنا تملكنا ولا نملكها ...

وقد يكون الأمر المقلق حقاً أن العاملين للإسلام كانوا ولا يزالون الأقدر على كشف مخططات وخطط الأعداء واستشعار نواياهم ، لكنهم مع الأسف يصابون بالعجز عند الممارسة والقدرة على تجنب المعارك التي يفتقدون أسلحتها ، بل قد ينقلبون إلى أسلحة تصفّى الحسابات بسواعدهم ، ولعل مرد ذلك كله كامن في عدم تقويم التجارب السابقة وتحديد مواطن التقصير وأسباب القصور وخطأ الوسائل حتى لا تتكرر الحال :

ولا بد من الاعتراف أيضاً بأن المشكلة التي يعاني منها بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية اليوم هي النظر إلى شراسة الأعداء ومخططاتهم وإمكاناتهم الظاهرة ويهوِّلون الأمر إلى درجة تصاب معها الأصول النفسية الإيمانية والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ لتصل نتيجة الحسابات التي يجريها إلى ما يسمى بحالة « ذهان المستحيل » فيصاب بالعطالة عن الفاعلية ، والشلل عن الفعل ، فيتوقف عن المتابعة في نشر الدعوة ويفتقد قدراته الذاتية فضلاً عن تطلعه إلى تطويرها وإنمائها ، كما نرى على الجانب الآخر كيف تتحكم ببعض العاملين كذلك ذهنية السهولة والبساطة ، أو « الدروشة » !! فيعتقد أن الأمر من السهولة إلى درجة لا تقتضي البحث والنظر والتخطيط والدراسة ، فيجيء تصرفه عشوائياً ، ونشاطه أعمى ، ويظن أنه يستطيع أن يقصم الدبابة والمدفع بضربة سيف أو طعنة رمح ، ويخضع العالم لأمانيه ، ويفوته تأمين الشروط المطلوبة ، وإعداد العوامل الضرورية : المادية والنفسية ، ويعدل عن السنة الجارية المتعبد بها والتي يملكها إلى السنة الخارقة التي لا يملكها ، فيجلب البلاء عليه وعلى غيره من المسلمين ...

> صحيح أن مدد الله تعالى للمؤمنين لا ينقطع ولا يتوقف ، ولن ينتهي ، فعلى الرغم من التخفيف في قوله تعالى : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنْكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٦) لا تزال القلة المؤمنة تغلب الكثرة الكافرة ـ مائة يغلبون مائتين ـ لكن بشرط أن يقود صفاء الإيمان وفرقان التقوى إلى صواب الوسيلة .

والحقيقة التي لا بد من حضورها دائماً أننا لا نزال نفتقر في دعوتنا الإسلامية إلى تحديد الموقع الفاعل المؤثر والوسيلة الشرعية المجدية من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة ، والمدى الذي نستطيع الوصول إليه من خلال مجمل الظروف المحيطة ، وعلى هدي التجارب السابقة ... لقد أدرك علماؤنا الأعلام ذلك بتواضع ودون تطاول ، ولم ينفصل العلم عندهم يوماً عن الجهاد في تاريخنا الإسلامي الطويل ، ولم تعرف الأمة الإسلامية الجهاد الأعمى ، كما أنها لم تعرف اليأس ، أي : لم يقعدها عن أداء الرسالة وعطائها ذهنية يغتالها الشعور بالمستحيل ، أو ذهنية تعميها السهولة التي تقود إلى عدم الإعداد والاستعداد والتخطيط ، إلَّا في عصور التخلف ... وكان العلماء طلائع الجهاد ، ولو حاولنا استقراء معظم الحركات

وخطأ الوسيلة

الجهادية التغييرية ضد الاستعمار لرأينا حصونها : مساجدنا ومؤسساتنا الشرعية ؛ وقادتها : العلماء العاملين ، فكانت القوة المبصرة للتغيير ؛ وهذه السمة الواضحة في تاريخنا يغفل عنها كثيرون اليوم ـ اقتران العلم بالجهاد ـ حيث ترفع رايات الجهاد في بعض الأحيان بنظر عليل وفقه كليل يعود على الأمة بالكوارث الماحقة ...

فإذا كانت الإمكانات تسمح بالتغيير ، كان العلماء العاملون في مقدمة الركب المجاهد ... وإذا كانت الإمكانات لا تمكّن من التغيير والمواجهة للظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي كان الخيار البديل عن هذا التغيير هو التحصين ضد ذوبان الأمة وتأثرها بالانحراف ، وضمان تماسكها وتواصلها ، و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

إن لجوء علمائنا إلى المنهج التربوي للتحصين عند عدم امتلاك القدرة على التغيير الشامل أعطى الثمار العظيمة التي ضمنت للأمة هويتها ، كما ضمنت لها التواصل والاستمرار ، ولأعدائها الغياب والاندثار ؛ فأين الكثير من قادة الاستبداد السياسي وأين تأثيرهم ؟

لقد غابت صورتهم في التاريخ وباؤوا بإثمهم وأحاطت بهم خطيئتهم ، بينما المعالم الهادية في تاريخنا كانت للعلماء العاملين وليست للسلاطين المستبدين ... فهل من سبيل إلى المقارنة بين عطاء الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام الشافعي ، والإمام ابن تيمية ، والعزّ بن عبد السلام وغيرهم كثير في القديم والحديث رحمهم الله وبين سلوك المستبدين الذين حاولوا سومهم وسوم أُمّتهم الخسف ؟!

وقد تتركز المشكلة اليوم في أن الدنيا تتغير من حولنا بسرعة مذهلة ونحن نصر على ألّا نتغير ، لا في أشخاصنا ، ولا في طبيعة عملنا ، ولا في وسائلنا .

ونعتقد أن اعترافنا بأخطائنا وتغيير وسائلنا على ضوء المتغيرات الجديدة ينال من ذواتنا ، وكأنَّ المهم عندنا ألّا تُمس الذات ولو دمرت الجماعات والمجتمعات !!

لقد تغيرت صورة المجتمعات الحديثة ، وتطورت شبكة العلاقات الاجتماعية وترافق مع هذا ظهور مشكلات وتحديات على أكثر من صعيد ، وبرزت مؤسسات جديدة وتغيرت صورة ووظيفة الدولة الحديثة ، وقدمت التكنولوجيا للسلطات السياسية ما يضاعف حواسها ومعلوماتها وإمكاناتها حتى لتكاد تكون التكنولوجيا كلها اليوم في خدمة السلطان ، وبرزت مشكلات لا يمكن أن توصف إلّا بأنها عالمية ، ودخل الإعلام مرحلة السلاح الاستراتيجي ، وتراجعت الأسلحة المادية إلى الخطوط الخلفية إلى درجة أصبحت الاتصالات السلكية واللاسلكية ـ حتى الإشارات الخاصة بين الدول وسفاراتها ـ مرصودة ومقروءة بشكل مذهل ، وتقدمت وسائل الاتصال وتفجرت ثورة المعلومات ومراكز التصنت والتجسس العالمي (لقد اعترف دايان بأن الحرب الإعلامية التي خاضها مع خمسمائة صحفي أمريكي وبريطاني وفرنسي هي التي ساعدت على تثبيت الصورة الأسطورية للجيش الإسرائيلي لدى الرأي العام العالمي) وظهرت الدولة العالمية ... لقد أصبح العالم كله أشبه بدولة واحدة ، وما يقع في دولة يجب أن ينعكس بالضرورة على الدول الأخرى في التأثير والتأثر ، وسوف لا تكون أية حركة دون رصد عالمي وتأثر عالمي ؛ إن النظرات الإقليمية مهما كانت دقيقة وصائبة وصحيحة يبقى استقراؤها ناقصاً إذا لم تأخذ باعتبارها المعطيات الحديثة للصورة العالمية أو الدولة العالمية والمخططات العالمية .

لقد مرَّت الدعوة الإسلامية في تاريخها الطويل بتجارب متنوعة ، وسلكت طرقاً شتى للتغيير ، ومناهج متنوعة للتربية والتحصين عند العجز عن التغيير ، وعلى مستوى العصر الحاضر أيضاً كانت تجاربها غنية ومتنوعة على امتداد خارطة العالم الإسلامي والعالم (كانت هناك تجارب للمعارضة السياسية أخذت أكثر من شكل ، وتجارب أخرى للمواجهة السياسية ، وتجارب في المشاركة السياسية ، كما كانت هناك تجارب أخرى في المهادنة والمسالمة) وعلى الرغم من غنى هذه التجارب يرى الإنسان محدودية الاعتبار ، لقد وصلت طروحات العاملين للإسلام في بعض البلدان إلى درجة من التساهل وتمييع المفاهيم قد تكون محل نظر من الناحية الشرعية حيث اعتبر اختيار الكفر من مقتضيات حرية الرأي ومستلزمات الديمقراطية ؛ ومع ذلك جاءت معطيات التجربة عجيبة وغريبة ، وقد يكون من الصعب استرداد الماضي وإعادة تشكيله ، لكن من السهل جداً أن نتخلص ونخلّص حقل الدعوة الإسلامية من الوسائل المخطئة ومن التحديات غير المسؤولة للشرق والغرب والشمال والجنوب التي لم تؤد إلى أيَّة نتيجة في خدمة الإسلام والمسلمين وإنما أظهرتنا على غير حقيقتنا ، وأغرت بنا أعداءنا ، فهل من سبيل إلى إعادة تشكيل صورتنا على ضوء واقعنا وإمكاناتنا ؟!

أين الخلل؟
قضية للمناقشة

وقفة مع الحركة الإسلامية

الحلقة الثانية

الجزء الثاني

بقلم : د. يوسف القرضاوي

ثالثاً - غلبة الاتجاه العاطفي على الاتجاه العقلي والعلمي :

ومن آفات الحركة الإسلامية غلبة الناحية العاطفية على الناحية العقلية العلمية.

اهمية العاطفة في الحركة الإسلامية :

ولا اريد بهذا إلغاء الجانب العاطفي من الحركة بحيث تقوم على (**العقلانية**) الخالصة، بعيداً عن اي تأثير للمشاعر.

فهذا مخالف لطبيعة الحركة، بل لطبيعة الإسلام.

فالإسلام - مع احترامه للعقل ودعوته للنظر والفكر - ليس مجرد فلسفة عقلية منطقية جامدة، إنه يشتمل على جانب عاطفي في تعاليمه لا ينكره أحد، مثل : الحب في الله، والبغض في الله، والفرح بتوفيق الله، والحزن على معصية الله، والخوف والرجاء ... وغيرها من (**الأحوال**) النفسية التي عُنِيَ بها وفصلها أهل التصوف في كتبهم، كما ترى ذلك واضحاً، مثل : (منازل السائرين) للهروي، وشرحه (مدارج السالكين) لابن القيم، وغيرهما من كتب القوم.

فهذا جانب لا خلاف عليه، ولا جدال فيه، لأن الإسلام جاء يخاطب في الإنسان عقله وقلبه معاً، ولهذا ذم الذين لا يعقلون ولا يفقهون، كما ذم الذين لا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، فلهذا كان اهتمامه بالجانب العقلي والعاطفي معاً؛ وحسبنا هنا الحديث المتفق عليه :

(ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : ان يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما؛ وان يحب المرء لا يحبه إلَّا لله؛ وان يكره ان يعود في الكفر - بعد إذ انقذه الله منه - كما يكره ان يقذف في النار).

وطبيعة الحركة الإسلامية انها تعتبر إحياء المشاعر الإيمانية، وإلهاب العواطف الإسلامية جزءاً من رسالتها، التي هي رسالة الإسلام.

وهذا الجانب لا بد منه للحركة لتوفير قدر من الحماسة يدفع إلى العمل وإلى البذل، وكذلك لربط القلوب برباط المحبة والأخوة التي ترتقي فتصل إلى درجة الإيثار.

والجماعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام، كما تقوم على وحدة المفاهيم، ووحدة التنظيم، تقوم على وحدة المشاعر. وبعبارة أخرى : على تألف القلوب، وارتباطها بعروة الحب في الله؛ وهو ما منَّ الله على رسوله بقوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الانفال : ٦٢ - ٦٣).

وكان **الإمام حسن البنا** رحمه الله في أحاديثه الأسبوعية - أحاديث الثلاثاء - حريصاً على أن يبدأها دائماً بإحياء القلوب بالإيمان والحب، وهو ما كان يسميه (عاطفة الثلاثاء).

ولهذا جعل (الأخوَّة) من أركان البيعة، وكان من كلماته المأثورة :

« ... إن دعوتنا تقوم على دعائم ثلاث : الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والحب الوثيق ».

هذا مكان العاطفة في تعاليم الإسلام، وفي الحركة الإسلامية.

ماذا نريد بغلبة العاطفية ؟

إذن ما الذي نقصده هنا ؟

الذي نقصده : أن تغدو العواطف والانفعالات هي الحاكمة على التصرفات والعلاقات، والغالبة على التفكير والسلوك، والموجهة لأحكامنا على الأعمال والأقوال والمواقف والأشخاص والهيئات، وبهذا تصبح العاطفة فوق العقل، والهوى قبل العلم.

وهذا الاتجاه الجانح إلى تغليب العاطفة على العقل والعلم له دلائل ومظاهر عدة، أذكر منها ثلاثة :

[١] قصور الدراسة والتخطيط :

فرغم ان الإسلام يدعو إلى العقل والعلم، ويحث المسلم على احترام الأسباب، ومراعاة السنن واخذ الحذر، والإعداد للغد؛ نرى الحركة الإسلامية ضعيفة الاهتمام بهذا الجانب.

وقد ذكرت يوماً أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع، فكان جوابه :

« هل تحتاج الدعوة إلى الله، وتذكير الناس بالإسلام، إلى تخطيط وإحصاء ؟! ».

هذا مع ان **النبي ﷺ** بعد هجرته إلى المدينة

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الإبقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

● كمال اتاتورك
قاد الشعب التركي باسم الإسلام ثم كان المسلمون أول ضحاياه .

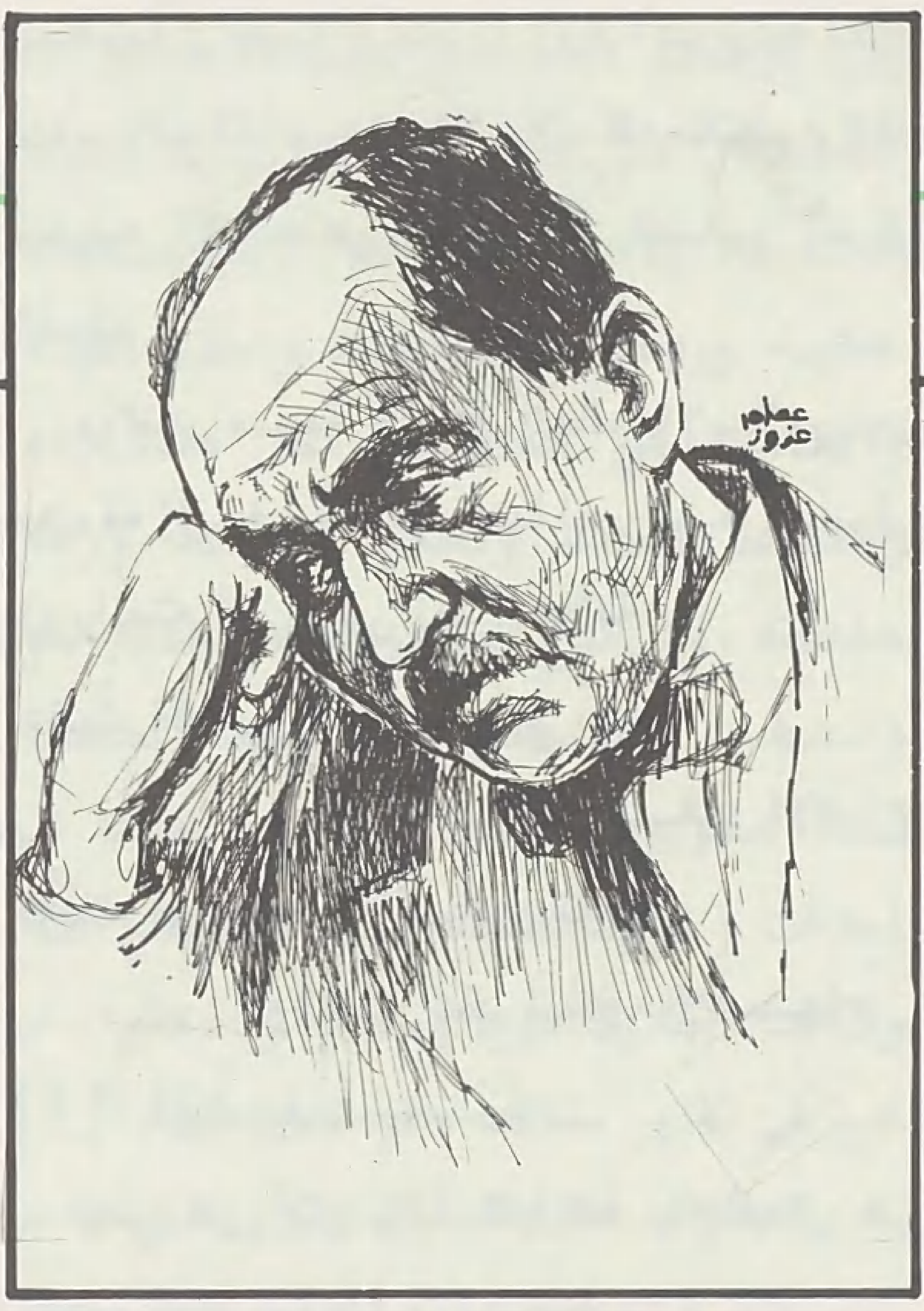

● احمد شوقي
عبر عن فجيعة العالم الإسلامي بمصطفى كمال بعد أن خاب ظنه .

طلب إحصاءً بعدد من يلفظ بالإسلام ، فأحصوا فكانوا : ألفاً وخمسمائة كما روى ذلك البخاري ومسلم .

وهذا يدل على أن الرسول ﷺ أراد أن يعرف مدى القوة البشرية لديه معرفة علمية دقيقة ، ليكون تقديره ومواقفه مبنية على دراية وبيِّنة .

لا بد إذنْ من دراسة واقع الأمة الإسلامية ، وواقع الحركة الإسلامية ، وواقع القوى المعادية للإسلام ، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعاً ، وتحليلها من منظور علمي موضوعي ، والخروج بالنتائج اللازمة لتوضع موضع التنفيذ إثباتاً أو نفياً .

ولا يزال بعض المنتسبين للعمل الإسلامي يضيقون بما يدعو إليه بعضهم من ضرورة (الدراسة) أولاً ؛ وغدت كلمة (الدراسة) لأي فكرة أو مشروع تعني عندهم (التسويف) وهو يعني (التمويت) بالقتل البطيء !.

وكان لنا صديق يقول إذا طالبنا بالدراسة والبحث على غرار ما يفعله الاقتصاديون فيما يسمونه (دراسة الجدوى) : الدراسة تأتي بعد ؛ المهم أن نبدأ العمل ونمضي ولا نقف ساكنين ، أنا أؤمن بالأعمال الناقصة ! لنبدأ العمل ناقصاً أو خاطئاً ، ثم يأتي غيرنا فيكمل النقص ، ويصحح الخطأ .

وهذه فلسفة لها دوافعها ومبرراتها ، ولكن الذي أكَّدته التجارب أن ترقيع العمل المغلوط ، أو تقويم المشروع الأعوج أصعب بكثير من بدئه من الألف بداية صحيحة .

وقد يبذل المخلصون جهوداً مضنية في الترقيع والتصحيح والتقويم ثم لا تؤتي أكلها . وقد تحقق بعض النتائج ، ولكن بعض الأمور تستعصي على الإصلاح ، لأنها بدأت من أول الأمر غير صحيحة ولا مستقيمة .

ومن أهم ما ينبغي التخطيط له : توجيه المواهب الشابة إلى التخصص على أعلى المستويات في مجالات الحياة كلها : علمية وشرعية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية وإعلامية وإدارية وتخطيطية وغيرها ، من كل ما يسد الثغرات ويلبي الحاجات ، في مجتمع متحضر معاصر ، في عالم (الكومبيوتر) والأسلحة النووية ، وغزو الفضاء ، والهندسة البيولوجية .. عالم يضيف كل يوم جديداً بما يشبه الوثبات في العلم والتكنولوجيا ، والمسلمون يتصارعون فيما بينهم ، أو يلهون والدنيا تجدّ ، أو يلوكون ألسنتهم بما لا يفيد .

فلا بد من التخصص الذي يعتبر في نظر الشريعة من فروض الكفايات الواجبة على الأمة مجتمعة ، ولا يجوز أن تتكدس القدرات والكفايات في مجال ، على حين يغفل مجال آخر ، يحتاج إلى من يقوم به فلا يجد .

وقد عاب القرآن الكريم على المسلمين في عصر النبوة أن يتجهوا كلهم إلى الجهاد ، على ما له من منزلة وفضل ، غافلين عن ميدان آخر لا يقل عنه أهمية ، وهو الفقه في الدين ، يقول تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢) .

ونظراً لأننا نرتجل ، وخصومنا يخططون ، نراهم يسرقون ثمرات جهادنا الإسلامي ونحن غافلون .

إنَّ حركات التحرير ضد الاستعمار كله : الغربي والشرقي والصهيوني كان محركها

ومطلق شرارتها ، ومفجر طاقاتها ، وقائد كتائبها هو الإسلام .

وهذا باعتراف المراقبين المحايدين ، والمؤرخين المنصفين ، من الشرق ومن الغرب .

ولكن الذي يؤسف له : أن الإسلام يزرع ولا يحصد ، ويغرس ولا يجني ، بل نرى آخرين من العلمانيين والحاقدين والكائدين في الخفاء من أعداء الإسلام يقفون متفرجين أو متربصين ، حتى إذا تهيأت الثمرة للنضج ، وثبوا فجأة إلى مقدمة صفوف الجهاد والنضال ، وأحدثوا دوياً هائلاً ، وفرقعة ضخمة تجذب إليهم الأسماع والأبصار والقلوب . لينفردوا هم بالغنيمة ، ويقطفوا وحدهم الثمرة : ثمرة النصر .

وكثيراً ما نراهم يلبسون لبوس الإسلام ، ويتحدثون باسمه وأفئدتهم هواء منه ، وحياتهم غريبة عنه كل الغربة ، فتخدع الشعوب المسلمة الطيبة بمظهرهم وقولهم ، وتحسب أنهم على شيء ، حتى إذا تمكنوا وأمسكوا بالزمام أعلنوا عن هويتهم ، وتبرؤوا من الإسلام الذي وصلوا باسمه وبقوته إلى هذه النتيجة .

وهذا ما حدث بوضوح مع « **كمال اتاتورك** » الذي قاد الشعب التركي باسم الإسلام وتحت لوائه ، فبذل الشعب من دمه ونفسه وماله راضياً حتى انتصر ، وهلل الناس في أنحاء العالم الإسلامي وكبَّروا لـ (الغازي) « مصطفى كمال » كما كانوا يلقبونه ، وقال شوقي في قصيدته الشهيرة :

اللَّـهُ أكْبَـرُ كَمْ في الفتحِ منْ عجـبِ !
يا (خالدَ) التركِ جدِّدْ (خالدَ) العَرَبِ !

ولم يكد الناس يفرحون بالنصر ، حتى انقلب العرس إلى مأتم ، وإذا (الغازي) الذي ظنه الناس سيفاً مسلولاً للإسلام يصبح خنجراً مسموماً في ظهره أو صدره ، وإذا هو يوجه معوله لهدم (الخلافة) وهدم الإسلام كله معها ، وإلغاء وجوده الاجتماعي من حياة الشعب التركي المسلم .

وكانت صدمة فاجعة للعالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، عبر عنها أمير الشعراء شوقي في رائعته التي رثى بها الخلافة :

عادتْ اغاني العُرْسِ رَجْعَ نُوَاحِ
ونُعيتِ بينَ مَعَـالِمِ الأفراحِ
كُفِّنْتِ في يَوْمِ الزّفـاف بثوبِهِ
ودُفنتِ عند تبلّجِ الإصبـاحِ !

[٢] العجلـة :

وهي من آثار غلبة العاطفة والانفعال على منطق العقل والعلم والتخطيط .

فالمستعجل لا صبر له ولا أناة عنده ، فهو يريد أن يزرع اليوم ليحصد غداً ، بل يريد أن يغرس في الصباح ليجني في المساء ؛ وهذا مخالف لسنن الله تعالى في الكون وفي الاجتماع البشري ، فكل شيء له أجله المسمى وأطواره المعلومة .

إنَّ الله خلق العالم في ستة أيَّام ، وكان قادراً ان يقول له ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ... ولكن أراد الله أن يعلمنا الأناة .

وكان قادراً أن ينصر نوحاً عليه السلام والذين آمنوا معه من أول الأمر ولكنه تركه يدعو ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهراً ، الف سنة إلاّ خمسين عاماً ، ثم نجّاه بسفينة يصنعها بيديه ، ولم تنزل له من السماء .

وكان قادراً أن ينصر رسوله **محمداً** ﷺ ويهلك أعداءه بعذاب من فوقهم أو من تحت ارجلهم ، منذ فجر الدعوة ، ولا يعرضه هو واصحابه للابتلاء والفتنة .

بل إنه لم يأذن لهم بالجهاد والدفاع عن انفسهم أمام القوة الطاغية وقال لهم :

﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (النساء : ٧٧) حتى غدت لهم شوكة ودار ، فأذن لهم بالقتال :

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج : ٣٩) .

ولا غرو أن أمر الله رسوله والمؤمنين معه. بالصبر وعدم الاستعجال حتى يقضيَ الله أمـره :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (الروم : ٦٠) .

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ... ﴾ (النحل : ١٢٧) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠) .

إن الاستعجال جعل الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل اوانها ، وتخوض أخرى أكبر من طاقتها ، وتحارب الشرق والغرب مرة واحدة ، وتدخل نفسها مداخل لا تستطيع الخروج منها ، مع أن الله لم يكلفنا إلاّ وسعنا ، ولا يحل لنا ان نكلّف أنفسنا من البلاء ما لا نطيق ، فنعرّضها للفتنة . وقد قال تعالى :

■ ذكرت يوماً أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع فكان جوابه : هل تحتاج الدعوة إلى الله وتذكير الناس بالإسلام إلى تخطيط وإحصاء ؟! ■

■ الاستعجال جعل الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل أوانها وتخوض أخرى أكبر من طاقتها وتُدخل نفسها في مداخل لا تستطيع الخروج منها ... ■

﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

وقال رسوله ﷺ : « إذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم » وقال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان » فجعل التغيير درجات ورتبها حسب الاستطاعة ، ولا جناح على المسلم إذا بذل ما يستطيعه وترك ما لا يستطيعه .

وقد ذم الله ورسوله ﷺ العجلَة ، لما تورثه من سوء العاقبة .

وحسبنا من إشارات القرآن التي لها دلالتها في بيان سوء مغبّة العجلة وإن دفع إليها انبل الغايات ، قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ . قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (طه : ٨٣ - ٨٥) .

يقول العلامة الآلوسي في تفسيره : و (الفاء) في قوله ﴿ ... فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ... ﴾ لتعليل ما يُفهمه الكلام السابق ، كأنه قيل : لا ينبغي عجلتك عن قومك ، وتقدمك عليهم ، وإهمال أمرهم لوجه من الوجوه ، فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ومزيد بلاهتهم وحماقتهم ، بمكان يحيق فيه مكر الشيطان ، ويتمكن من إضلالهم[٥] ...

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً لما احدثوا بعده ، واخذ براس اخيه هارون يجره إليه :

﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي . قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه : ٩٢ - ٩٤) .

فكان موقف هارون : الأناة والتريث - رغم بشاعة الجريمة - حفاظاً على وحدة الجماعة ، حتى يعود أخوه ، ويتشاوروا في علاج الموقف .

وفي الحديث :

(**الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان**)[٦] .

(**يستجاب للعبد ما لم يعجل : يقول : دعوت ، فلم يستجب لي**)[٧] .

وكم تمنيت ، واعلنت في مناسبات مختلفة ، للحركات الإسلامية ، في الفترة التي كان لها فيها حرية التحرك والنشاط ، ان تدخر قوتها ، ولا تورط نفسها في مواجهات ومعارك ، يدفعها إليها المغامرون المتعجلون ، او يستدرجها إليها المخططون الماكرون ، وان تشغل نفسها بنشر الدعوة إلى الإسلام الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة ، على كل صعيد ، وتربية الأجيال الصاعدة بهذا الإسلام وله ، تربية متكاملة : عقلية وروحية وبدنية واجتماعية ، والاندماج في المجتمع لحل مشكلاته ، وتخفيف معاناته ، وتسديد خطواته ، ورعاية حاجاته ، وان تدع التفكير في استخدام القوة والعنف ، والاصطدام بالسلطات الحاكمة ، لمدة عشرين سنة ... وستجد بعدها انها احدثت (ثورة سلمية) في المجتمع كله ، وحققت انقلاباً فكرياً ونفسياً واخلاقياً ، من غير ان تشهر سلاحاً ، او تعلن جهاداً .

والمخوف هنا دائماً ان القوى الخائفة من الإسلام والمناوئة له لا تدع الحركة الإسلامية حتى تمتد وتنمو وتتسع ، ولهذا تفاجئها بضربات سريعة حتى تمزق شملها وتعوق سيرها ، ولا تمكنها من التوسع والانتشار المامول .

وهذا امر وارد ، ولكن الحركة ايضاً عليها بعض اللوم ، فإنها كثيراً ما تستفز تلك القوى المتربصة ، وتستثير فيها غرائز الخوف ، حين تستعرض عضلاتها ، وتظهر قوتها الجماهيرية بصورة او باخرى ، وكانت الحكمة تقتضي ان تحسب كل خطواتها ، ولا تمكن عدوها منها ما استطاعت ، وتسال الله العافية ، فإذا وقع البلاء بقدر الله ، لم يكن لها إلّا الصبر والمصابرة .

[٣] المبالغة :

ومن توابع العاطفية : المبالغة والتهويل ، وهذه آفة من آفات الأمة كلها ، فنحن للأسف في جل الأمور نقف في طرفي الإفراط والتفريط ، وقلما نقف موقف **(الوسط)** الذي مدح الله به هذه الأمة :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ... ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

وقد انتقل هذا إلى الحركة الإسلامية ، فأصبحت المبالغة والتهويل سمة غالبة : في وصفها لنفسها ، وفي نقدها لخصومها ، وفي غير ذلك من المواقف ، ولهذا شاع (أفعل التفضيل) على ألسنة دعاتها ، وأقلام كتابها : الأعظم والأقوى ، والأفضل والأمثل ، والأحقر والأضعف والأسوأ ، كما شاعت الأوصاف الضخمة والفخمة ، والألفاظ الرنانة ، والجمل المثيرة .

إننا نبالغ في الإعجاب بأنفسنا ، ونبالغ في النقد لغيرنا .

ولا ينازع عاقل أن نعتز بأنفسنا وحضارتنا ، فهذا هو الواجب في أمة تريد أن تنهض وتتبوأ مكانها تحت الشمس ، وخصوصاً عندما تواجه بغزو حضاري وثقافي يريد أن يقتلعها من جذورها ، ويشككها في وجودها ذاته .

ولكن الخطر ان يستحيل هذا الاعتزاز إلى عُجْب وغرور يعمي ويصم ، والعُجْب احد المهلكات الثلاث كما في الحديث الشريف[٨] .

وهذا ينطبق على الأفراد وعلى الجماعة .

وقد أشار إلى ذلك القرآن حين قال :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ (التوبة : ٢٥) .

وقال ابن مسعود :

« **إنما الهلاك في اثنين : العجب والقنوط** » .

وعلق على ذلك الإمام الغزالي فقال :

« **إنما جمع بينهما ، لأن السعادة إنما تنال بالسعي والطلب ، والجد والتشمر ، والقانط لا يسعى ولا يطلب ، لأن ما يطلبه غير ممكن حصوله في نظره .**

والمعجب يعتقد انه قد سعى ، وانه قد ظفر بمراده ، فلا يسعى ، فالموجود لا يُطلب ، والمحال لا يُطلب ، والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة ، ومستحيلة في اعتقاد القانط ، فمن ههنا جمع بينهما » اهـ .

ونحن نبالغ في نقدنا لغيرنا ، وخصوصاً للحضارة الغربية ، فنحن لا نجد أن في الحضارة الغربية آفات أساسية لا تنفك عنها ، لانها ملازمة لها ، وتعتبر كأنها جزء من بنيتها ،

وقفة مع الحركة الإسلامية

كالنظرة المادية والنفعية والعنصرية ، ونحوها .

ولكن لا ينبغي أن ننسى أن في هذه الحضارة نقاط قوة يجب أن تذكر لها من باب الإنصاف أولاً ، ومن باب معرفة الخصم على حقيقته ثانياً .

من ذلك : قيامها على العلم التجريبي ، وحسن الإدارة ، والتنظيم ، والتعاون أو عمل الفريق ، والاهتمام بالأخلاق الاجتماعية ، واحترام الإنسان وحرياته وحقوقه ، وخصوصاً داخل أوطان أصحاب هذه الحضارة ، وحرصهم على الشورى ومقاومة ظلم الحكام واستبدادهم بالشعوب .

ويحسن بي هنا أن اذكر صورة من تراثنا المجيد ترينا مدى إنصاف سلفنا لخصومهم ، واعترافهم بفضلهم ، وإن كان بينهم من الحروب ما بينهم .

وهذه الصورة ليست قصة في كتب الأدب أو التراجم أو التاريخ ، بل هي حديث رواه **الإمام احمد** في « **مسنده** » ، **ومسلم** في « **صحيحه** » واللفظ هنا لمسلم ؛ فقد روى من حديث **موسى بن علي** عن أبيه قال : قال المستورد القرشي عند **عمرو بن العاص** : **سمعت رسول الله ﷺ يقول** :

(تقوم الساعة والروم اكثر الناس) فقال له عمرو : ابصر ما تقول ! قال : اقول ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : لئن قلت ذلك إنَّ فيهم لخصالاً اربعاً : إنهم لاحلم الناس عند فتنة ، واسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، واوشكهم كرة بعد فرّة ، وخيرهم لمسكين ، ويتيم وضعيف . وخامسة حسنة جميلة : وامنعهم من ظلم الملوك »[9] .

ويعجب المرء أن تصدر هذه الشهادة للروم من قائد عسكري وسياسي مسلم ، مثل **عمرو بن العاص** ، الذي خاض أكثر من معركة مع الروم في فلسطين ومصر وغيرها ، ولكنه الإسلام الذي علمهم أن يكونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسهم ، والَّا يجرمَنَّهُم شنَآن قوم على الَّا يعدلوا .

وقد لاحظ المراقبون للحركة الإسلامية الحديثة أنها تبالغ في تقدير قوتها ، وتبالغ في بيان ضعف خصومها ، والتهوين من شأن العوائق في مسارها ، وتهوّل في المدح إذا مدحت ، وفي الذم إذا ذمّت ، كما تبالغ في الحب إذا احبَّت والكره إذا كرهت .

وقد جاء في الأثر : **(احبب حبيبك هوناً ما ، عسى ان يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما ، عسى ان يكون حبيبك يوماً ما)** .

وفي المثل : « **لا يكن حبّك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً** » .

وقد علّمنا القرآن أن نكون عدولاً مقسطين مع من نحب ومن نكره ، مع انفسنا ومع أعدىٰ أعدائنا .

يقول تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء : ١٣٥) .

ويقول :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (المائدة : ٨) .

رابعاً ـ الخوف من التجديد :

وهذه نقطة من نقاط الضعف في الحركة الإسلامية : إنها تخاف من الاجتهاد ، ولا ترحب كثيراً بالتجديد ، ولا تميل إلى (الانفتاح) ومواكبة التطور .

ورغم أنها تدعو ـ من الناحية النظرية على الأقل ـ إلى (الاجتهاد) في المجال الفقهي ، فهي تميل إلى (التقليد) في المجال الفكري والمجال الحركي وتؤثر أن يبقى كل قديم على قدمه .

وليس هذا مقصوراً على الحركات التي عرفت بنزعتها (الظاهرية) في فهم الإسلام ، والحرفية في تفسيره ، بل يكاد ذلك يعم الحركات الإسلامية المعاصرة ، حتى التي اشتهرت منها بالمرونة وسعة الأفق ، وخاضت من التجارب ما يجعل لها الحق في التجديد والتغيير .

فهي تتمسك أحياناً ببعض الوسائل والأشكال ، ولو وقفت حجر عثرة في سبيل انتشارها ، أو جلبت عليها متاعب هي في غنى عنها .

وتنفر من الأفكار الحرة ، والنزعات التجديدية التي تخالف المألوف والمستقر من الأفكار والأعمال ، وتضيق بالمفكرين من هذا النوع الذي يصعب صبه في قالب حجري لا يفارقه ، أو حبسه في قمقم فكري لا يخرج منه ، وربما تصدر في شانهم قرارات أشبه بـ (قرارات الحرمان) بحيث لا تُقرا كتبهم ، ولا تُشهد حلقاتهم .

ولهذا لا يبعد أن يتسرب كثير من هؤلاء منها واحداً بعد الآخر ، كما يتسرب الماء من بين الأصابع . لا كفراناً بأهدافها ، ولكن فراراً بعقولهم أن تجمد أو توضع في ثلاجة ... والحركة نفسها تستريح بانسحابهم ، لأنهم يحركون السواكن ، ويثيرون البلبلة .

رايت بعض الأحزاب الإسلامية يفرض على اتباعه نوعاً من الثقافة المحفوظة ، التي تردد وتكرر مفاهيمها كأنها قرآن يُتلى ، فيغدون وكان

■ **بعض الحركات الإسلامية المعاصرة تنفر من الأفكار الحرة والنزعات التجديدية التي تخالف المألوف والمستقر من الأفكار وتضيق بالمفكرين وربما تصدر في شأنهم قرارات أشبه بقرارات الحرمان .. بحيث لا تُقرأ كتبهم ولا تُشهد حلقاتهم .** ■

■ **اتباع أهواء العامة أشد خطراً من اتباع هوىٰ السلطان لأن الذين يتبعون السلاطين يُكشفون ويُرفضون أما الذين يتبعون أهواء العامة فهم في نظرهم الأبطال الصادقون .** ■

كل واحد منهم (شريط مسجل) يردد ما مليء به ، لا إنسان يفكر ويحاور ، يأخذ ويدع . فما قاله أميرهم او رئيسهم في موقف من المواقف ، او في قضية من القضايا ذات الأوجه المتعددة ، هو الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، بل الحق الذي لا يحتمل الباطل !

ورغم إنكارهم نظرياً للتربية الصوفية التي تقوم على السمع المطلق والطاعة العمياء ، والتي شعارها : من قال لشيخه : لِمَ ؟ لا يُفلح !

والمريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ! نراهم يربون اتباعهم على مثل هذه النزعة ، وإن لم يقولوا ما قاله المتصوفة . ومن قال : **لِمَ ؟ نُظِرَ إليه بتحفظ ، فإن اكثر منها فهو متمرد** !!

والأدهى من ذلك ألَّا يقتصر ذلك على الجنود والمريدين ، بل يراد أن يُطبَعَ العلماء والمفكرون والكتاب بهذا الطابع التقليدي ، فلا يخرجون عن الإطار المرسوم ، لا في التفكير ولا في التعبير ، فإن فعلوا قوبلوا بأعنف الهجوم .

ولا غرو أن لاقى الدَّاعية العلامة **الدكتور مصطفى السباعي** رحمه الله ما لاقى ، لأنه سمى عدالة النظام الإسلامي (**اشتراكية الإسلام**) اجتهاداً منه ، بغية جذب فئات من الناس تستهويها كلمة (اشتراكية) وتحسب أن الإسلام في نظامه الاقتصادي لون من الراسمالية .

ولقي كاتب إسلامي آخر من عنف الهجوم ما لقي ، لأنه كتب في العدد الافتتاحي لمجلة (المسلم المعاصر) يرجو أن تكون لسان ما سماه (اليسار المسلم) اجتهاداً منه في الرد على الذين يصنفون الدعاة إلى الإسلام في صف (اليمين) دائماً ، بما يحمل ذلك من ولاء للنظام الراسمالي وتبعية للغرب ... إلخ .

ولست من الموافقين على هذا التعبير أو ذاك ، **ولكني اوافق كل الموافقة ان يكون لأهل الفكر حقهم في الاجتهاد** ، وهم مأجورون عليه ، أصابوا أم اخطؤوا وأنكر كل الإنكار مصادرة حقهم في حرية الراي ؛ كما أنكر الاتهام والتشنيع لمجرد إبداء راي مخالف للمعهود ، فرب راي يُرفض اليوم من الاكثرية ، يغدو هو الراي المقبول والسائد بعد مدة من الزمان .

طلبت مجلة إسلامية حركية إلى كاتب إسلامي كبير أن يمدها بمقالاته ، فكتب لها مقالاً ، يحمل رأياً خاصاً له بجواز قيام احزاب إسلامية في ظل نظام إسلامي ، لأدلة واعتبارات يراها ، ولكن التحرير جمَّد هذه المقالة ، ولم يأذن لها بالنشر ، لأنه يخالف الراي التقليدي المتوارث : أن لا حزبية في الإسلام . وهو كلام مجمل يحتاج إلى بيان وتفسير ، وكانت له ظروفه وملابساته .

وكُلِّفَ احدُ المشايخ من الدعاة العاملين في حقل الحركة الإسلامية يوماً ، بوضع خطة عمل لخمس سنوات ، فكان مما اقترحه ضمن الخطة : إجراء حوار متصل مع القوى الخائفة من الإسلام ، والمناوئة له ، والمعادية للحركة الإسلامية ؛ حوار فكري مع المستشرقين وامثالهم من رجال الفكر الغربي ... وحوار ديني مع الاحبار ورجال الدين المستعدين للتفاهم والوقوف في وجه المادية الطاغية ... وحوار سياسي ، مع الدبلوماسيين والسفراء والمهتمين بالشؤون السياسية ... والغرض من هذا الحوار تغيير الفكرة القديمة التي تصور الإسلام غولاً ، والمسلمين وحوشاً ، والحركة الإسلامية حركة إرهاب وعنف دموي ... وإمكان إقامة تعايش سلمي بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى ، وان يكون للمسلمين حقهم في حكم انفسهم في اوطانهم وفق عقيدتهم وشريعتهم .

والعجيب أن هذا الاقتراح قوبل من الأغلبية بالرفض والسخرية حتى قال من قال : إنَّ الشيخ اصبح تقدمياً !.

وفي ظل هذا المناخ الفكري ، تجد الآراء المتشددة ، والمواقف المتشنجة رواجاً وإقبالاً ، ويعتبر أصحابها أبطالاً .

وفي ظل هذا المناخ تتفق سوق المزايدات على إرضاء جمهور المتدينين بإظهار التشدد في الراي ، والمتاجرة باتخاذ مواقف التصلب .

وأكثر الناس يظنون أن الانحراف يتمثل في توظيف العلم في اتباع هوى السلاطين ، ونسوا أن يضيفوا إليه توظيف العلم في اتباع أهواء الجمهور . وفي رأيي أن اتباع أهواء العامة اشد خطراً من اتباع هوى السلطان ، لأن الذين يتبعون السلاطين يُكْشفون ويُرْفضون ، أما الذين يتبعون أهواء الجماهير فهم في نظرهم الأبطال الصادقون !

وقد ساد الفكر المتشدد في الستينيات من القرن العشرين ، نتيجة لظروف وأوضاع معينة لا تخفى على الدارسين ، حتى انتهى بدُعاته إلى الانفصال عن المجتمع ، والاستعلاء عليه ، ورميه بالجاهلية المطلقة ، وتجلت (ظاهرة الغلو في الكفر) تلك الفكرة التي تتهم جماهير المسلمين بأنهم كفار ، لأنهم لم يفهموا (لا إلــه إلَّا الله) ولم يؤمنوا بحاكميته سبحانه ! وترى من العبث **(الاجتهاد)** لإيجاد حلول للمشكلات المعاصرة ، وتسخر من محاولة (**تجديد الفقه الإسلامي**) في مجتمع لا يلتزم بالإسلام ، وترفض دعوة الناس بتقديم النظام الإسلامي لهم ، إذ الخطوة الأولى أن تقدم لهم العقيدة حتى يسلموا أولاً ، ثم تعرض عليهم بعد ذلك نظم الإسلام : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

هذه ابرز نقاط الضعف او مواضع الخلل التي تؤخذ على الحركة الإسلامية المعاصرة ، ذكرتُها احتساباً لله ، ونشداناً للكمال ، وانا اعلم ان في ابناء الحركة من يضيق بهذا النقد ويفزع منه ، وان في خصوم الحركة من يلتقط هذه الكلمات ليضخمها ويستخدمها للتشويش على الحركة واهدافها ، بل للتشويش على الإسلام ذاته ، كما اشرت إلى ذلك من قبل ، مغفلاً ـ عمداً ـ ظروف الحركة الصعبة من ناحية ، وما حققته من إنجازات تذكر فتشكر من ناحية اخرى .

الحواشي :

(٥) روح المعاني : ١٦/٢٤٣ .

(٦) رواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد . ورواه ابن ابي شيبة وابو يعلى من حديث انس بلفظ (التأني من الله ...) الحديث .

(٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٨) ونصه : (ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) [رواه الطبراني في «الاوسط» عن أنس وعن ابن عمر ، وذكره الألباني في « صحيح الجامع الصغير »] .

(٩) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن واشراط الساعة .

من أحكام

■■ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع إلى أهله » [رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم] .

إن أحكام الإسلام وتشريعاته مبنية على التيسير لا التعسير ، وعلى رفع الحرج عن المكلفين بها . يقول تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ (الحج : ٧٨) ويقول أيضاً :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ (النساء : ٢٨) .

وقد كثر السؤال عن حكم قَصْرِ الصلاة للمسافرين من الطلاب والتجار وغيرهم للدراسة أو لدورات تدريبية أو لأعمال تتعلق بهم ، وخاصة إذا امتدت إقامتهم في البلد المسافَر إليه سنة أو سنتين أو أكثر أو أقل مما يقع الناس فيه . ■■

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود
رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - دولة قطر

والواقع أن حالة الواحد من هؤلاء لا تخرج عن ثلاث حالات هي :

أولاً : أن يقيم إقامة استيطان .

ثانياً : أن يقيم إقامة انتظار لحاجة يريدها دون أن يعين مدة لإقامته .

ثالثاً : أن يقيم إقامة انتظارٍ لحاجة مقيدة بمدة ما كسنة أو أكثر أو أقل .

والحكم الشرعي بحق كل واحد من هؤلاء يختلف حسب حالته ، وواضح أن من يقيم إقامة استيطان في البلد الذي يسافر إليه لا يجوز له القصر ، لأن حكمه حكم المقيم لا حكم المسافر . فمثلاً المعلمون والأطباء والمهندسون والعاملون جميعاً المقيمون في سائر البلدان مدة عملهم فإن حكمهم في ذلك حكم المقيمين من أهل البلد ، مع أن لهم بيوتاً في بلدانهم يحنُّون لها ويسعَوْن جهدهم للرجوع إليها .

دليل القصر

والأصل في القصر قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (النساء : ١٠١) . وقد روى مسلم وأصحاب السنن عن يعلى بن أميَّة قال : قُلتُ لعمر بن الخطاب :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فقد أمِنَ النَّاسُ ؟ فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه ، فسألتُ رسول الله ﷺ فقال :

« **صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته** » .

والضرب في الأرض ينافي الإقامة في البلد ، فلا يسمى المقيم في البلد مدة سنة أو أكثر أو أقل أنه يضرب في الأرض أو أنه مسافر ، وقد عزم على الإقامة وألقى عنه أعباء السفر سواء أطالت إقامته أم قصرت .

تحديد مدة الإقامة

أما تحديد مدة الإقامة التي تقصر فيها الصلاة بأربعة أيام أو أقل أو أكثر فلا دليل عليه ، فإن رسول الله ﷺ أقام في مكة عام الفتح تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ، وإقامته هذه لم تخرجه عن حكم السفر ، كما انه أقام في تبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة فيها .

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - فيما يتعلق بذلك ما نصه :

« **إنَّ النبي ﷺ مكث بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة ، ولم يقل النبي ﷺ لأمته : لا تقصروا الصلاة أكثر من أربعة أيام ، ولكن اتفقت إقامته هذه المدة ، وهذه الإقامة في حال السفر ، ولا تخرج عن حكم السفر سواء طالت أم قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع** (زاد المعاد : ٣/٢٩) ، ثم قال بعد ذلك :

« **إنَّ الأصل أن المسافر باقٍ على سفره حقيقة عرفية وشرعية حتى ينتهي برجوعه إلى محل إقامته - يعني بلده - .** » [المصدر نفسه] ، ويقول في الوابل الصيِّب :

« **... رخَّص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر ، وتعذُّرِ فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السفر ، وتعذُّر النزول وتعسره عليه . فإذا أقام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم**

قَصْرُ الصَّلاة

فجمْعُهُ بين الصلاتين لا موجب له لتمكُّنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة . فالجمع ليس بسنة راتبة كما يعتقده اكثر المتاخرين ، بل الجمع رخصة عارضة ، والقصر سنة راتبة . فسنة المسافر قَصْرُ الرباعية سواء أكان له عذر أو لم يكن ، واما جمعُهُ بين الصلاتين فحاجة ورخصة ، وهذا لون وذاك لون آخر » .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

« ... واما الإقامة فهي خلاف السفر . فالناس رجلان : مقيم ومسافر ، ولهذا كانت أحكام الناس في الكتاب والسنة احد هذين الحكمين : إما حكم مقيم ، وإما حكم مسافر . وقد قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ (النحل : ٨٠) . فجعل للناس يومَ ظعنٍ ويوم إقامة . والله تعالى أوجب الصوم وقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة : ١٨٤) . فمن ليس مريضاً أو على سفر فهو الصحيح المقيم ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشَطْرَ الصلاة » فمن لم يوضع عنه الصوم وشطر الصلاة فهو المقيم .. » .

الواجب في حق المقيم والمسافر من أحكام

نخلص من ذلك إلى القول بأن المقيم في البلد إقامة طويلة كقضاء الصيفية ونحوها أو قضاء مدة سنة أو نصف سنة للتجارة أو لطلب العلم فهذه إقامة حكمها حكم الاستيطان في سائر الأحكام من وجوب إتمام الصلاة ، ووجوب الصوم ، ووجوب الجمعة ، والاقتصار في مسح الخف مدة يوم وليلة ، وسائر ما هو من واجبات الحضر ، لكون الأصل في المقيم الإتمام .

أما المسافر فله إباحة سائر رخص السفر ، وكونه مسافراً أو مقيماً يُعرف من واقع أمره وتصرفه ، وإن من أحبَّ العصمةَ في عمله ، والثقة في أمره فليتمسك بسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية في سفره وإقامته ، وليدعْ عنه ما يُقال من أن فلاناً الصحابي أقام سنتين أو سنة يقصر الصلاة ، أو أن الصحابة أقاموا بكذا أربعة أشهر أو سبعة أشهر يقصرون الصلاة ، فإن هذه الأقوال كلها تحتاج إلى نظر في صحتها ، ثم إلى نظر في معرفة أسبابها لكون معرفة السبب مما يُعين على معرفة الحكم . وعلى فرض صحة هذه الأقوال فإنها أعمال وقعت من الصحابة والتابعين على سبيل الاجتهاد منهم ، والصحابي فضلاً عن التابعي إنما يُحتجُّ بروايته لا برأيه ، والعصمة والثقة في التمسك بسنة رسول الله ﷺ .

تحديد مسافة القصر

أما تحديد مسافة السفر الذي تقصر فيه الصلاة بمسيرة يومين أو ثلاثة فلا دليل عليه ؛ بل كل ما يطلق عليه اسم السفر فهو سفر تقصر فيه الصلاة . ويرىٰ كثير من العلماء ضعفَ حديث : **« يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أقل من أربعة بُرُد »** إذ ثبت أن أهل مكة قصروا مع النبي ﷺ في سفرهم إلى عرفة ، ومسافة عرفة من مكة بَريد واحد . أما ما يذكره بعض الفقهاء من ان النبي ﷺ قال للناس بمنى :

« يا اهل مكة اتموا فإنَّا قوم سفر » فلا صحة له ، فإنه إنما قال لهم هذا ببطن مكة حين صلى بهم الظهر يوم العيد في المسجد الحرام حين طاف طواف الإفاضة .

النيَّـة مدار الحكم

والصحيح أن الإنسان إذا نوىٰ السفر وتهيأ له ، وخرج مسافراً فإن له القصر بمجرد مغادرته لعمران بلدته ، ومهما كانت مسافة السفر الذي يقصده ، ولا عبرة أيضاً بوسيلة السفر ، فالوسيلة لا تغيرٌ من الحكم شيئاً ؛ فسواء أسافر سيراً على قدميه أو راكباً دابة أو سيارة أو طائرة أو باخرة فالحكم واحد في جواز القصر ما دام في سفر طالت المدة أم قصرت . فإذا نوىٰ الإقامة في المكان المقصود فعليه الإتمام طالت مدة إقامته أم قصرت أيضاً . فمدار الحكم على نية الإقامة بغض النظر عن مسافة القصر ، ومدة الإقامة ، ووسيلة السفر .

هل القصر أفضل من الإتمام ؟

يبقى أمر تعرض له الفقهاء وهو : **أيهما افضل القصر أم الإتمام ؟** وجمهور العلماء على أن القصر أفضل من الإتمام ، لأن النبي ﷺ كان يداوم على القصر ، فقد ورد عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أنه قال ؛ **صحبتُ رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ، وصحبت ابا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله »** [متفق عليه] ، ولم يخالف في ذلك إلاَّ الإمام الشافعي في أحد قوليه ، رحمهم الله جميعاً . والحمد لله أولاً وآخراً .

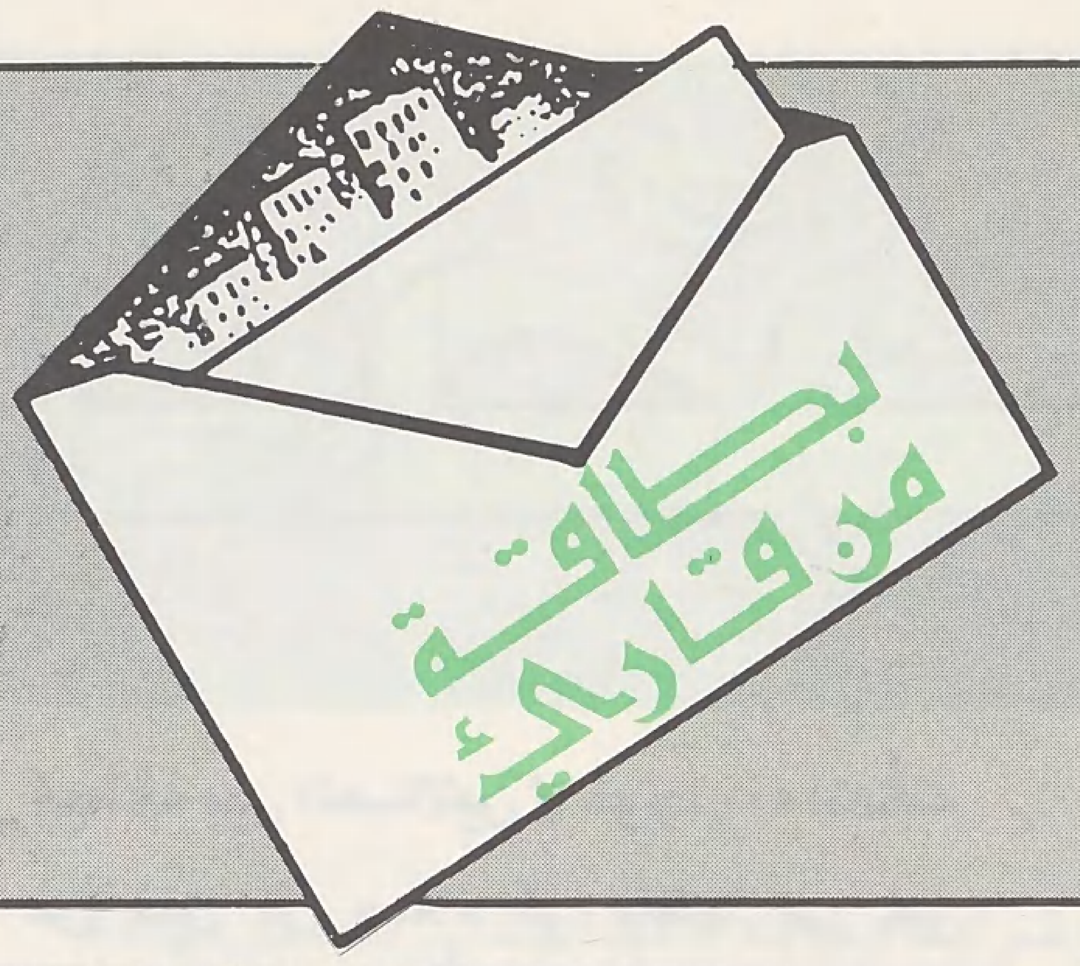

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

الاتفـــاق .. والتناقض القبيـــح

□□ اندفع الروس في تأييد قيام إسرائيل والسباق في تقديم الدعم السياسي والعسكري والبشري إلى حد التفوق على الولايات المتحدة في هذا الاتجاه .. وقد قيل وقتها : إن السبب يرجع إلى وجود اليهود بكثرة في قيادات الاتحاد السوفييتي والأحزاب الشيوعية ، وإلى رغبة الروس في إيجاد موضع قدم لهم في الشرق الأوسط في ظروف كانت الدول العربية كلها معادية لهم ، وغيرذلك من التفاسير التي حاولت أن تستر التناقض القبيح والمفاجىء بين تعاليم الشيوعية وموقف روسيا من قيام دولة عنصرية دينية على أرض شعب آخر بدعم زعيمة « الإمبريالية » ..

والسبب الحقيقي ـ كما نعتقد ـ هو اتفاق جهنمي تعهَّد فيه زعماء اليهود بإعطاء روسيا سر القنبلة الذرية مقابل التخلي عن الموقف التقليدي من رفض الصهيونية ، وقد نفَّذ كل طرف ما تعهد به ، ولا تنسوا أنه في الولايات المتحدة لم يعدم بتهمة إفشاء أسرار القنبلة الذرية للسوفييت إلَّا اليهوديان : « روزنبرج » وزوجته ..

لكنها كانت بداية سيئة قضت على آمال الحركات الشيوعية في الوطن العربي .. □□

[الحـــوادث] [العدد ١٤٨٠] ـ القـــارىء : عبد الله الحلواني ـ سورية

ســـــور أوروبــــــــا

□□ بعد استقلال الجزائر ، القى احد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها : لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر ؟

واجاب عن هذا السؤال بشرح مستفيض ، قال فيه :

إننا كنَّا نعتبر انفسنا سور اوروبا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط ، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها ، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة « بواتييه » جديدة ، ينتصرون فيها ، ويكتسحون أوروبا الواهنة ، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حكم الامويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة .. من اجل ذلك كنَّا نحارب في الجزائر . □□

[عن كتاب : « قادة الغرب يقولون : دمِّروا الإسلام وأبيدوا أهله »]

تأليـــف : جـــلال العالم ـ القارىء : فيصل تليلاني ـ الجزائر

أطفـــــال المســـلمين

□□ سلطات الاحتلال السوفييتي في افغانستان تسرق أطفال المسلمين وترحلهم إلى روسيا لتربيتهم على الإلحاد والأفكار الشيوعية ، وقد شوهد (٨٧٠) طفلاً ـ في الخامس من نوفمبر [تشرين الثاني] الماضي ـ تتراوح أعمارهم بين السابعة والتاسعة ، يودعون اهلهم وذويهم في مطار كابول قبل مغادرتهم وهم في حالات عاطفية مؤثرة .. □□

[الاعتصــــام]

القارىء : الحاج منصور عبد الله

تطـوان ـ المغرب

الوثيقـــــــة !!

□□ في خريف ١٩٨٤م زار وفد برلماني عربي إسبانيا ، ورغب في تفقد المعالم العربية والإسلامية التاريخية الرائعة في الأندلس ، وخصوصاً في مدينة غرناطة ، ورحبت الحكومة الإسبانية بذلك ، وطلبت من رئيس بلدية غرناطة إعداد استقبال رسمي لائق للوفد العربي ، وهذا ما حدث .. لكن بعد انتهاء زيارة غرناطة وقصر الحمراء والمعالم العربية والإسلامية ، حرص رئيس بلدية هذه المدينة على تقديم هدية خاصة لكل عضو من اعضاء هذا الوفد ..

واصيب اعضاء الوفد العربي بصدمة قاسية حين تلقوا هدية رئيس البلدية ، ومن يده .. كانت الهدية وثيقة سقوط غرناطة واستسلامها عام ١٤٩٢م .. وسقوط غرناطة كان الحلقة الأخيرة من انتهاء الحكم الإسلامي العربي للأندلس !! □□

[المستقبل] (العدد ٤٢١) القارئة : عائشة بن شامة ـ باريس

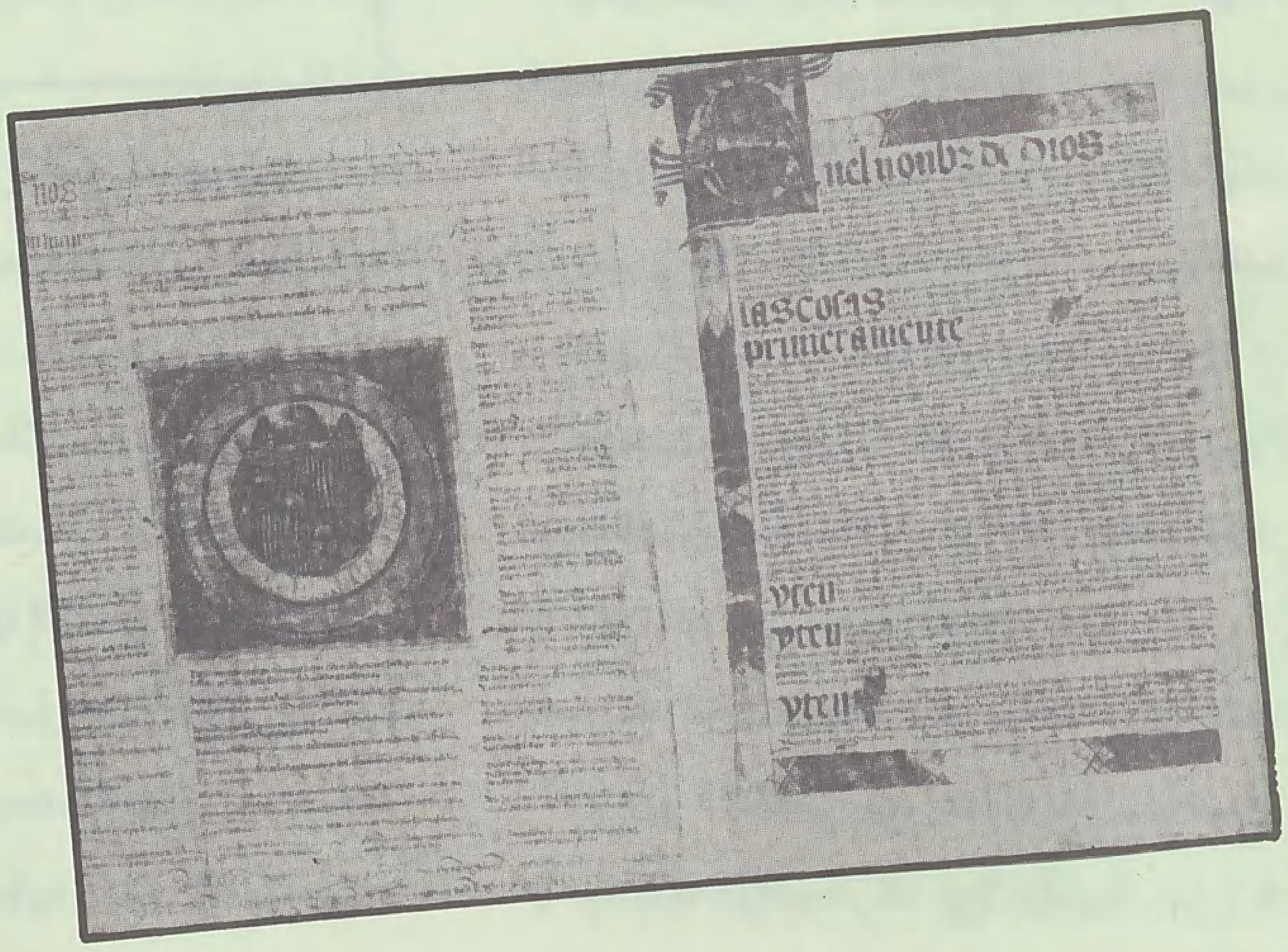

بقلم : الدكتور نجيب الكيلاني

■■ القرآن هو المدرسة الأولى والأساسية للأدب الإسلامي .. تلك هي البديهية المؤكَّدة التي يجب أن نؤمن بها ، ونضعها موضع التطبيق ، فهو ـ أي القرآن ـ معين العقيدة الصافية ، وثبت القيم الأخلاقية الرفيعة ، وينبوع الأساليب اللغوية المتنوعة المعجزة ، والقواعد النحوية الصحيحة ، ودستور المسلم في أمور الدنيا والآخرة ، ومقياس الصدق في العلاقات الإنسانية فردية كانت أو جماعية ، وهو أولاً وأخيراً صورة صادقة للالتزام في الفكر والآداب والسلوك والعلم .. ■■

القصَّة القرآنيَّة والأدب الإسلامي

ولهذا فإن الأديب المسلم ، لا يستطيع ان يجيد تعبيره عن الكون والحياة والإنسان والمخلوقات ، إلَّا إذا استلهم مضامين القرآن ، وواظب على قراءته وفهمه واستيعاب ما فيه ..

ويجب الَّا يتبادر إلى ذهن المتشككين أو المرتابين ان هذا المفهوم يعني تعطيلاً للإبداع الفني الحديث ، او تجميداً للقيم الجمالية في دنيا الآداب ، فالقرآن قمة لا يدانيها بشر ، والجوانب الفنية والنفسية والتأثيرية فيه قد بلغت شأواً فريداً بعيد المنال ، وكان هذا الأداء الإلهي الفذ قادراً على اجتذاب الفطر السليمة ، وعلى إقناع العقول السويّة ، والتغلغل إلى اعماق الوجدان الحي ، ثم الخروج بالإنسان إلى نطاق الفعل المتبصر ، والحركة الواعية ، والتغيير الإيجابي ، وإيجاد مجتمع الخير والعدل والفضيلة ، مع الانتصار على سلبيات الفكر والسلوك .. وهي الغاية التي طالما راودت أحلام الفلاسفة والأدباء والعقائد بين قديم الأزمان وحديثها ، لأن القرآن ـ كما أشرنا ـ وضع الأسس الصحيحة « لفن الكلمة الجميلة المؤثرة » ، سواء أجاءت تلك الكلمة في إطار القصة القرآنية ، أو في آيات الأحكام ، أو ضمن السرد المحكم ، والوصف الدقيق للأحداث والشخصيات والأمثال ، والقواعد العامة ، واحتدام الصراع بين مكونات الكون والحياة ، وهذه كلها أمور تفرغ لها كثيرون من العلماء القدماء والمحدثين ، ولا يزال كنز العطاء القرآني عامراً بالأسرار المعجزة ، والآيات القاهرة ، وسيظل كذلك إلى ما شاء الله .

فالقرآن بكل مضامينه المتكاملة ، واشكاله التعبيرية الرائدة ، مدرسة ادبية متفردة متميزة ، فهو كما قال بعضهم : « ليس شعراً ، وليس نثراً ، ولكنه قرآن » ، لأنه يفوق فنون القول مجتمعة أو متفرقة ، ولذا عجز المشركون أن يأتوا بآية واحدة مثل آياته ، ولأمر ما جاءت كلمات « البلاغ » و « البيان » و « الإبلاغ » و « التبيان » ، تبلور رسالة الإسلام ، وتحدد وظيفة الكلمة ، وقيمة الأسلوب ، في صنع الإنسان المؤمن ، الذي يواجه تبعات الشرك والخوف والعبودية والظلم والرذيلة والفساد ، مما يؤكد للأديب المسلم ـ أبد الدهر ـ أن للأدب أو « فن الكلمة الجميلة المؤثرة » رسالة يؤديها ، ووظيفة يقوم بها :

﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً ... ﴾ (يوسف : ١١١)

لم يكن النسق القرآني المعجز البديع الذي لا يبارىٰ ، مؤئساً للعزائم ، أو مقعداً للهمم ، او باعثاً على الفتور ، او معطلاً للإبداع البشري في مجال التعبير الادبي ، ورسولنا ﷺ هو الذي قرر ان من البيان لسحراً ، وان في الشعر حكمة ، ودعا حسان إلى الخروج ليواجه شعراء القوم بشعر العقيدة الصادقة ، ولم لا ؟ والقرآن هو النبع الذي يستقي منه الشعراء والأدباء ؟ وماذا يضير الكلمة « المسؤولة » ان تترجم عن فكر الدعوة وأصولها بشتى الوسائل والأساليب ، وان يكون « لكل مقام مقال » ، وان تكون مخاطبة الناس « على قدر عقولهم » ؟؟

وقد يكون من المفيد أن أتناول في هذه العجالة موضوعاً هاماً من موضوعات القرآن الكريم وهو القصة .. والمعروف أن فن القصة ـ قديماً وحديثاً ـ له قدرة فائقة في الاستئثار بنفس السامع أو القارىء ، وفي التأثير عليها ، كما يتميز بالتشويق والجذب ، يستوي في ذلك الكبار والصغار ، والمتعلمون والأميون ، ولهذا أفردت لها آداب الأمم حيزاً كبيراً في تراثها ، وتفننت في إبداعها ، وملأتها بكل ما هو مثير واخاذ ، فادخلوا فيها السحر والخرافات والبطولات والمآسي ، وصاغوها شعراً ونثراً ، وسرداً ومسرحيات ، وجاءت الكتب السماوية وحفلت بالقصص كذلك ، وكان القرآن الكريم مدرسة متميزة في الأداء القصصي

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرىٰ ... ﴾

(يوسف : ١١١)

ويقول سبحانه :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... ﴾

ويقول ايضاً :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف : ٣)

القصة القرآنية والأدب الإسلامي

ويقول سبحانه :

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ... ﴾ (الأعراف : ١٧٦)

القصة القرآنية لها مزايا عدّة نذكر منها :

أولاً : ارتباطها بالحقيقة والواقع التاريخي .

ثانياً : أنها أحسن القصص بأسلوبها ومضمونها وتأثيرها وغايتها .

ثالثاً : أنها تقدم للتعليم والعظة والعبرة .

رابعاً : تنوع أشكالها ، فقد تكون قصيرة جداً ، وقد تكون طويلة ، وقد تكون بين بين ، وقد يروى جزء من القصة في مكان ، وتختصر باقي الأجزاء ، ثم تفصل الأجزاء المختصرة في موقع آخر من كتاب الله ، حيث يقضي الموقف ذلك التنوع في الأسلوب أو العرض أو الأداء .

خامساً : الحبكة الدقيقة .

سادساً : الاستنارة أو لحظة التنوير قد تأتي في شكل عبرة أو حكمة أو تقرير موجز ، لأن القرآن يضع الهدف من القصة فوق الاعتبارات الفنية المصطنعة .

سابعاً : البعد عن الغموض والإبهام ، استناداً إلى طبيعة القرآن الكريم من أنه دعوة وبلاغ وإبلاغ ، وبيان وتبيين ، ومن ثم فإن القصة فيه تحرص على الإشباع العقلي والوجداني ، دون حيرة أو إبهام ، حتى يتبلور التأثير ويتوحد فكراً ونفساً ، ويمهد السبيل لرحلة جديدة من التفكير والتذكر واتخاذ موقف واضح .

ثامناً : الحرص على استيعاب الأبعاد المختلفة للشخصية ، وخاصة في نطاق الانفعالات النفسية ، والتفاعلات العقلية ، والممارسات السلوكية .

تاسعاً : التركيز في بعض الأحيان على « جزئية » خاصة في القصة ، لها أهميتها وإيحاءاتها وخطرها ، على الحدث الكلي للقصة .

عاشراً : توظيف « الكلمة » في الجملة ، أو النسق العام ، توظيفاً فريداً ، فتنطبع في الذهن ، وتفعل فعلها في النفس ، وتبدو كعنصر أساسي يستحيل أن يتم البناء الفني بدونها لمن يقرأ أو يسمع .

حادي عشر : يأتي التكرار فيها ، وكأنه صيغة جديدة ، تبعث على الاهتمام والمتابعة ، ولا تبعث في النفس أدنى ملل ، ودونما حشو .

ثاني عشر : شعور الاستمتاع والرضى والحماسة حين تسمع أو تقرأ ، بالنسبة لكافة المستويات الثقافية ومراحل العمر المختلفة .

ثالث عشر : إعطاء المرأة نصيبها في القصص القرآني .

رابع عشر : التركيز على القضايا الأساسية للإنسان مثل : التوحيد ـ العبادة ـ الخير ـ العدل ـ الصدق ـ الجهاد ـ الإيثار ـ الوفاء ـ المحبة ـ العلاقات الإنسانية ـ الصبر ـ الاستقامة ... إلخ .

وتشغل قصة نبي الله يوسف عليه السلام ، معظم آيات السورة ، وتتماوج فيها الأحداث المثيرة الشيقة ، وتبدأ من طفولة يوسف ، وغيرة إخوته منه ، ومؤامرة التخلص منه ، وتداوله في سوق الرقيق ، واستقراره في قصر عزيز مصر ، وافتتان المرأة بجماله ، ووقوعه مرة أخرى بين براثن الغدر والمكيدة ، وإدخاله السجن ظلماً ، وسنوات الجدب التي حلّت بمصر ، وقيام يوسف بالدعوة إلى الله في سجنه ، وخروجه لتنفيذ خطة ناجحة للنجاة من خطر الجوع في سنوات الجدب والجفاف ، ثم الأمل الذي يلازم أباه الحزين في العودة . ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) وتبتسم الحياة .. ويلتقي الأب بولده الصالح وهو في قمة مجده ، ولده يوسف الصديق الذي أيَّده الله بنصره ، ونجاه من شتى الفتن ، واظهر الحق ، وأبان عن قدرته الغالبة ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ (يوسف : ٢١) .

والناظر في قصة يوسف يرى عجباً ، فليس هناك عنصر من عناصر القصة الفنية المعروفة إلّا ونجده فيها ، سواء في الشكل أو المضمون في الحوار أو الوصف ، في العقدة أو المقدمة أو لحظة التنوير ، في رسم الشخصيات والبيئات .. ولنضرب لذلك مثلاً بسيطاً عن جو القصر الذي تعيش فيه امرأة العزيز :

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ
وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ
قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ..
إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ...•
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ..
كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ •
وَاسْتَبَقَا الْبَابَ
وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾

وهنا يظهر الزوج لدى الباب ، وسرعان ما ترتبك زوجه ، فيتفتق ذهنها عن حيلة ماكرة ، ومن ثم تتهم يوسف عليه السلام بأنه هو الذي يحاول الاعتداء عليها .. ويأتي الحكم فيُظهر براءة يوسف ، ولكن الضجة تثور في المدينة :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ

■ بغير استلهام مضامين القرآن ، لا يستطيع الأديب المسلم أن يجيد التعبير عن الكون والحياة والإنسان وسائر المخلوقات .. وليس في ذلك تعطيل للإبداع الفني ، وإنما إمدادٌ له بمزيد من الطاقات والإمكانات .. لأن القرآن وضع الأسس الصحيحة لفنّ الكلمة الجميلة المؤثرة على إطلاقها . ■

عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ ... ﴾ .

(يوسف : ٣٠ ـ ٣٢)

ألا ترى ذلك « السيناريو » المذهل في حركة المرأة التي اشتعل جسدها بالشهوة ، وأعماها الهوى كيف تنقض على يوسف ، وتمزق ثيابه ، ثم يدفعها الحقد الشيطاني لتلصق به تهمة هو منها براء ، وتتمادى في هوسها ورغبتها الآثمة ، فتعلن على النسوة دون حياء ، أنها مصرة على اندفاعها الأرعن ، وأنها سوف ترمي بيوسف في السجن إذا لم ينصع لإرادتها المنحرفة ، والغريب أن تنفذ ما هددت به برغم براءته ، وثبوت طهارته ..

إنني أسوق هذا الجزء بالذات من القصة الطويلة الفذّة ، لأنه يفصح إلى حدّ كبير عن مواصفات « القصة القرآنية » ، وشموليتها على الأبعاد المختلفة للحدث والشخصيات والحوار وتصوير الحركة الهادفة الموحية المؤثرة ، والإحاطة الحكيمة بالمشهد (وهو ما نسميه بالسيناريو) وما يضطرم فيه من أقوال وأفعال وظلال وحرارة وإضاءة ، كما أسوق هذا المثل أيضاً لمن يتحرجون أو يتورعون عن التعرض لمشاعر المرأة وعواطفها ، خاصة في حالة الزيغ والانحراف ، والانسياق وراء إغراءات الإثم ، ولواعج الشهوة ، وأقول لهؤلاء جميعاً :

إن الأثر العام أو الكلي لدى المتلقي هو ما نهدف إليه ، دونما تزيّد أو مبالغة ، تشط بنا عن القصد ، أو تهوي بمشاعرنا إلى الجوانب المهلكة ، ولا شك أن المتتبع لأحداث قصة يوسف عليه السلام سوف يستشعر معاني الراحة والرضى حينما يصل إلى السطور الأخيرة في القصة ، حيث تعترف امرأة العزيز بالحقيقة ، وتعلن طهارة نبي الله :

﴿ ... قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ . وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

(يوسف : ٥١ ـ ٥٣)

وهناك قصة موسى عليه السلام ، وملحمة بني إسرائيل التي تفيض بالعديد من القصص المتميزة ، ذات الفصول الفريدة ، حيث نرى أحداث قارون والسامريّ وفرعون والتّيه وجالوت وطالوت وشعيب ، وقصص سليمان وداود ، ونوح وابنه وقومه ، وإبراهيم وقومه ، والمسيح ومريم ، ونلاحظ في هذه القصص وغيرها القضايا الرئيسة التي تمس واقع الإنسان في دنياه ، والعالم الآخر ، وما يحفل به ..

وبعد ..

أليس هذا هو ﴿ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ؟؟

أليس هذا هو ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ؟؟

وهل هناك إبداع أسمى من إبداع « البديع » سبحانه ؟؟

إن القصة بالمفهوم الإسلامي فن سامٍ بكل معنى الكلمة ، وإنه يستمد سموه من عظم الرسالة التي يبلغها للبشر بأسلوبه الممتع المؤثر ، وتفوق المثل الذي يعرضه ، ولن نستطيع بحق أن نبدع أدباً إسلامياً حقيقياً دون النظر إلى كتاب الله ، والتمعن في آياته ، والاستيعاب لقصصه ، والتأدب بآدابه ، والتشبع بمنهجه ، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ ..

لقد قدمت دراسات عديدة في الإعجاز البياني للقرآن ، وعكف بعض الباحثين على دراسة القصة القرآنية ، واهتم بعضهم بمقارنة قصص القرآن بالقصص الذي ورد في الكتب السماوية الأخرى ، وحاول بعضهم النبش في مظانّ قديمة مدعياً البحث عن أصول القَصَص الوارد في الكتب السماوية ، وبعض الباحثين استسلموا لأوهام المستشرقين والمنصِّرين ، وخلصوا إلى نتائج غاية في الغرابة والزيف ، لكن كم واحداً من أولئك وهؤلاء حاول أن يبتدع فناً قصصياً معاصراً يستلهم تراثنا العظيم ، ويتعلم منه معنى الالتزام ، ويسمو بالكلمة الجميلة المؤثرة إلى آفاقها الإلهية السامية ، حتى يصبح الفن الحديث بحق إعلاماً إسلامياً صادقاً ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معانٍ إيجابية بناءة ؟؟

حاجة العصر

بقلم : أبو الحسن علي الحسني الندوي

■■ يطيب لي ويحلو ان اتحدث إليكم حديث أخ لإخوته ولزملائه في مجال واحد من العقيدة والفكرة ، والدعوة الإسلامية ، ويزيدني سروراً وشرفاً أن يكون حديثي في ظلال مهد الدعوة الإسلامية ، والانطلاق الإسلامي الأول .

تسمعون بالمجاعة التي تجتاح الآن وتكتسح مساحة واسعة من افريقيا ، تكتسح إثيوبيا ، ونيجيريا ، وموريتانيا ، وقطعة من السودان ، تسمعون بهذه المجاعة التي يذهب ضحيتها ملايين من البشر ، وقد اصبح موضوعها الشغل الشاغل للصحافة العالمية ، والمقيم المقعد للمجتمع الإنساني المعاصر ، وقد هزَّ الشعور الإنساني واستفزَّ العاطفة الإنسانية النبيلة ، ولها الحق كله في ذلك ، وإننا نسمع صداها في كل بقعة من بقاع العالم .

قد تستغربون أن يكون مدخل حديثي اليوم الذي هو خاص بموضوع « حاجة العصر وفريضة الداعي المسلم وكيف يحسن القيام بها ويؤثر في الجيل المسلم الجديد » ما صلة هذه المجاعة المشؤومة والنكبة العالمية بهذا الموضوع الوقور الهادف ؟ إنني لا اريد أن أكدر صفوَ اوقاتكم وأن ازعجكم بالحديث عن هذه المجاعة ، ولكنني اريد أن الفت نظركم إلى مجاعة أخرى ، إلى مجاعة هي اكثر خطراً ، واكبر ضرراً ، واعمق اثراً آلافاً من المرات من هذه المجاعة الغذائية ، هل تصدقونني إذا قلت لكم : إن هنالك مجاعة تكتسح العالم بأسره ، وتغزو الشعوب ، وتغزو المجتمع المعاصر من زمان ، ولا ينتبه لها أحد ولا يشمئز منها الضمير الإنساني ، ولا يستيقظ لها الوعي البشري ، ولا ينتبه لها المعنيُّون بقضايا البشرية ، المعنيُّون بحاضر الإنسانية ومستقبلها .

ما هي تلك المجاعة ؟! إنني اريد أن أثير فيكم التساؤل ، فإن التساؤل هو منطلق الفكر الصحيح ، وكان ذلك من آداب الرسول ﷺ وسننه في التعليم والتربية ، فقد ورد أنه ﷺ قال مرة لأصحابه رضي الله عنهم :

« إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ قال عبد الله بن عمر : فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي انها هي النخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا يا رسول الله ما هي ؟ قال : « هي النخلة » ! [البخاري] .

وكذلك عن أبي بكر رضي الله عنه ، قال : خطبنا النبي ﷺ يوم النحر ، فقال : « اتدرون أيّ يوم هذا ؟ » ، قلنا : الله ورسوله أعلم ! فسكت حتى ظننَّا انه سيسميه بغير اسمه ، فقال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى ، إلى آخر الحديث » [البخاري] .

ما هي تلك المجاعة ؟ واي داعٍ كان للحديث عن هذه المجاعة التي هي معلومة للجميع ؟

هذه المجاعة التي قلت إنها اكبر خطراً واكثر ضرراً وأعمق أثراً من هذه المجاعة الغذائية التي تكتسح مساحة كبيرة من افريقيا المسلمة وغير المسلمة هي مجاعة الإيمان ، هي مجاعة الهداية ، هي مجاعة الإخلاص والضمير ، هذه المجاعة العالمية التي تجتاح البشرية الآن ، ولكن لا ينتبه لها احد ، ولا تقوم لها القيامة كما قامت القيامة - إن صح التعبير - للمجاعة الأولى ، فكثر الحديث عنها في الصحف ، وفي النوادي ، وفي التعليقات ، وتواترت الشحنات الغذائية ، والنجدات الطبية والمالية إلى هذه المناطق المنكوبة . إن المجاعة الإيمانية التي تغزو الآن المجتمعات البشرية المعاصرة ، والأمم ، شرقية فيها وغربية ، وشمالية فيها وجنوبية ، قد بسطت أجنحتها من زمان ، ويذهب ضحيتها كل يوم ملايين من البشر يموتون في أرقى بلاد العالم حضارة وثقافة ، واغناها جامعاتٍ ومجامعَ علمية ، يذهب ضحيتها في هذه المناطق المتحضرة الراقية كبار العقلاء وأصحاب الاختصاص في العلوم والفنون ، والمعنيون بالقضايا الإنسانية ، وهم الذين يديرون دفَّة الأمور ، ويجدِّفون بسفينة الحياة ، الذين سيطروا على الشعوب والبلاد ، وفرضوا إرادتهم ومخططاتهم على هذه السفينة البشرية ، إنهم يعيشون في عمىً وظلام ، في جهالة عمياء ، بل في جاهلية جهلاء ، كما كان الناس يعيشون قبل الإسلام ، ولكن لا عين تدمع ولا قلب يتألم .

قد كانت مجاعة أشد من هذه المجاعة قبل البعثة النبوية وبعدها ، إلى فترة زمنية قصيرة ، وقد صوَّرها القرآن بإعجازه فقال :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم : ٤١) .

كان الظلام مطبقاً على البشرية كلها ، كان الناس يعيشون عيش الدواب وعيش البقر ، بل عيش الحمير وعيش القرود ، (اسمحوا لي) ، واحسنهم حالاً من كان يعيش عيش الطيور ، ولكن طيور في اقفاص ذهبية وفي سعة من حَبٍّ وماء ، يقول القرآن : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ .

هنالك بعث الله محمداً ﷺ رحمة للإنسانية كلها ، لا رحمة للعرب الذين تخلفوا عن ركب الحياة ، والذين انعزلوا عن العالم وعن مصائر الأمم ، وعن كل ما يؤثر في مسيرة الحياة ، بعث الله محمداً ﷺ ، وبعث معه أمةً بأسرها ، فكانت بعثة مقرونة . لم تكن بعثة مؤقتة أو محدودة ، يبعث نبي ويدعو إلى الله ويفارق الحياة ولا يخلِّف من يخلفه في دعوته ، إن الله سبحانه وتعالى لما قرَّر أن تكون هذه البعثة هي البعثة الأخيرة الخالدة ، والبعثة العالمية ، بعث معه أمةً بأسرها ، وقد يستغرب بعض الإخوان ويتساءل هل كان نهوض المسلمين يحملون اعباء الدعوة ، ويحملون الرسالة الإسلامية ، ويخرجون من جزيرتهم يدعون إلى الله « بعثة » ؟ ولكن القرآن يؤثر هذا التعبير فيقول :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ، لم تكن هذه الأمة حشائش طفيلية ، ولا نابتة من النوابت ولا أشجاراً في الغابة تنبت بنفسها وتنمو وتموت ، لا .. إنما كان إخراجاً من الله القائل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ ، إن هذه الأمة ما خرجت .. إنما أُخرجت ، وشتان بين الخروج وبين الإخراج ، وقد آثر الرسول ﷺ هذا التعبير ، فقال لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، كان يبعثهم إلى اليمن ويعلمهم فيقول : « إنما بُعثتم ميسّرين ولم تُبْعَثوا معسّرين » .

خرجت كتائب الإيمان من مدينة الرسول ﷺ ، وانطلق جيش الإنقاذ وجيش الإسعاف ، ليس جيش الإسعاف الطبي ، ولا جيش الإسعاف الغذائي ، بل جيش الإسعاف الإيماني ، فكانت مفاجأة من أكبر المفاجآت التي سجّلها التاريخ ، خرج العرب بثيابهم المرقَّعة وبنعالهم

ومسؤولية الأمة

■ لمَّا خرج كسرى آخر ملوك الفرس من المدائن أخذ معه ألف طاهٍ وألف مغنٍ وألف مربٍ للصقور ، وكان يرثي لنفسه ، ويقول : يا حسرتا .. كيف أعيش ؟ إنها مدنية مزورة قامت على دماء الفقراء وعرق الفلاحين . ■

■ العالم بحاجة إلى الداعي المسلم يخرج ثانية من الجزيرة العربية ومن جميع البلاد الإسلامية ويحمل رسالة الإسلام ورسالة السلام بكل معاني الكلمة . ■

المخصوفة ، وبغرزهم المتقطع ، وبسيوفهم البالية الأجفان ، من غير مدد يصل إليهم ، ومن غير تموين منظم ، خرجوا متوكلين على الله ، فكان منهم جيش توجه إلى إيران الإمبراطورية الساسانية الكيانية التي دامت قروناً عديدة ، وتوزَّعت العالم المتمدن المعمور مع قرينتها ؛ وبالأصح مع منافستها الإمبراطورية الرومانية البيزنطية ، فارسل قائد القواد لجيش إيران « رستم » الذي كان يلي الإمبراطور « كسرى » في المنزلة والنفوذ والأهمية ، إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائد الجيش الإسلامي ، وطلب منه أن يرسل إليه من يستطيع أن يعرف منه الهدف من هذا الغزو العربي ، وما كان يتصور أكثر من أن هؤلاء الرحَّالين العرب الفقراء الصعاليك إنما أخرجهم الجوع ، ولهم الحق أن يخرجوا ، فقد دفعهم الجوع وما كانوا فيه من ضيق العيش وقلة الموارد إلى هذه المملكة الفارسية التي يسمعون عن ثروتها ونعيمها وبذخها وترفها ، هذا الذي كان يصل إليه ذكاء « رستم » فالأمر بسيط ، نزوِّدهم بالميرة والمواد الغذائية ، ونقول لهم : ارجعوا إلى بلادكم وسيصلكم المدد والتموين ، وسنتعهدكم بالطعام والكسوة ، هذا الذي كان يتصوره رستم .

واختار سعد بن ابي وقاص رجلاً من المسلمين ، ولم يدقق في الاختيار ، وهذا كان شأن المسلمين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، أصبحوا على مستوىً عالٍ من الاعتزاز بالدين ، والاعتماد على الشخصية الإسلامية ، وفهم الدين الفهم الصحيح ، وكانوا بعيدين عمَّا يعبر عنه في علم النفس الحديث بمركَّب النقص ، وبالعكس إذا طلب ذلك من حكومة منظمة تختار اقدر رجل على التفاهم ، رجلاً « دبلوماسياً » ماهراً قادراً على الإجابة على الأسئلة التي ستقدم إليه ، لكن سعداً رضي الله عنه لم يتريث ولم يستشر طويلاً ، إنما طلب احد الأعراب المسلمين اسمه ربعي بن عامر رضي الله عنه ، وقال له : اذهب إلى رستم ، وتكلَّم معه .

ذهب ربعي إلى رستم ، وقد زيَّن رستم مجلسه بأكثر ما يمكن أن يزيِّنه ملك من الملوك حتى يُرْهَب هذا الرجل ويُغْلَب على أمره ، ويقف مشدوهاً حائراً ، تقدَّم سيدنا ربعي بن عامر بثقة واعتزاز ، عنده معنوية من اقوى المعنويات ، قال له رستم : ما الذي جاء بكم ؟

تصوروا .. إذا وجِّه هذا السؤال إلى أي أستاذ جامعي - ولا مؤاخذة - وإلى اي ممثل دولة ، يحتاج إلى تهيئة الكلام سابقاً ، وتحريره وتدقيقه حاضراً ، ولكنه قال من غير تردد : « الله ابتعثنا » إنها الضربة الأولى الموجعة ، ليس الأمر يا قائد قواد إيران أمر المجيء بالإرادة والخِيَرَة ، لو كان شيء يجيء بنا لكنا قد جئنا قبل هذا بزمان ،

حاجة العصر ومسؤولية الأمة

فالوضع الاقتصادي في الجزيرة هو الوضع من قرون ، وحاجتنا إلى الطعام والكسوة ولين العيش ، هي الحاجات الدائمة ، وكنَّا نعرف عن طريق الجوار والقوافل التجارية والجوَّابين ما تنعم به فارس من الخيرات والثروات ، ولكن ما أراد الله ذلك ، وما كانت عندنا رسالة ، إنما هو الابتعاث : « الله ابتعثنا » وهنا تلتقي القوة الإيمانية مع القدرة البيانية ، وإذا التقت القوة الإيمانية مع القدرة البيانية ، فهنالك التيار الكهربائي الذي يسري في العقول والأجسام ، كلمات دقيقة عميقة كأنها قد فُكِّر فيها طويلاً ، وتناولها المحررون المنقحون بالتنقيح والتحرير ، وهنا الإيمان يتكلم ، ليست العربية الفصحى هي التي كانت تتكلم ، وهي الحكمة الإيمانية التي انتقلت إليهم من مجالس الرسول ﷺ ومن تربيته ، ويدل هذا على انهم كانوا مؤمنين بأنهم مبتعثون ، وقد كان ربعي بن عامر دقيقاً في اختياره لكلمة الابتعاث ، لم يقل بعثنا ، لأن « رستم » وجلساءه لا يستطيعون ان يفهموا البعثة في معناها الصحيح ، إنهم كانوا يجهلون الفرق بين النبوّة والدعوة ، فلم يختر كلمة بعثنا ؛ لأن هذا قد يوهمهم ، ولما كان سيدنا ربعي بن عامر صاحب عقيدة واضحة راسخة في التوحيد ، يعرف أن الهداية من الله ، والقلوب بيد الله ، قال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء » لم يقل لنخرج من شئنا ، ولو كان الأمر بأيدينا لكنا أخرجنا نفوسنا من قبل ، ولكنها إرادة الله وقدرته ، كلمات كلها مرتجلة ، كلمات حاضرة بديهية ، ولكن إذا أراد الإنسان أن يستبدل كلمة بكلمة لا يستطيع ، كأنها إلهام من الله ، « الله ابتعثنا لنخرج من شاء » .. الله اكبر .. من يقول هذا ؟ هل كان يستطيع ان يقول ذلك يهودي ؟ هل كان يستطيع أن يقول ذلك نصراني ، أو مجوسي ، أو هندوسي ؟! من شاء ، ليس هذا إلينا ، ليس هذا في إمكاننا ، وكانوا يقولون عند الملوك والأمراء والقواد الذين كانوا يستنطقونهم : « كنَّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منَّا الضعيف »[1] .

فلو كان الأمر بأيدينا لكنَّا خرجنا من هذه الجهالات والسفالات ، وهذا المستنقع الذي كنا نتردىٰ فيه منذ قرون ، ولكن لمّا أراد الله أن يبعث رسوله فينا ، وتشرق شمس الإسلام ، وتأتي الدعوة الإسلامية تغير كل شيء ، خرجنا نحمل هذه الدعوة ، ولا يزال الأمر بيد الله تعالى .

إنه قال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده » .

ما أوسع هذه الكلمة وما أجمعها وما أبلغها ! ، يتكلم العربي المسلم الأعرابي أمام رجل قد استعبد الناس ، وأمام أمة قد استعبدت الأمم ، وأمام طبقة أرستقراطية قد استعبدت الطبقات كلها ، فلا أبلغ من قوله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . هنالك أنواع من الاستعباد ، واستعباد الإنسان للإنسان أقبح من الاستعباد للحيوان ، وعبادة الإنسان للإنسان أكثر من عبادة الإنسان للأوثان .

ثم قال : « ومن ضيق الدنيا إلى سعتها » لو قال : « من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » ، لم أستغرب ، لأن هذا معلوم ، كانوا مؤمنين أن هناك حياة أوسع وأطيب من هذه الحياة ، والدنيا ضيقة والآخرة واسعة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ وفي الحديث : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » ، فإذا كان سيدنا ربعي بن عامر قال : « من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » ، لم يكن مستغرباً ، بل كان متوقعاً ومقبولاً ولكن قال : « من ضيق الدنيا إلى سعتها » نحن العرب البدو الذين نعيش في الخيام ، والذين نأكل لحوم الإبل ، ونعيش على التمر ، إنما جئنا لنخرجكم أيها الفرس المنعَّمون من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، فأي ضيق يا ترىٰ كان فيه الفرس ؟ وأي سعة كان فيها العرب ؟ هل كان العرب في سعة ؟ وهل كان الفرس في ضيق ؟ ، لولا أن التاريخ الأمين حدثنا بذلك ، لما صدّقنا أن بدوياً اجترأ أن يقول ذلك لقائد قوات فارس العظيمة ، ووزير الدفاع في امبراطورية كسرىٰ ، إنها معجزة من معجزات الهداية الإلٰهية ، والرسالات السماوية ، والصحبة النبوية ، كان من المتوقع المعقول أن هؤلاء العرب إذا دخلوا في حدود فارس التي كانت من أرقى البلاد ، وفي المدائن عاصمة الإمبراطورية الساسانية ، يسيل لعابهم على الأطعمة المترفهة الفارسية ، وتتحلب أفواههم على هذه النعم التي كان الفرس يتمتعون بها ، إن العرب الذين كانوا يحسبون الكافور ملحاً ، ولما جربوا لأول مرة الخبز الرقاق حسبوها مناديل فجعلوا يمسحون بها أيديهم[2] ، كان لهم الحق أن يقولوا لرستم ، جئنا لنخرجك يا رستم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا . فإذا سأل رستم : ألا تستحيي أيها العربي البدوي أن تقول : إنك تخرجنا من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ؟ هل أنت في سعة ونحن في ضيق ؟ ، ألا ترىٰ إلى مجلسنا كيف زين بالزرابي المبثوثة ، والنمارق الغالية ، واليواقيت والجواهر التي تعشىٰ لها العيون ؟ هل نحن في ضيق وأنتم في سعة ؟ ، ولكن الثقة التي وهبها الإسلام ، الثقة التي نفقدها ! يذهب منَّا شاب ـ وسامحوني ـ قد نشأ هنا ، أو في قطر إسلامي متحضر في المدينة الراقية ، والحياة الرخية ، يدخل في بلد أوروبي فيأخذه العجب ، وتبهره الحضارة ، ويستهين بأمته وبلاده ، ولكن هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في حدود إيران لم يسل لعابهم أبداً ، ولم يأخذهم سحر الحضارة التي رقّت حواشيها ، إنكم إذا قرأتم « أخبار فرش بهار » (بساط الربيع) في تاريخ الطبري وتفاصيله تصورتموه حكاية من حكايات الجن ، كانوا يبسطونه في أيام الخريف ليستحضروا ذكريات الربيع ، ويستنشقوا أريج الربيع ، إلى هٰذا الحد بلغت مدنية الفرس .

وتصوروا أن « كسرىٰ يزدجرد » آخر ملوك الفرس لما خرج من المدائن وقد أيقن أن ملكه زائل ، أخذ معه ألف طاهٍ (طبَّاخ) وألف مغنٍّ ، وألف مربٍّ للصقور ، وكان يرثي لنفسه ، ويقول : يا حسرتاه ما أخذت شيئاً ، كيف أعيش في هذه القلّة القليلة من الخدم والحشم[3] ؟ وإلى هٰذا الحد بلغت المدنية الفارسية المزوّرة المصطنعة التي قامت على دماء الفقراء وعلى عرق الفلاحين .

إن هؤلاء الصحابة الفقراء في هذا الجيش الإسلامي لم يسل لعابهم أمام هذه المدنية بل بالعكس ملأ جوانحهم الرثاء والرحمة لهؤلاء المنعمين المنكوبين ، المترفين المعذبين ، الأشقياء البائسين ، الذين كانوا يسمونهم ملوكاً وأمراء ، ملأ قلوبهم الرثاء والرحمة وما تركت مكاناً في جوانحهم للغبطة وللحسد ، يقول سيدنا ربعي بن عامر : أنا أرثي لك يا رستم وأرثي لأمتك وأرثي لبلادك ، وأرثي لمن حولك ، إنكم في ضيق ونحن في سعة ، أنتم كالبلبل الغرِّيد ، وكالعصفور المدلل في قفص ذهبي ، فالطائر المدلّل مهما كان مدلّلاً ، إذا كان في قفص فهو أسير

محبوس ، وكذلك انتم في رق واسر ، انتم تعبدون ما تنحتون ، تقولون : هذا هو المستوى الرفيع ، هذا هو المستوى الصحيح لرجل كريم شريف ثم تعبدونه ، تربطون بها نفوسكم ، وتربطون طاقاتكم ، وتربطون شرف إنسانيتكم بهذا المستوى الذي تضعونه انتم وتعيّنونه .

ويكفيه مثال واحد ؛ إن « يزدجرد » لمّا غادر بلاده وعرف انه لا يرجع إليها ، وان الحكم للعرب المسلمين بإذن الله تعالى ، لجأ إلى كوخ عجوز فقيرة ، فأصابه العطش فطلب الماء ، فجاءت العجوز المسكينة بالماء في كوب من خشب ، فقال اشرب من هذا ؟ والله لو متّ عطشاً ما استطعت ان اشرب من هذا ، وقُدّم إليه طعام في هذه الجولة الاضطرارية ، فقال : لا استطيع ان اسيغ لقمة إلّا إذا سمعت الغناء والموسيقى[٤] ، فكان الملوك والأمراء إذا جلسوا على الموائد ، غنّى المغنون أولاً ، بعد ذلك يطيب لهم الطعام ، وأي عبودية اكثر من هذه ، وادق واعمق واقوى ؟

الإنسان يموت عطشاً ولا يشرب من كاس من خشب ؟ هكذا استعبدتهم عاداتهم ، استعبدتهم شهواتهم ، استعبدتهم اعرافهم ، استعبدتهم تقاليدهم ، واستعبدتهم المعايير المصطنعة ، ولكن العرب كانوا احراراً بمعنى الكلمة كله .

يقول ربعي بن عامر : انت يا رستم تتصور اننا اخرجنا الضيق لنشارككم في السعة لا ! لا ! القياس خطأ ، انتم تعتقدون اننا خرجنا رثاءً لانفسنا ورحمة بنا لاننا قد ضاقت صدورنا من هذا العجز المالي ، ومن ضيق الموارد . لا ؛ إنما أخرجنا الرثاء لكم ، نحن نعطف عليكم لانكم عبيد ، وعبيد عشر مرات ، وعبيد مائة مرة ، ولمئات من الاشياء ، ما هي العبودية ؟ إذا كانت العبادة لوثن واحد ، فهنالك عبادة مائة وثن ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد حرّر العرب المسلمين من هذه العبادات كلها ، من عبادة الأوثان أولاً ، وهي أقبح العبادات ، ثم من عبادة العادات ، وعبادة البطون والمعدات ، وعبادة الشهوات ، وعبادة المطامح الانانية البعيدة ، أخرجهم وانقذهم من هذه العبادات كلها ، اما انتم ايها الفرس ! فما عرفتم لذّة الحرية وما جربتم الحياة الحرة اللذيذة العزيزة ، نحن العرب جئنا لننقذكم لا لننقذ نفوسنا ، وقد رقّت قلوبنا ، ودمعت عيوننا ، وذابت مهجنا لكم لا لنا .

هنا قد استدار الزمان كهيئة ، الآن مجاعة إيمانية تجتاح العالم ولا جيش إنقاذ ، ولا جيش إسعاف ، ولا إغاثة للاجئين ، وفيكم الغوث ، فيكم النجدة وفيكم الإسعاف ، يا ابناء العرب والمسلمين ، انقذوا العالم كله من براثن الجاهلية ، من براثن الوثنية ، من براثن عبادة الشهوات والنفوس ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، هنالك منظمات علمية ومنظمات ادبية ، ومنظمات ميكانيكية ، وفنيّة وتكنولوجية ، وسياسية ، ولكن اين جيش الإنقاذ ؟ اين الدعاة المخلصون الربّانيون ؟ أين الذين يرثون للحالة الراهنة وللوضع الشائن الذي يعيشه العالم كله من أوروبا وامريكا والصين واليابان والهند ؟ إن اهل هذه الأقطار جديرون بالرثاء ، جديرون بالرحمة ، ليسوا جديرين بالغبطة ، هؤلاء يعيشون في عذاب من التنافس والتكاثر ، سلّطه الله عليهم ، هم في خوف من الموت ، في خوف من الفقر ، في خوف من الحرب ، وصدق الله العظيم : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ، اخبرني الثقات الخبراء ان اكثر الادوية استهلاكاً هي الادوية المنومة ، لان هؤلاء لا يهدأ لهم بال ، ولا يقرّ لهم قرار ، فيتعاطون الادوية المنومة حتى يتناسوا همومهم ، كل واحد يلهث كالكلب الذي إذا ضربته يلهث ، وإذا تركته يلهث ، ومن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الشقاء إلى السعادة الأبدية ، ومن الانزعاج ، ومن الهم الذي ملك عليهم نفوسهم وضمائرهم ، ووعيهم وتفكيرهم إلى هدوء البال ، وإلى الرضاء والطمانينة ، إلى الرضا بالله تعالى ؟ .

هذه حاجة العصر ، وهذه فريضة الداعي المسلم : ان يخرج مرة ثانية من هذه الجزيرة ومن جميع البلاد الإسلامية ، ويحمل رسالة الإسلام ، ورسالة السلام ، السلام بكل معاني الكلمة ، السلام العالمي ، السلام العقلي ، السلام النفسي ، السلام الباطني والظاهري ، يحمل رسالة الإسلام الكاملة ، ويحمل رسالة السلام الشاملة ، ويملك من البيان ومن قدرة التفهيم ما كان يملكه ذلك البدوي ، لذلك نحتاج إلى ادب إسلامي جديد ، لذلك نحتاج إلى القدرة على التفهيم البليغ ، نحتاج إلى الاعتزاز بالنفس ، وبالشخصية الإسلامية ، وبرسالة اكرمنا الله بها .

هذه هي قضية العصر الشاغلة ، هذه قضية الساعة ، إن كل القضايا الإنسانية التي تجسّم وتجسّد ، وتفخّم ، ويبالَغ فيها ، هي قضايا خيالية ، او قضايا جانبية ، القضية الرئيسة الآن التي تشغل عقل المفكِّرين المخلصين هي مصير الإنسانية والوضع الحاضر ، هنالك يجيء دور المسلمين ، دور الدعاة المسلمين أن يحملوا رسالة الإسلام مرة ثانية إلى أوروبا وامريكا وروسيا واقطار الشرق البعيد ، يقولون لهم : انتم في شقاء ، انتم في جحيم ، انتم أوجدتموه واخترعتموه ، نريد ان نخرجكم من جحيم المنافسة المادية ، جحيم المنافسة السياسية ، جحيم العبث بمصائر الأمم ، العبث بالحظوظ الإنسانية ، والعبث بالكرامة الإنسانية .

إلى هنا يجب ان يبلغ مستوى عقولنا وتفكيرنا ، أمامكم مضمار واسع المدى ، امامكم مجال كبير ، وأمامكم معركة حامية ، أمامكم مصير حاسم ، يجب أن تهيئوا نفوسكم وتعدّوها للدخول في هذا المضمار ، هذا هو المضمار الأممي العالمي وانتم فرسان هذا المضمار ، يقول الشاعر العربي :

كلّ امرىء يسعى إلى يوم الهياج بما استعدّا

ادعو الله تبارك وتعالى ان يوفقنا جميعاً ، وان يقدر لنا نصيباً من هذا الشرف العظيم الذي اكرم به آباءنا المؤمنين الغرّ الميامين ، وان يكتب لنا نصيباً في هذه السعادة .. ■■

---

(١) من كلام جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ في مجلس النجاشي ملك الحبشة (سيرة ابن هشام ، ق/١ ، ص/٣٣٤) .

(٢) راجع تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية لابن كثير .

(٣) ليراجع كتاب « إيران في عهد الساسان » لمؤلفه الأوروبي صاحب الاختصاص في تاريخ إيران (ARTHOR CHRISTENSEN) الدانماركي ، وتاريخ إيران بالعربية لشاهين مكاريوس ، طبع القاهرة .

(٤) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس .

من نور كتاب الله

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً . وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (النساء : ١٧ ـ ١٨)

الزَّاهـد ...

اختلف في مجلس الزهري في معنى قول القائل : فلان زاهد . . .

فقال الزهري : الزاهد : الذي لا يغلب الحرامُ صبرَه ، ولا الحلالُ شكرَه . . . [البيان والتبيين]

ببيت المقدس

روى أحمد في مسنده قال :

وجدت في كتاب أبي بخط يده ، حدَّثني مهدي بن جعفر الرملي ، حدثنا ضمرة عن الشيباني واسمه يحيى بن أبي عمرو عن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تزال طائفة من أُمّتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلّا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » .

قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : « ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس » .

إخـوان الصَّفـا

جماعة سريّة دينية وسياسية وفلسفية ، إسماعيلية باطنية ، عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، يذكر منهم خمسة : محمد بن مشير البستي الملقب بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، ومحمد بن أحمد النهرجوري ، والعوضي ، وزيد بن رفاعة . . . صنعوا مذهباً زعموا أنه يؤدي إلى الفوز برضوان الله ، ولذلك سموا بـ « إخوان الصفاء وخلان الوفاء » جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد على الخمسين ، مذهبهم تلفيق ؛ أخذوا فيه من كل علم ؛ واعتقدوا أن الشريعة دُنِّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلّا بالفلسفة ، ففيها الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال !! تقع رسائلهم في أربعة أقسام : قسم في الرياضيات ، وقسم في الجسمانيات ، وقسم في النفسيات ، وقسم في الناموسيات ، فضلاً عن الرسالة الجامعة التي تجمع وتوضح كل ما جاء بهذه الرسائل . . .

[الموسوعة العربية الميسرة]

آداب الرعية مع السلطان

قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة به إلّا بشيء يلزم أمره ، ودوام الهيبة له ، وإن كان ذا رفق ، وترك الجرأة عليه وإن كان ذا لين ، وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، والدعاء له إذا ظهر . [إحياء علوم الدين]

واجب السلطان نحو رعيته

استعمال الرفق ، وترك التعنيف ، والفكر قبل الأمر ، وترك التكبر على الخاصة ، وحسن التودد إلى العامة مع مزج الرهبة لهم ، واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم مع الرفق في الجناية ودوام الحماية . . .

[إحياء علوم الدين]

الموازين القسط

مَن جمع بين العدل والجور في ولاية ، هل يقوم عدله بجوره أم لا ؟

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء) رحمه الله في (قواعد الأحكام) : ما فوت من المال مضمون عليه في الدنيا ، فإن أدّاه ، برئت ذمته منه ، وبقي عهدة إثم الحيلولة ؛ وإن لم يؤده أُخذ في الآخرة من حسناته ، فإن فنيت ، طرح عليه من سيئات مَنْ ظُلِم ، ثم طُرِح في النار . . . قال : وكذا في الدماء والأبضاع والأعراض ، وفيما أخر من الحقوق الواجب تقديمها ، أو قدّم مما يجب تأخيره من ذلك .

ولقد قال رب العالمين : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) .

واللّهِ ما كذبت

ذكر الإمام مالك أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز تقاولا مرة ، فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت . فقال عمر : تقول : كذبت ، والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ؛ ثم هجره ، وعزم علي الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه سليمان ، ثم بعث إليه ، فصالحه ، وقال له : ما عرض لي أمر يهمني إلاَّ خطرت على بالي . . . ولما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز ، فانتظم الأمر على ذلك ولله الحمد .

[البداية والنهاية]

الغيبة رعي اللئام

روت أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ :

« من ذبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقاً على الله عز وجل أن يحرِّم لحمه على النار » .

وقال عدي بن حاتم : الغيبة رعي اللئام .

وكان الحسن البصري يقول : الغيبة فاكهة النساء .

وقال رجل لابن سيرين : إني اغتبتك ، فاجعلني في حلّ . فقال : ما أحب أن أُحلَّ لكَ ما حرَّم الله عليك .

وسئل بعض الأدباء عن صفة اللئيم ، فقال : اللئيم إذا غاب عاب ، وإذا حضر اغتاب .

[أدب الدنيا والدين]

تعريفات

سئل بزر جمهر :

ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني .

قيل : فما الحزم ؟ قال : انتهاز الفرصة . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال : ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حب مغرق وبغض مفرط .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فما الصواب ؟ قال : المشورة . قيل : فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كفٌّ بذُول وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحب والبغض .

[زهر الآداب]

ذهاب البركة

حكى الطرطوشي أنه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ، ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك ، فغصبها السلطان ، فلم تحمل ثمرة واحدة في ذلك العام . . . قال : وشهدت أنا بالإسكندرية ، والصيد في الخليج مطلق للرعية ، والسمك فيه يغلي الماء به بكثرة ، ويصيده الأطفال بالخِرَق ؛ ثم حجره السلطان ، ومنع الناس من صيده ، فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد فيه إلاَّ واحدة بعد واحدة إلى يومنا هذا . . .

[سراج الملوك]

بقلم : حسن فضل المولى دفع الله

الدور التربوي لوسائل الإعلام إيجاداً.. وتعميقاً

■■ ورد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ :
« ما من مولود إلّا ويولد على الفطـرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وتلك هي فطرة الله التي شاء أن يطبع النّاس عليها ..

والحديث ينصب في وعينا عجينة رخوة مطواعة ، في قبضة يد متفانية في تحويرها وتشكيلها ، على النحو الذي تريد .. بدءاً بتحديد الاهتمامات ومروراً بصياغة الشخصية ، وانتهاءً بغرس العقيدة ، وفي ذلك إشارة بالغة إلى أن عوامل التأثر والتكيف والاقتداء تأتي ثمرة طبيعية لطول الصحبة وإدامة التلازم واضطراد المتابعة .

وباستحضارنا لهذه المعاني ، نتبين خطورة الدور الذي يؤديه الإعلام ، بعد أن سلب الآباء وغيرهم من رموز التربية والإصلاح ، قوامتهم التربوية والتوجيهية ، تنشئة وتطبيعاً وتسوية ، والأخطر من ذلك ، أن أصبح قبلة تفيض من عطائها الوافر والمتصل على المجتمع بكل قطاعاته ، ناشئة ومربين ، سواء بسواء ، وعلى ذلك يشب الصغير ويشيب الكبير ■■

التباين بين إفـراز الوسائل وسمو الأهداف

وبإلقاء نظرة موضوعية على الواقع الذي تصطبغ به حياتنا بتأثير من إفرازات الإعلام ، وما ينبغي أن نكونه بوحي من العقيدة الإسلامية نجد أن الشقة قد أخذت تتسع بصورة أورثتنا تنكباً عن سواء الصراط ، وانكساراً إزاء تكاليف الحياة وتلك نتيجة محتومة للتباين بين الأهداف السّامية ووسائل التلقي القائمة ، إذ أن الأولى نداء موصول إلى الارتفاع والتسامي والرشد ، والثانية إغراء دائب للتدني والهبوط ، ومن ثم اللصوق بالأرض ..

وهنا تبدو خطورة الازدواجية التي كرّس لها الإعلام وعمّقها بأذكى الأساليب وأقوى الوسائل ، وهو يصب على الناس من سحره ونفثه ، ما يدير الرؤوس ويبهر الأبصار ويأسر العقول ويستهوي النفوس.

التأكيـد على الدور التربوي كخيار أساسي

وليس من خيار يلوح في الأفق للتمرد على هذا الواقع القائم إلّا بأن نعيد للإعلام وجهه المشرق ليصبح من ثَمَّ وسيلة للتغيير والتوجيه والبناء ، والصعود بالناس إلى أعلى حيث أراد لهم الإسلام وقضت بذلك تعاليمه ، وهذا يتأتى ـ فقط ـ عندما يكون نابعاً من عقيدتنا ، منسجماً مع قيمنا وأفكارنا ، مستشرفاً لآمالنا وطموحاتنا ، ومن ثم محققاً لأهدافنا التربوية الرامية إلى بناء الإنسان بناءً معنوياً متماسكاً يقرن بين الدين والدنيا في السلوك والتوجيه تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص : ٧٧)

وهذا يوقفنا وجهاً لوجه أمام القضية التي اقتضت هذا التناول المتواضع ، وهي : « الدور التربوي لوسائل الإعلام » ، ومما سبق فقد بدا أن هذا الدور مفقود تماماً ، مما يستلزم إيجاده ، ومن ثم ترسيخه وتعميقه ..

وفي هذا الإطار نضم صوتنا للمنادين بضرورة الوقوف طويلاً عند المادة الإعلامية ، التي قوّضت الحصون وأقلقت المضاجع ، بما تحمله من نسيج الأفكار والثقافات وأنماط السلوك . وهي وقفة تستهدف المراجعة والتدقيق من جهة ، وإحلال البديل المناسب من جهة ثانية .

والأمر يبدو في غاية العسر ، وليس بالسهولة التي قد يتصوره بها بعضهم ، إذ إنه بداية شاقة للسير في الطريق الصحيح المؤدي إلى إنجاز أمنية غالية طالما راودت الكثيرين ، وهي أمنية يتطلب تحقيقها المضيُّ في ثلاثة اتجاهات ، هي :

١ ـ أن تعين أجهزة الإعلام في تأكيد

وترسيخ أهداف التربية .

٢ ـ ألّا تهدم برامج الإعلام ما تبنيه مناهج التربية .

٣ ـ أن تتكامل خُطا العمليتين ، التربوية والإعلامية ، في تناغم وانسجام .

وباختصار واستيعاب .. تثبيت وظيفة وسائل الإعلام الأساسية والعميقة التي أقل ما توصف به أنها أداة فعّالة في عملية تربية المجتمع بكل فئاته ومستوياته وقطاعاته ..

إن تأكيد خير الطرق وانجع الأساليب لإرساء دعامات هذه الوظيفة ، على هدى وبصيرة ، يستوجب العمل على عدة محاور ، أكتفي منها بالتعرض لاثنين ، لما لهما عندي من أولوية وسبق ..

أولاً : تكثيف البرامج ذات الطابع التربوي الخالص

إن العمل على تكثيف البرامج التربوية ، يتبلور عبر إيجاد دور فاعل للتربويين ، لتحقيق أهداف التربية من خلال وسائل الإعلام ، وذلك بإشراكهم في وضع أسس الاستراتيجية الإعلامية ، إضافة إلى استدعائهم ، في إطار من التعاون ، لإعداد وتقديم برامج هادفة ، يُراعى فيها الحضور الإعلامي ، ذو الظلال الموحية ، والمعالجات الفنية البارعة ، فكرة ونصاً وإخراجاً وتنفيذاً ، متوجهين بذلك إلى الإنسان في عقيدته وقيمه وتطلعاته .. على أن تحيط بجوانب رحلته في الحياة والتي هدفها ـ كما ألمح إلى ذلك الدكتور يعقوب الغنيم ، وزير التربية الكويتي ـ « أن يكون سلوك الإنسان ترجمة لقيمه ، وأن تكون قيمه وفقاً لما أمره به ربه ، وأن تكون المحصلة النهائية لوجوده هي العمل الطيب له وللناس من حوله » .

وهذا التوجه المتكامل ، يستغرق اهتمامات الإعلام الإيجابية من تبصير وتأثير وإقناع ، من أجل صياغة الإنسان وبنائه ، في جوانبه الروحية والفكرية والخلقية والوجدانية .

ومن هنا يتضح كم هي عاجزة إدارات البرامج الدينية بصورتها الحالية عن الوفاء بهذا العبء الثقيل ، خاصة وهي تُقدَّم في صورة شائهة وبأسلوب عقيم وفي أوقات غير ملائمة .. فالأمر أكبر وأخطر .. إذ أن الجهد يجب أن يتعدى هذا النطاق الضيق ليصب في الاتجاهات كلها .. ويملأ كل المواعين ..

فمثلاً ... ما الذي يحول بيننا وبين أن نصوغ كثيراً من قيم الإسلام في الأشكال التي تتوفر عليها وسائل الإعلام ؟!. مستخدمين فنون الإخراج ومهارات التقمص الحاذق للأدوار ؟..

والإجابة تأتي في اتجاه أن الإسلام قد أرسى قيماً وندب إليها ، وتحضرني هنا قيمة « العمل » . قال تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٥) .

وقال المصطفى ﷺ :

« إذا قامت السّاعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

فقيمة كهذه أرى أنه من السهل أن تبسط أمام الناس في ثوب أخّاذ موضوعاً لفيلم أو تمثيلية أو مسلسل أو برنامج منوّع ... ولا يكفي هذا ، بل يجب أن يُنظر إليها بعين الاعتبار في أي عمل إعلامي آخر ، والوقوف دون أي قيمة أخرى تعمل على ازدرائها أو التقليل في شأنها ...

والأسلوب ذاته يمكن أن تتبعه مع غيرها ، وفي الإسلام متسع ، ومن ذلك :

* قيمة التحاكم إلى الله ورسوله والانعتاق من سلطان الأهواء والنزوات ..
* قيمة صرف أوجه النشاط والتنافس إلى العبادة وبذل القربات لا التهالك على الحطام .
* قيمة إعلاء موازين الحق والعدل والمساواة عوضاً عن بطر الحق وغمط الناس والسعي في الأرض بالخراب .
* قيمة أخذ العفو والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين بدلاً من الانغماس في الخصومة والشقاق والمنافرة ..

وكثيرة بعد ذلك تلك القيم التي باستطاعة وسائل الإعلام ، إن أحسن استخدامها ، أن تحيلها إلى مشاهد ومواقف ومقاطع ، تنبض بالحركة ، وتفيض بالحيوية ، وتنطق بالصدق ، فتشد الفكر ، وتوقظ الوجدان ، وتسمو بالروح ، وستكون النتيجة الطبيعية تأثراً يعقبه انقياد يثمر تمثلاً وتطبعاً يستجيبان لدواعي الفطرة وبواعث الإيمان .

وفي ذلك إنزال لوسائل الإعلام منزلة المربي بجهد التربويين وبلائهم وتفانيهم .. وهذا من شأنه أن يقيم الحجة على القائمين على أجهزة الإعلام ويفنّد اعتذارهم بأن ضآلة المادة التربوية عائد إلى عدم تجاوب التربويين وإحجامهم عن المشاركة الفاعلة من خلال وسائل الإعلام ..

ويبدو جلياً أن غياب الصلحاء عن الساحة الإعلامية قد فسح المجال واسعاً أمام المعالجات القاصرة والشاردة .. وأذكر هنا أنني استمعت مرة إلى طرف من حديثٍ كان مسرحه التلفزيون ، جاء فيه أن طرد الهمِّ أو امتصاص الغضب وتحمل الإساءة يتحققان باللجوء إلى سماع الموسيقى الهادئة أو باستخدام « الوسائد » في « غرفة النوم » لتقوم مقام الخصم ومن ثم إعمالها في الرأس « ضرباً ونطحاً » .. وهذا هو العلاج الأمثل .

وسليمان بن صرد رضي الله عنه يقول : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ :

« إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب منه ما يجد » .. وعلى هذا يقاس !!!

ثانياً : ترشيد المادة الترفيهية لتحقيق مقاصد التربية

فإنه مما لا يحتاج إلى تأكيد أو إقامة دليل أن المادة الترفيهية ، التي ترمي إلى الإمتاع والتسلية والإلهاء ، قد أخذت تتسع بصورة طغت على الجوانب الأخرى ، موظفة الإمكانات المتاحة ، ومستفيدة لأقصى حد من إقبال الجماهير ، وهو إقبال مبعثه الفراغ والجري غير الواعي وراء الأهواء والرغبات غير الرشيدة ، وضعف الإحساس بالمسؤولية نحو الكلمة ، إرسالاً وتلقياً ..

■ الأمة المحاطة بالأعداء بحاجة إلى ما يفتل السواعد ويلهب الإيمان ويقوي الأخلاق ويفتح العقول ويدفع عنها خطر الإبادة والاحتلال .

« حق على العاقل أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بأصحابه الذين يخبرونه بعيوبه ويحدثونه عن ذات نفسه ، وساعة يخلو فيها بلذته فيما يحل ويجمل فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات » ■
[حديث شريف]

الدور التربوي لوسائل الإعلام.. إيجاباً.. وتحسيناً

ومما لا شك فيه أن هذا الإقبال قد أدىٰ إلى تعلق وافتتان شديدين بكل ما هو غث هازل، وضعيف ساقط، وفي الوقت نفسه إعراض وصدود عن كل ما هو جاد وهادف مما يدفع مفسدة أو يجلب مصلحة..

ومن هذا المنطلق فإن أية محاولة للترشيد لا بد أن تبدأ من العزم على محاصرة البرامج الترفيهية بوضعها الراهن وإعطائها الحيز المناسب ليكون الهدف هو: نوعية ما يبثه لا كمّيته... فالأمة المحاطة بالأعداء، بحاجة إلى ما يفتل السواعد، ويلهب الإيمان، ويقوي الأخلاق، ويفتح العقول، ويدفع عنها خطر الإبادة والاحتلال.

وكم كان الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - صادقاً وهو يطلق صرخة موجعة، محذراً من بدايات هذا الانجراف المحموم، مشيراً في ذلك إلى أن الانصراف إلى هذا النوع من الاهتمامات هو «شغل الذين تم لهم البناء، أما الذين لم يبدؤوا بالبناء بعد، أو بدؤوا متأخرين، فمن أكبر الجرائم صرفهم عن الاهتمام في تقوية البناء، إلى الاهتمام بالرسم والغناء، وعن الاختراع إلى رقص الإيقاع، وعن صنع الحياة إلى رسم الحياة..

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ فإن التعامل مع المادة الترفيهية التي تمليها الضرورة، ويفرضها العصر، ويرتضيها الطبع السليم، يقتضينا أن نحيطها بقناعات مؤكدة في الحس، مركوزة في الفطرة، وهي اننا ننتسب إلى أمة ليس في قواميسها أن الفن للفن، وأن الترفيه لمجرد التسلية وانتزاع الضحك وتمضية الوقت.. وإنما هي ممارسات ترتبط بمثل عليا، قوامها: الالتزام والقصد، وتتفاعل في إطار من التوجيهات التي تولت العناية الإلهية إضاعتها، وذلك في اكثر من آية، وبأكثر من معنى:

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس: ١٢)

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ

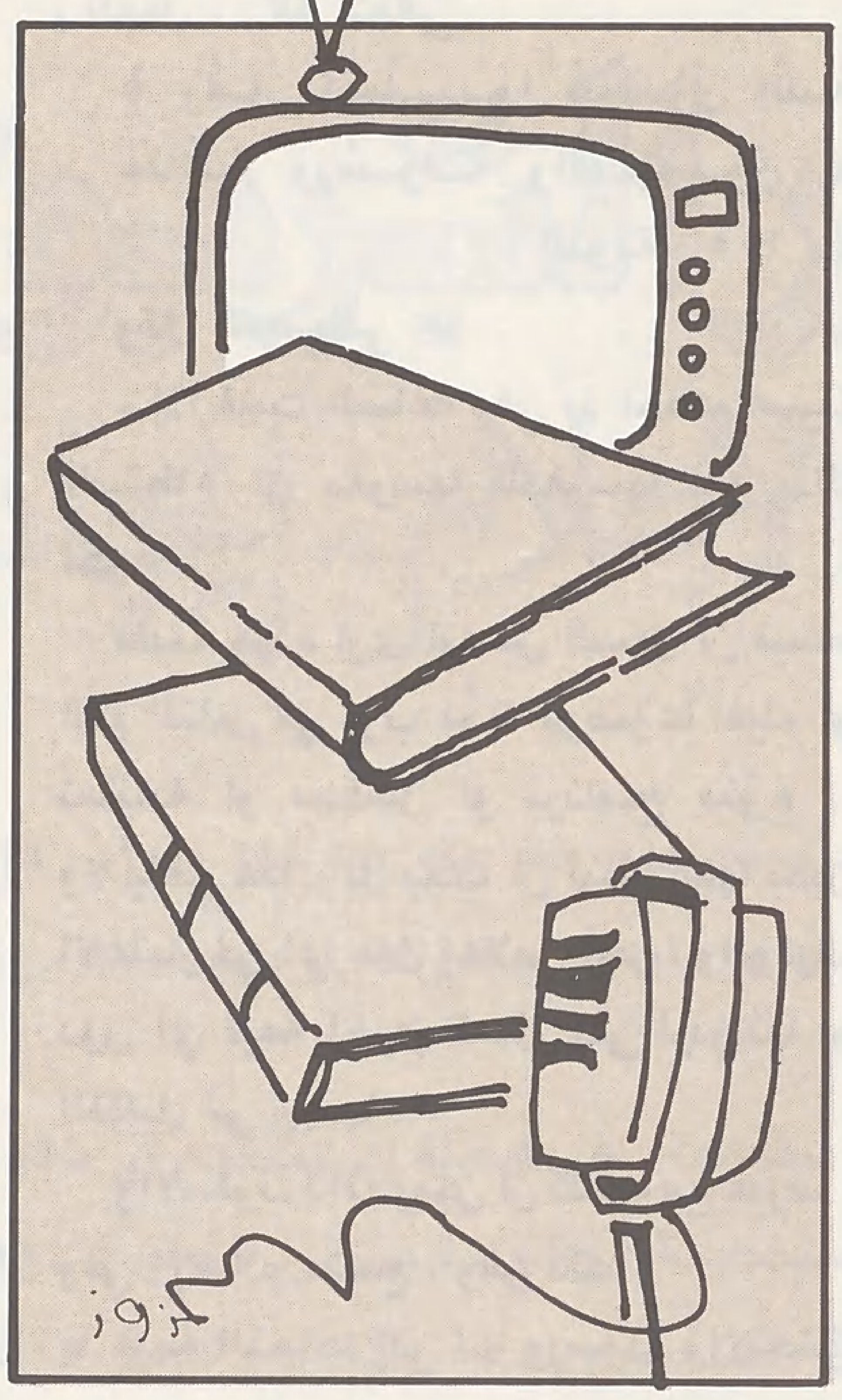

عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٥٩)

﴿ ... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾ (الملك: ٢)

وفي سيرة الرسول ﷺ، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان ومضات مشرقة في هذا الجانب، إذ انهم سبقوا إلى «الترويح» وهو التسلية والترفيه والاستمتاع في أرقى صورها، وكان ذلك بلا إفراط أو تفريط، ولتحقيق جملة أغراض، لعل أبرزها: التقوّي بها على أداء الواجبات، والتسرية عن النفس علاوة على الوفاء بحق البدن.

ففي حديث الرسول ﷺ أنه كان في حكمة آل داود عليه السلام: «حق على العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بأصحابه الذين يخبرونه بعيوبه ويحدثونه عن ذات نفسه، وساعة يخلو فيها بلذته فيما يحل ويجمل فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات».

وقال ﷺ موجهاً حنظلة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»، وكرر هذه الكلمة «ساعة وساعة» ثلاث مرات.

وقالت عائشة رضي الله عنها:

«لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى اكون أنا الذي أسأمه».

وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه:

«روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي».

وكما وضح من هذه الأمثلة، التي سبق سردها، فإن هذه الممارسات لم تتجاوز هذا النطاق الضيق ذا الأبعاد والمرامي الهادفة والمسؤولة.. ونسجاً على المنوال ذاته الذي اختطه السلف رضوان الله عليهم. يرىٰ كثير من المفكرين - على حد قول الدكتور عبد اللطيف حسين فرح الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض - أن: «المادة الترفيهية يجب أن تتصيد عصفورين بحجر واحد: ترفه عن الجمهور، وفي الوقت نفسه تؤثر عليه في اتجاه فلسفة مرسومة للمجتمع، ويطلق على هذا النوع من الترفيه «الترفيه الموجه» حيث تستغل رغبة الناس في قضاء وقت طيب لتقديم مبادىء أو اتجاهات مرغوبة داخلة في المادة الترفيهية».

وإني لعلى يقين بأننا سنكون بمنأى عن الانحراف أو الانجراف في هذا الخطر، إذا ما تقيدنا بعدة ضوابط صارمة، يأتي في مقدمتها:

أ ـ وضوح الهدف التربوي لدى المخطِّط الإعلامي.

ب ـ الإعلاء من قيمة المسؤولية والالتزام أثناء المعالجة والطرح

ج ـ عدم المساس بالمفاهيم والقيم «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

د ـ عدم التضحية بالمضمون لأي سبب من الأسباب في سبيل الشكل.

وبعـــد:

فهذه مجرد وجهة نظر متواضعة أحببت أن أشارك بها في مسيرة الوعي التي أخذت تنتظم أرجاء العالم الإسلامي مبشرة بالدخول في مرحلة «التعيين العملي»، وهي المرحلة التي تحث على عقد العزم لارتياد المجال العلمي، وصب الطاقة الفعلية في برامج تطبيقية، تعيد طريق الاهتداء العملي امام الأمة وتفصل خطوات السير فيه تفصيلاً.. والله المستعان.

مقال مُلخَّصٌ من بحث ميداني عام ١٩٨٢م [سبتمبر - أكتوبر " أيلول - تشرين الأول "]

تنصير قبيلة الفولاني في غربي إفريقيا

بقلم : عبد الرحمن أحمد عثمان

■■ أروي لك فصلاً من قصة التنصير .. إنها رواية اتخذت من العالم كله مسرحاً لها وتعددت فيها الفصول والأبواب بتعدد قارّات العالم وأقطاره . إنه مسلسل يتعرض لدين الإنسان وسياساته وسيادته .

فعندما أعوزت الامبريالية العالمية الحيلة في الاستعمار المباشر فطنت إلى نوع من الاستعمار الجديد الذي يربط بينها وبين من تود السيطرة عليه برباط من العقيدة متين حتى يذعن عن رضى وطيب خاطر . قرأت لهم في أكثر من كتاب بلغة الهوسا .. لغة الفولاني المثقف .. تلك الأسطورة التي تقول : إن المسيح عليه السلام يسعى لوضع غنمه في زريبة ويبيت يحرسها عند الباب ، فتنام أمَّته ويبيت هو مؤرقاً من أجلها . أو هكذا يصفون المسيح بأنه راعي لهؤلاء القوم الرعاة .. « الفولاني » . هذه هي حظيرة النصرانية الضيقة التي تخطتها سعة الإسلام وسعة رحمة الله .. ■■

فعندما بدأت الامبريالية تعاني مخاض التجربة « **تجربة النزوع إلى الحرية من قبل الدول الإفريقية** » أفزعتها رياح التغيير وأضحت تخشى رياح شَبَحَيْ « **الوطنية** » و « **الإسلام** » . الوطنية التي أضحت تعني عند الافريقي كراهية كل من هو أبيض - والإسلام الذي ينسجم مع تفكير الافريقي فلا يجد حرجاً في تعدد الزوجات إن رأى في ذلك ضرورة .

وإزاء هذين الأمرين سعت الكنيسة لخلق عملاء لها وأصابع تدير بها خيل الشطرنج في دائرة السياسة الدولية . ففي أفريقيا سعت إلى أفرقة الكنيسة وذلك بالتركيز على العناصر الافريقية في إدارة الكنيسة والإرساليات الكنسية والمدارس والمناصب الإدارية العليا في الحكومات الوطنية .

وتحكي لنا الوثائق التنصيرية أن قصة تنصير قبيلة الفولاني في غربي افريقيا قد بدأت منذ ستين عاماً فقد أخبرنا كثير من الرواة من بينهم الدكتور **علي أبو بكر** (دكتوراه في الثقافة العربية في شمالي نيجيريا) ، أنه وقبل ستين عاماً جاء إلى البلاد النايجيرية أحد المنصِّرين يدعى **مستر ملر** ليأخذ معه إلى أوروبا بعض أبناء الزعماء الفولانيين منهم « **توجو بابيرو** » - الذي هداه الله بعد ذلك إلى الإسلام - وهو ابن أمير زاريا ، **ومعلم تفيده** الذي مات على نصرانيته في العام المنصرم .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا تلقائياً :

من هم الفولانيون ؟ ولماذا يهتم المنصِّرون بهم ؟ ومن هم المنصِّرون ؟ وما مظاهر ذلك التنصير ؟ وما هي وسائله ؟

الفولانيـون مجدٌ من دانفوديو إلى شقـارى . . .

يصف المؤرخون الفولانيين بأنهم أذكى القبائل في افريقيا قاطبة . فقد بدأت قبيلة الفولاني تظهر إلى حيز الوجود منذ عام ٨٧٠ ميلادية ، وكان موطنها آنذاك حوض نهر السنغال في **فوتا تورو** و **فوتا جالون** ثم أخذت تهاجر شرقاً وغرباً حتى بلغت هجرتها شرقاً الحدود السودانية الإثيوبية ، وغرباً إلى موريتانيا .. وهم قوم طوال الأجسام نحافها ، يتميزون عن جيرانهم بالبشرة الفاتحة والأنف المستقيم والشعر السبسبي إلى حد ما . وهذا الاختلاف النفسي والعقلي والجسمي سوَّغ لرواج كثير من الآراء حول أصل الفولاني .

يرى بعض علماء الأجناس الحضارية أنهم من البطون الضالة لقبيلة بني إسرائيل .. فيما يرى آخرون أنهم من بقايا رجال الامبراطورية الرومانية في شمالي إفريقيا .. وهذه النظرة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ترى أن أصلهم مصريون ، معتمدة في ذلك على « **الطاقية** » التي يتعمم بها الفولانيون ، فالملابس الباقية رومانية الشبه ، فقد يعني ذلك أنهم من بقايا الأسرة الحاكمة من الرومانيين الذي حكموا مصر .

ويرى آخرون أنهم ربما كانوا فينيقيين ، أو أثيوبيين ، أو ربما كانوا من ملايا .

يقدر علماء الإحصاء أعداد الفولاني بما يجاوز العشرة ملايين .. والفولانيون رعاة بدو ينقسمون إلى شطرين : بدو

تنصير قبيلة الفولاني
في غربي إفريقيا

خلّص ، وحضريين يعملون بالقانون والسياسة والتعليم .

وقد اهتم المنصِّرون بالبدو منهم خاصة ، وذلك لأسباب متعددة :

جهل بدو الفولاني بمبادىء الإسلام مما يسهِّل خديعتهم .

ينتشر الفولانيون على طول حزام **السافنا** الذي يعارض القارة الافريقية من موريتانيا غرباً إلى الصومال شرقاً ، وذلك لأنهم رعاة أبقار ، فهم يتتبعون هذا الحزام لتسهل عليهم عمليتا الكر والفر ، فهم يكرون في فصل الجفاف إلى الجنوب بحثاً عن الماء والكلأ ، ويفرون شمالاً في فصل الخريف خوفاً من أمراض البقر ، وذلك وقاية لأبقارهم التي يعتمدون عليها ويعتمد كثير من الأفارقة على لحومها وألبانها وجلودها . لهذا فهم لا يستقر بهم المقام ، وقد أورثهم هذا الترحال الجهل إلاَّ بأبقارهم .. فلا يعلمون شيئاً عن مبادىء الدين ، وقد كتبت إحدى الوثائق التنصيرية تقول :

« **والفولاني يجهلون أساسيات الإسلام ويتجلى ذلك في غياب الممارسات الدينية في أواسط الشباب منهم لما يقع عليهم من عبء الرعي والإشراف على الأبقار . فلا يجدون إلى التعليم سبيلاً حتى إلى مرحلة متأخرة من حياتهم حيث يستطيعون البقاء بالمعسكرات وتلقي بعض علوم الدين مشافهة من السلف** .. » .

وفي تقديرنا أن هذا هو الدافع الأساسي وراء محاولة التنصير ، فقد طرحت الوثيقة المذكورة السؤال التالي : **ما الذي يجعل إخواننا اللوثريين يهتمون بالفولاني وهم مسلمون .. ومن المعروف أن المسلم التقليدي لا يغير دينه** ؟ وكانت الإجابة على هذا السؤال :

إن تجربة الفولانيين في الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ أنهم يجهلون أسسه ومبادئه ..

لذلك فقد حاول المنصِّرون إيهام الفولاني بأن الإسلام والنصرانية لا يختلفان .. فعيسى هو ابن الله ، فعلى المسلم أن يعتقد ذلك ، وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصِّرون لتمكين عقيدة أخرى هي أن المسيح ابن الله يتحمل عمن يؤمن به عناء الصيام والصلاة ، فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة ممن استطاع المنصِّرون التأثير عليهم ثم قرأناه في وثائقهم ..

والسبب الثاني : هو أن الفولانيين قوم فيهم مكونات الزعامة ، فمنهم **عثمان إنفوديو** الذي أسس امبراطورية **سكتو** وهي التي مكنت للإسلام في غربي افريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول الافريقية الحالية (**رئيس جمهورية نايجيريا الاتحادية ، شيخو شقاري ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق السيد « إسماعيل الأزهري » إلى أصول فولانية** ..) .

والفولانيون أيضاً محبّون للعلم وعاملون على تعليمه ، فأغلب المشايخ النايجيريين والدعاة إلى الدين من الفولانيين الذين توطنوا في المدن وانقطعت الصلة بينهم وبين البدو إلى الدرجة التي لم يعودوا قادرين فيها على الكلام باللغة الفولانية .

لكل هذا أصبح الفولانيون تحت تأثير البث الإذاعي التنصيري : إذاعة صوت البشارة من أديس ابابا ، سيشيل ، قاؤوندري ، الجابون ، ومنروفيا ـ راديو إلوا ، ولكل هذه الأسماء صلة ببرامج التنصير الإذاعي .

افتتحت إذاعة صوت البشارة في أديس ابابا عام ١٩٦٣م لتبث برامج بأكثر من خمس عشرة لغة إفريقية من بينها اللغة الفولانية ، وعلى حد زعم المنصِّرين انهم قد تلقوا أسئلة عن النصرانية من أفراد فولانيين استمعوا لهذه الإذاعة ، ونتيجة لهذه الاستجابة الناجحة اجتمعت كل اللوثريات الأمريكية العاملة في غربي افريقيا « **افريقيا الوسطى ، والكاميرون ، ونيجيريا ، والسنغال ، وفولتا العليا ، بالإضافة لاتحاد الكنائس الافريقية واتحاد اللوثريات العالمية واتحاد مجمع الكنائس العالمي والكنيسة السودانية ، والفاتيكان** .. »

اجتمعت هذه الكنائس على مبادىء موحدة هي : ضرورة تركيز التنصير على قبيلة الفولاني . غير أن هذه الإذاعة « **صوت البشارة** » من أديس أبابا قد تعطلت نتيجة للانقلاب الشيوعي الذي أطاح بالعصر الاثيوبي الكنسي ممثلاً في **هيلاسلاسي** وذلك عام ١٩٧٧م .

إذاعــــة جـــوس بنيجيريا . . .

ولم تكن إذاعة **جوس** بولاية بلاتو النيجيرية بديلاً مناسباً وذلك لأنها تبث برامجها التنصيرية بالهوسا والانجليزية ، والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات . لذلك اتجهت الآمال إلى إذاعتي **سيشل** التي تحتاج لدعم وزيادة في عدد الذبذبات العاملة ، وراديو **إلوا في منروفيا** .. أما إذاعة **الجابون** فقد رصدت عربة صالون (**داتسون**) لمن ينجح في حل المسابقة الرامية لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيري لقبيلة الفولاني ، والجدير بالذكر أن استوديوهات **قاؤوندري** بالكاميرون هي التي تزود كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

والواقع أن البرامج التنصيرية لا تعتمد على البث الإذاعي إلاَّ في مراحل الاتصال الأولية أو على حد تعبير المنصِّرين « **تليين الأرض للغرس والزرع والحصاد** » لذا فإن هنالك وسائل عديدة أولها :

● **استغل المنصِّرون تعلق الفولانيين بأبقارهم في عملية تنصيرهم بواسطة المنصِّرين البياطرة** .. فهم يجلبون لهم الدواء ، والعلف ، ويصلحون لهم خزّانات المياه .. والفولاني لا يتوانى في احترام كل من يحسن إلى أبقاره ، فمصل الخصوبة الذي تحقن به الأبقار يجعلها قادرة على الإنجاب السنوي ، والتهجين وخلطات العلف . تجعلها قادرة على توفير جالونين من اللبن في اليوم . « **أي ساحر عيسى الذي باسمه تنجب البقر وتعطي أكثر** » .

● **التعليم التنصيري ... ومدارس الحكومة ..**

إذا جاؤوا الرجل الفولاني يسألونه ابنه لكي يعلموه **سحر المسيح** في معالجة الأبقار رضي وضعف وطمع .. خصوصاً وأن الفولاني لا يرسل ابنه إلى المدرسة لأنها لا تعلمه كيف يرعى الأبقار ويعالجها . وفي هذه الحالة فإن الارساليات النصرانية أحظى له .

وفي حَضَر **الفولاني** فإن المدارس لا يوجد بها معلم التربية الإسلامية ولا الكتاب الإسلامي ، في حين تقوم إدارة المدارس بضبط المنهج المقرر لدراسة كل من التربية الإسلامية والنصرانية على قدر وميزان ، ومعلمو التربية النصرانية متوفرون .. ففي المدرسة التي أنشئت في ريف **جوس** يوجد معلمان للتربية النصرانية في حين لا يوجد معلم واحد للتربية الإسلامية - المدارس هناك تتبنى منهج الفصل للراسبين - وفي هذه المدرسة الجديدة يوجد ثمانية عشر طالباً مسلماً ، وطالبان نصرانيان ، ويمكنك تعميم المثال .

● **دور الحضانة والأطفال اللقطاء والمستشفيات والمستوصفات والعيادات وسيلة أخرى ..** ونكتفي بهذا لكي ننقل لك تقرير لجنة التنصير بواسطة الدعوة المكشوفة ، وهي آخر المراحل التي يلجأ لها المنصِّرون .

والتقرير الموضح هو للجنة متغيرة منحصرة في ولاية **قنقولا** شرقي نيجيريا .. لمزيد من المعلومات اتصل بنا في المركز الإسلامي الافريقي لنزودك بعشرات التقارير من هذا النوع .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصِّرين C.R.C.N

ولاية قنقولا « يولا » نيجيريا

باسم المسيح نحييكم ونتوجه إليكم بأطيب الأماني ..

إن لجنة التنصير التابعة لـ « **سي . آر . سي . إن** » تود أن تتقدم إليكم بالشكر على روح التعاون التي ابديتموها نحو الحملة التنصيرية التي قمنا بها في عام ١٩٨١م ، وفيما يلي التقارير التي تعكس التقدم الذي أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته .

تقرير رقم (١) الحملة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م

لقد عيَّنَّا أحد عشر منصِّراً من المنصِّرين الجدد وذلك عندما تلقينا طلبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى النصرانية وهنالك كنائس في جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانية .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتم تعميدهم وبعضهم لا يزال يتلقى دروساً في التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل « **فالي** » فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها . والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروساً في التعميد ، وفي قرية « **جكواي** » بالقرب من جبل « **بيت** » فإن طبيباً من الأهالي ألقى حديثاً نصرانياً مؤثراً أعلن فيه قبوله للنصرانية في حضور ذويه القرويين وذلك في التاسع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م . واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك في أغسطس (آب) دورة تنصيرية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانياً .. وفي ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لذويهم في مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصِّر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع .

وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يترددون على المدرسة الانجيلية ويتقدمون بصورة حسنة .

وفي وسط المجتمع المسلم في مدينة « **يولا** » يعمل منصِّر نصراني كان في السابق مسلماً وهو يعيش بين ظهراني هذه الجماعة بصورة سرية .

خطة عملنا لعام ١٩٨٢م ...

نريد أن نعين منصِّرين مستديمين في بعض القرى « **ماي** » « **هولا** » « **قندن** » « **دوتس** » إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هنالك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد إرسال بعض المنصِّرين إلى « **داكو** » بين « **بلي** » و « **قانين** » ، لأن الأهالي هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن .

ونحن الآن نحضِّر للاجتماع مع الفولانيين الذي سيعقد في مايو (أيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بقرة هدية لتذبح أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين ، كما تلقينا تقريراً يفيد بأن عدداً من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام . كما نخطط لاقتناء قارب بخاري بين سواحل نهر قنقولا ، كما نريد أن نوظف صيدلياً بجانب المنصِّر يستخدم القارب البخاري للوصول إلى أهالي قبيلة **جوكوت** الذين يعيشون محاذين لشاطىء النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرأ كيف حوَّل المسيح بعض الصيَّادين إلى حواريين فعلينا التأسي به قدوة .

إننا نعد بحثاً ونأمل أن نتصل ببعض أعضاء قبيلة **الكانوري** الذين يعيشون في ولاية **برنو** وندعوهم إلى النصرانية فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء في التأريخ فإن قبيلة **جوكنز** قد تعاونت مع أهل **الكانوري** في حربهم ضد **الطوارق** فنود أن نستغل هذه الخلفية التأريخية للعلاقات الكانورية الجوكونزية في عملنا التنصيري وسط الكانوريين .. وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطرح أمامكم الميزانية المرتقبة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشروع ، وكل من يساهم معنا لإنجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلاً وسوف نرسل له تقرير عمل عن كل مناشطنا .

إننا نصلي وندعو لكل من يتقدم إلينا بأي تبرع مالي يستطيعه مهما كان ضئيلاً .

... وبه يتيه على الزمان رداؤه

(إنها قصة الفتى « بلال فحص » الذي دمَّر موقعاً مدرّعاً للغزاة جنوبي لبنان)

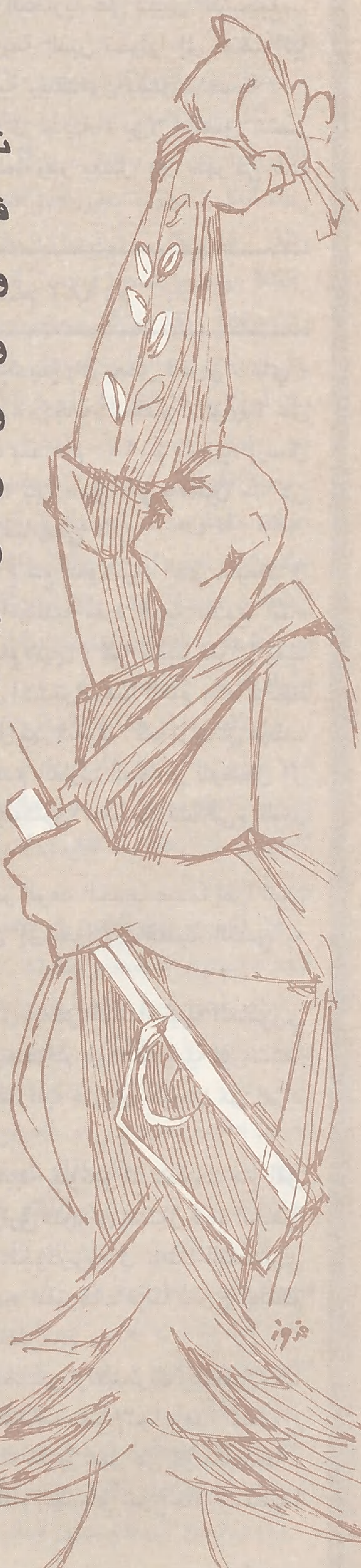

نادىٰ وفي الآفاقِ طاف نِداؤهُ   وَطَنٌ تُدنَّسُ أَرْضُهُ وَسَماؤهُ
فالغاصِبُ العِرْبيدُ يسْرِقُ ماءَهُ   وتجوسُ في خُضْرِ الشِّعابِ جِراؤهُ
وَتَهدَّجَ الصَّوْتُ الشَّجيُّ : هَلُمَّ يا   ولدي ... فَهَبَّ لِغَوْثِهِ أَبْناؤهُ
والمُرْجِفُونَ تَنَكَّروا لإخائِهِ   لمَّا تَأذَّنَ بالقِتالِ إخاؤهُ !
وَهُناكَ عِنْدَ النَّبْعِ وَدَّعَ أُمَّهُ   مُتَوَثِّبٌ يُعْيي الغُزَاةَ لِقاؤهُ
ورِداؤه كَفَنٌ يَبوحُ بِسِرِّهِ   وَبِهِ يَتِيهُ على الزَّمانِ رِداؤهُ
والأمُّ تَعْتَنِقُ الغُلامَ قَريرَةً   أَوَلَيْسَ مِنْ دَمِها الزَّكيِّ دماؤهُ ؟
يٰاللْجَنوبيِّ الأبِيِّ وفيهِ مِنْ   صَخْرِ الجَنوبِ شُموخهُ وَمَضاؤهُ !!
يَمْضي إلى الأعْداءِ يَغْمُرُهُ الضُّحىٰ   وشُعاعَةُ الحُبِّ العَظيم ضِياؤهُ
لَمْ يَنْسَ فاطِمَةَ الطَّهُورَ .. وَإنَّما   مَهْرُ الفَتَاةِ - كَما تَوَدُّ - فِداؤهُ
والعَيْشُ عَيْشُ الحُرِّ .. أو فَرَحيلُهُ   وَأَحطُّ مَوْتٍ للذَّليلِ بَقاؤهُ !

◆ ◆ ◆

لَمْ يَنْسَ فاطِمَةً .. وكَيْفَ ؟ وباسْمِها   خَفَقَتْ أضالِعُهُ وطالَ دُعاؤهُ
و « بلالُ » لَيْسَ مُضَيِّعاً لِعُهُودِهِ ..   أَيُخَانُ عَهْدُ في الجِنَان وفاؤهُ ؟
وعلىٰ (طريقِ الكَرْمِ) في حضْن الرُّبا   بَرَزَ الدَّخيلُ ... درُوعُهُ ولِواؤهُ
والفَارِسُ المِغْوارُ يَرْكَبُ .. قَبْرَهُ   ظمْأىٰ إلىٰ قَهْر العِدَىٰ أَشْلاؤهُ
فَرِحاً بِجَنَّاتِ النَّعيمِ .. وَمَنْ يَفُزْ   بالخُلْدِ فالفَرَحُ المُقِيمُ جَزاؤهُ
قالوا : أَتَرْثيه ؟ أَجَبْتُ : وَكَيْفَ لي   وَدَمُ الشَّهيدِ علىٰ الصَّعيد رثاؤهُ ؟
وَأَحَقُّ مِنْهُ بِأَدْمُعي مُتَعَلِّلٌ ..   مِمَّا يَجُودُ الغاصِبونَ غِذاؤهُ
لٰكِنَّني وَأَنا الشَّريدُ .. وَمَوْطِني   قُدْسٌ ... تَعَلَّقَ بالأباةِ رَجاؤهُ
أُزْجي مَآثِرَ كُلِّ حُرٍّ ثائِرٍ ..   يُحيي مَوَاتَ القانِطينَ سَناؤهُ

شعر : يحيى برزق

■■ بالعدل قامت السماوات والأرض ، فإن جاءك ظالم ومظلوم فلا تحاول أن تبخّر دموع المظلوم بأن ترفع درجة حرارة حديثك عن الصبر ومقام الصابرين وتغض طرفك عن الظالم ، أو تكتفي بأن تنظر إليه شزراً ، فإن المظلوم إن لم يصبر لم يكن آثماً ، إذ ليس يأثم من يطلب حقاً له ضائعاً ، بل ما يستحسن منه الصبر إلاَّ على خطأ مخطىء يرجى تصويبه لا على ظُلم ظالم لا يرى الصواب إلاَّ في ظلمه ، فالتواصي بالصبر فضيلة ، ولكن إن لم يرافقه التواصي بالحق فهو حقاً رذيلة ، ولن يكون من الإسلام في شيء ، لأن الإسلام ليس من الرذائل في شيء !! ■■

حتى لا يُعْصَىٰ الله

وحينما نقــرأ قوله تعالى :

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ثم نأبى إلاَّ أن نتجاوز التواصي بالحق ، ونركز على التواصي بالصبر ، ونأخذ ببعض الكتاب ونتخلى عن بعض ، فإننا لن نعرف على ماذا يجب أن نصبر ، ومتى يجب أن نصبر ، وسنُدخل بعض المفاهيم في بعض ، لنُوحي بأن الدين أفيون الشعوب . مع أن الجهل في الواقع هو أفيونها ، لأن التواصي بالحق يتطلب علماً ، والعلم يتطلب سعياً ، والقوم هواة ما تفه ثمنه وإن ثقل حمله ، فهم لا يريدون أن يبذلوا أي جهد في تحصيل أي علم ، ولا يدفعون في ذلك أدنى ثمن لا من وقتهم ولا من طاقتهم ، حتى لو كلفهم ذلك حمل أثقال الذل وجرَّ أغلاله ، ويرضون بذلك ويستكينون إليه ، إلى أن يُفرض عليهم العلم فرضاً كحال معظم طلبة عصرنا هذا الذين يطالعون ويبحثون لأنهم مجبرون على البحث والمطالعة ؛ فإذا استلموا شهاداتهم ودَّعوا البحث والمطالعة ولا يهمهم بعد ذلك أن تكون شهاداتهم حوالات من غير رصيد ، كذلك أولئك الشعوب لا يقصدون شيئاً إلاَّ إذا سيقوا إليه سَوْقاً ، أما التواصي بالصبر مع إغفال التواصي بالحق فهو أصل يسير لا يتعارض مع انعدام روح المبادرة ، وما دام الأمر كذلك فلا مانع من أن يسود وينتشر ، وعلى كل حال فالدين « موجود » وسنُحمِّله المسؤولية ونعلن أنه أفيون الشعوب !

والحقيقة أن الشعوب هي أفيون نفسها ، وأما الدين فإنه لا يوصيها بالصبر إلاَّ بعد أن يوصيها بالحق ، وهو بذلك يوصيها بالصبر على مشقة الجهاد الذي يتطلبه نشر الحق واستئصال الظلم ، أوصاها بذلك حتى يجعلها ماءً قبل أن يطفىء بها النار ، ولم يوصِها أبداً بالصبر على الظلم ، لأنه لم يُبِحْ لها أبداً أن تقدم نفسها حطباً تتغذى به النيران فيمتد به عمرها ، بل أمرها أن تبعد عن النار كل طعام حتى لا تجد شيئاً تأكله فتنطفىء من تلقاء نفسها ، ولولا كثرة الحطب لانطفأت النار منذ زمن بعيد ، وهذا بالذات هو ما يدل على أن الشعوب هي أفيون نفسها . والإسلام أوصى بالحق قبل أن يوصي بالصبر ، وحينما تقرأ ما بين دفتي المصحف سترى كيف أن هذا الدين له يدان : يد يمسح بها دموع المظلومين ، وأخرى يصفع بها وجوه الظالمين : حتى يسود الحق ويعم السلام وقبل هذا وبعده : حتى لا يُعصى الله تعالى .

بقلم : ربيعة عمر السارح

كلمة حول

تعبيرات خاطئة

بقلم : بدر الحسن القاسمي

١ ــ استنكار تعبير (قوة عليا) جاء مصحوباً بالاستدلال الآتي :

لأن «القوة» صفة لا تستقل بنفسها وإنما تقوم بغيرها ، مثل : (العلم) و (الجلال) و (الإكرام) و (العزة) فإن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ، وإنما تقوم بذات تتصف بها ، فإذا قلنا : (الله قوة) اقتضى هذا التعبير الخاطىء أن الله تعالى ـ الذي يعبرون بتلك الصفات عنه ـ حالٌ في غيره ، وحاشا لله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ... إلخ .

ولا أدري كيف يلزم هذا مع أن (القوة) صفة لله سبحانه ، وإطلاق الصفة على الذات أو حمل المصدر عليها بقصد المبالغة تعبير سائغ في الدين ، شائع في اللغة ، وأمثلته كثيرة ، وقد ورد في القرآن الكريم نفسه :

(١) ﴿ ..اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (النور : ٣٥)

(٢) ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ (الحشر : ٢٣)

(٣) ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ (الحج : ٦)

وأن (النور) و (السلام) و (الحق) كلها من الصفات ، وقد حملت على الذات ، ولم يلزم المحظور الذي يشير إليه فضيلة الشيخ من الاحتياج إلى المحل باعتبار أنها صفات لا تقوم بنفسها ، فإن من البدهيات التي لا يشك فيها عاقل أن خالق العالم لا يمكن أن يكون من (الأعراض والصفات) ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في شرح الحديث الصحيح : (لا تسبُّوا الدهر إني أنا الدهر)

لا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان : فإن الزمان مقدار الحركة ، والحركة ومقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها ، كالحركة والسكون والسواد والبياض ، ولا يقول عاقل : إن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان (فتاوى ابن تيمية : ٢/٤٩٢) .

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله :

فيجوز أن يقال : الله نور من جهة المدح ، لأنه أوجد الأشياء ونوَّر جميع الأشياء ، والرسول ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد فيقول : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض » [تفسير القرطبي : ١٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧ بتصرف] .

ويقول البيضاوي في « أنوار التنزيل » :

النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً ، وبواسطتها سائر المبصرات ، كالكيفية الفائضة من النيِّرين على الأجرام الكثيفة المحاذية بهما ، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلَّا بتقدير مضاف ، كقولك : زيد كرم . بمعنى ذو كرم . [تفسير البيضاوي : ٣/٢٣٣] .

ويقول البيضاوي في تفسير «السلام» :

ذو السلامة من كل نقص وآفة ، وصف به للمبالغة . [٤/١٩٧] فالقوة بمعنى ذي القوة ليس غريباً وسبحان الله ذي القوة المتين .

٢ ــ جمع فضيلة كاتب المقال كلام أحمد أمين الذي ورد فيه :

(في العالم قوة خفية) .. و (هذه القوة هي الله رب العالمين) .

وكلام سيد قطب الذي جاء فيه تعبير (القدرة المدبرة) وكلام الدكتور عمر الأشقر الذي جاء فيه تعبير (قوة عليا) وكلام بدر الحسن القاسمي (كاتب هذه السطور) الذي جاء فيه (قوة مدبرة) و (قوة عليا) واستنكر جميع هذه التعبيرات مع أن الدقة تقتضي الفرق بينها ، حيث إن الحمل المباشر (القوة هي الله) أو القول بأن (في الكون قوة خفية) ما جاء إلَّا في كلام أحمد أمين ، وسبق أن رد أستاذ الشيخ أبي غدة الشيخ العلامة محمد زاهد بن الحسن الكوثري على كلام أحمد أمين في حياته وجعل أساس الاستنكار « في » الظرفية في قوله (في الكون قوة خفية) واستنتج منه أن أحمد أمين يميل إلى مذهب الحلولية من فلاسفة الغرب قائلاً :

فتكون تلك القوة حالَّة في العالم حيث جعل العالم ظرفاً لها ، والمظروف حالٌ في ظرفه بالضرورة ، ولا يتصور أن تكون هذه القوة عنده من صفات الله مأخوذة من الاسم الكريم (القوي) لأن صفات الله قائمة بالذات العلية لا بالكون . [مقالات الكوثري : ٣٦٣] .

وأين هذا في كلام غيره (سيد قطب ،

■■ نشرت مجلة « الأمـة » في عددها الثالث والخمسين الصادر في جمادى الأولى من عام ١٤٠٥هـ مقالاً بعنوان : (تعبيرات خاطئة) بقلم فضيلة الشيخ الكبير المحدث عبد الفتاح أبي غدة الذي يبدي ملاحظاته بل استنكاره الشديد حول بعض التعبيرات التي تجري على أقلام الكتّاب والمؤلفين ، وهي غير صحيحة - كما يتصور - وإن من حق العلماء أن يصححوا المفاهيم ، وينبهوا على التعبيرات الخاطئة خاصة إذا وردت في كتابات المؤلفين الذين يحتذى بهم وتؤخذ منهم التعبيرات والمفاهيم ، ولا شك أن ما يتعلق بذات الله سبحانه وصفاته أشد خطورة ينبغي أن يكون الكاتب عنه في منتهى الدقة والتيقظ ، ومن هنا أقدر دافع النصح في كاتب المقال ، وأشكره على أن ملاحظاته شملت رسالتي (الكون يشهد بوجود الإله) أيضاً غير أن قبولي للنصيحة لا يمنعني أن أذكر النقاط التالية التي لم يراعها فضيلة الشيخ أثناء كتابة المقال المذكور ، ولو كتب غيره لما كنّا في حاجة إلى النقاش أو التعليق عليه ، وهذا مع تقديري لعلمه وجهده لنشر العلم وحبه للعلماء وليس الدافع إلاّ الاستزادة من علمه والرغبة أن يكون مقاله أكثر دقة مثل مؤلفاته وكتبه القيّمة ؛ والنقاط التي تخطر ببالي هي التالية : ■■

والدكتور عز الدين إبراهيم ، والدكتور عمر الأشقر ، وبدر الحسن القاسمي) ؟ فمعنى قولنا (وراء هذا الكون قوة مدبرة) (قوة الله المدبرة) ومفهوم قولنا (وراء هذا الكون يد مدبرة) و (قوة عليا) و (يد الله المدبرة) و (قوة الله العليا) وحذف المضاف إليه في مثل هذه المواقع بسبب كونه واضحاً راسخاً في القلوب والنفوس لا يتساور الذهن إلاّ إليه ، عام شائع لا يلزم منه أي محظور خاصة إذا كان الكلام موجهاً إلى الملحدين الذين ينكرون وجود الإله ، يقول الإمام ابن تيمية :

أما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم : من الروم والفرس ، والترك بلغتهم فإن هذا جائز حسن للحاجة [فتاوى ابن تيمية : ٣/٣٠٦] .

٣ ـ مع أن الراجح عندي أيضاً أن أسماء الله وصفاته توقيفية ، غير أن اختلاف العلماء فيه معروف ، يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره :

اختلف العلماء في أن أسماء الله تعالى توقيفية أم اصطلاحية ، قال بعضهم : لا يجوز إطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلاّ إذا كان وارداً في القرآن والأحاديث الصحيحة .

وقال آخرون : كل لفظ دلّ على معنىً يليق بجلال الله وصفاته فهو جائز ، وإلاّ فلا .

وقال الغزالي رحمة الله عليه (بعد بيانه الفرق بين الاسم والصفة) : أما إطلاق الاسم فلا يجوز إلاّ عند وروده في القرآن والخبر ، أما الصفات فإنه لا يتوقف على توقيف . [تفسير مفاتيح الغيب للرازي : ١/١٥٢] .

ثم يذكر استدلال القائلين بعدم التوقيف :

واحتج القائلون بأنه لا حاجة للتوقيف بوجوه :

الأول : أن أسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية وبالتركية وبالهندية ، وإن شيئاً منها لم يرد في القرآن الكريم ولا في الأخبار ، مع أن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها .

الثاني : أن الله تعالى قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ والاسم لا يحسن إلاّ لدلالته على صفات المدح ونعوت الجلال ؛ فكل اسم دلّ على هذه المعاني كان اسماً حسناً فوجب جواز إطلاقه في حق الله تمسكاً بهذه الآية .

الثالث : لا فائدة في الألفاظ إلاّ رعاية المعاني ، فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظة المعينة عبثاً . [مفاتيح الغيب : ١/١٥٣] وللحافظ ابن حجر مناقشات لطيفة في الموضوع .

٤ ـ إن الحرفية التي يدعو إليها فضيلة الشيخ لا تنسجم مع موقف المفسرين الذين يفسرون ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بقولهم : أي مدبّر السموات والأرض ، أو ضياء السموات والأرض ، كما نَقَل ابن جرير والقرطبي عن أُبي بن كعب والحسن وأبي العالية .

بل إن كلامه يؤدي إلى أنه لا يجوز استعمال لفظ « الصفات » لأنه لم يرد في القرآن والسنة مع أن الشيخ نفسه استعمل كلمة « أسماء الله وصفاته » في مقاله ، وأنه لا يجوز القول : (الله موجود) لأن الموجود بالمعنى المتعارف لم يرد في القرآن والسنة ، ولا يخفى ضعف هذا الموقف .

٥ ـ ورد في الأحاديث الصحيحة الاكتفاء في الحلف ببعض صفات الرب سبحانه وتعالى ، وقد أقام الإمام البخاري باباً عنوانه (باب الحلف بعزة الله وصفاته) [فتح الباري : ١٢/٤٦١ - ٤٦٢] ، وهل هذا إلاّ لأن بعض صفات الله تكفي للتعبير عن الذات ؟

٦ ـ أما الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله فلم يتجنب في كتبه استخدام مصطلحات الفلاسفة كـ « واجب الوجود » و « الموجود الأصلي » و « العلة الأولى » أثناء مناقشاته مع الملحدين ، مع ذلك أنا أحق بإحسان الظن إليه وأتحمل مسؤولية التعبير بـ « القوة » بمعنى ذي القوة ، ولا أرى في ذلك بأساً في السياق الذي ورد فيه هذا التعبير . وبالمعنى الذي أفهمه ويفهمه معي القراء .

وأخيراً أكرر شكري وتقديري لفضيلة الشيخ أبي غدة ، وأسأل الله السلامة من الوقوع في أي منزلق ، وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى .

نعمة الماء

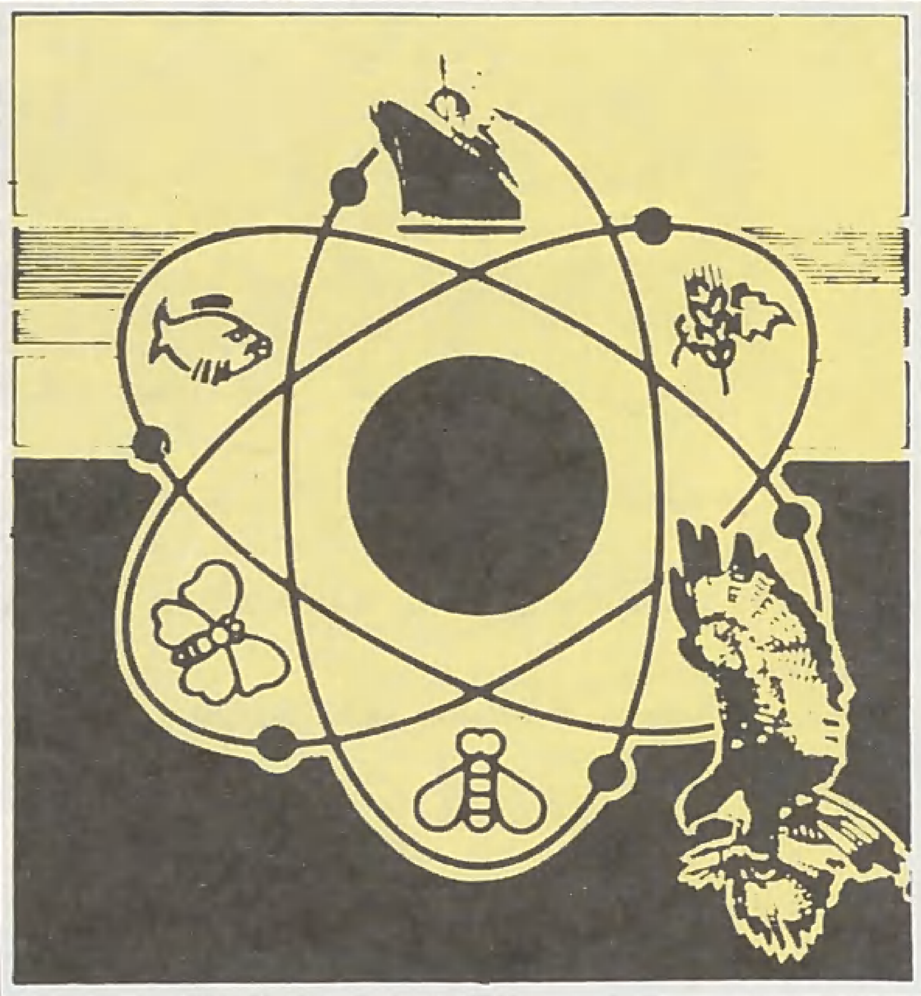

العلم والحياة

بقلم : توفيق يوسف القيسي

﴿ اَللهُ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمٰوَاتِ وَاَلأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ اَلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي اَلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اَلأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ اَلشَّمْسَ وَاَلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اَللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اَللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اَلإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم - ٣٢ - ٣٤) .

مقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على الرسول الكريم الذي أرسله الله للناس هادياً وبشيراً ، محمد بن عبد الله ، النبي الأمي ، والحمد لله على نعمه التي لا تحصى ولا تعد والتي أنعم بها علينا لنكون دوماً من الشاكرين .

وهل هناك نعمة مادية تفوق نعمة الماء ؟ ذلك المخلوقُ العجيب الذي لولاه لما كانت على وجه أرضنا التي نعيش عليها حياة ، والذي لولاه لاختل توازن كل شيء على سطح هذه البسيطة .

كيف لا يكون الماء نعمة كبرىٰ من الله وهو الذي يحمل الحياة في عروقنا يمد بها كل خلية من خلايانا صغرت أم كبرت وخلايا كل المخلوقات الحية حولنا ؟!

كيف لا يكون الماء نعمة من الله وهو الذي يخلص أجسامنا مما بها من شوائب وسموم في عرق وبول ، والذي يهبنا النظافة ، ويؤمن لنا الغذاء والدواء ؟

وكيف لا يكون نعمة عظمى وهو الذي به تخضرُّ الأرض وتتزين بجنات لا حصر لها ولا عدّ ، والتي عليها نعيش ونحيا ، وكذلك تفعل الأنعام .

وصدق الله العظيم الذي يلخص لنا كل ذلك في قوله الكريم :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلىٰ طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً . وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْباً . وَفَاكِهَةً وَأَبّاً . مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (عبس : ٢٤ - ٣٢) .

فأي شيء هو ذلك الماء العجيب ؟! من أين يأتي ؟! وإلى أين يذهب ؟!

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

إن الله جلّت قدرته له من الآيات حولنا ما ليس له حصر ، وضعها أمامنا لنتفكر في مخلوقاته ولنتبين مدىٰ الإعجاز في كل شيء منها .

(شكل ١)

■ سبحان الذي جعل من الماء كل شيء حي .. ■

■ (شكل ٢)

■ الماء أصلاً هو من هيدروجين واكسجين تكونت منه السحب وما لبثت أن جادت في شكل أمطـــار وثلـوج ■

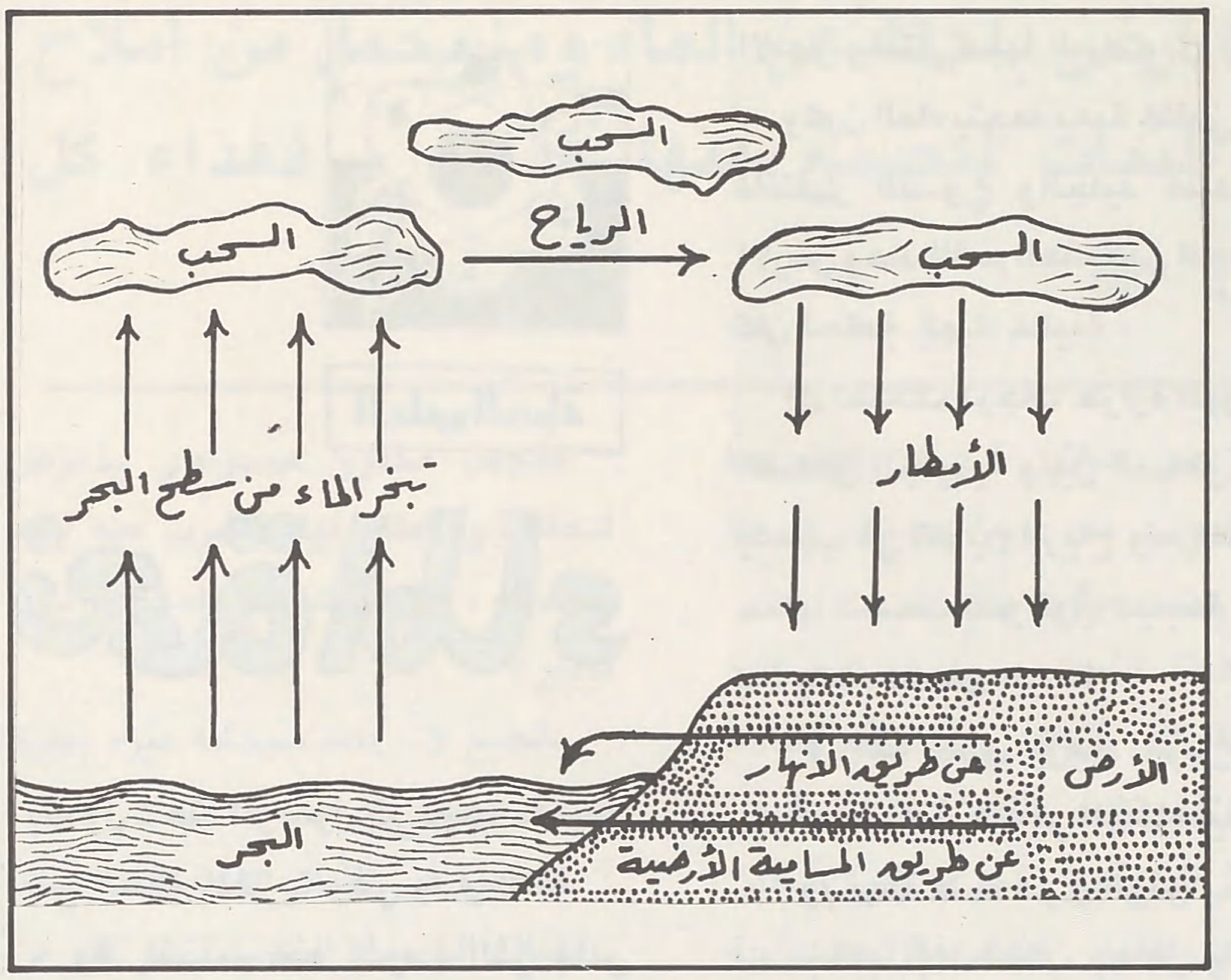

■ (شكل ٣) دورة الماء في الطبيعة ■

■ (شكل ٤) من مياه البحـار المتبخرة تتكون السحب باستمرار ■

ومن آياته العظمى بيننا ، القرآن الكريم والكون الفريد .

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المقروء ، والكون هو كتاب الله المنظور . وفيهما تتجلى قدرة البارىء عزّ وجل ، وفيهما وصف لكل ما تتوق النفس لمعرفته ويزيد .

وقد سبق القرآن الكريم إلى إيضاح جوانب من المعجزات العلمية الإلهية في مخلوقاته والتي راح العلماء يمسكون ببعض خيوطها ويحاولون الكشف عن أسرارها .

وستبقى المعجزات العلمية في القرآن الكريم هادية للبشرية إلى أن يشاء الله فالله جلّت قدرته وهو يقول في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّـا كُـلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَـدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) .

يوضح لنا كيف أن الأشياء حولنا وفي أنفسنا قد خلقت باتزان وتدبير مذهلين . ولعل العلماء أقدر على تبين هذا الإعجاز في الخلق من غيرهم .

فـالماء مخلـوق من غـازين همـا : الهيدروجين والأكسجين بواقع حجمين من الأول إلى حجم من الثاني ؛ ولو اختلفت هذه النسبة لما كان هناك ماء ، ولما كانت له صفاته المذهلة التي نعرفها والتي سنتبين جانباً منها هنا .

دورة الماء في الطبيعة

إن الله سبحانه وتعالى قد وهب الماء صفة عجيبة مميزة لا تتوفر في سائل غيره . إنها صفات مقدّرة تسير بسنن وقواعد لا يحيد عنها أو يميل .

فالماء أوضح السوائل في حالات المـادة الثـلاث التي نعـرفها وهي : الصلابة والسيولة والغازية ، وهو في حالة السيولة إذا بدأنا في تبريده فإنه يتحول ـ عند الوصول إلى درجة معينة ـ إلى حالة الصلابة وهي الثلج بأنواعه المختلفة .

وقد اتخذت هذه الدرجة التي يتجمد عندها الماء على أنها درجة الصفر في ميزان الحرارة المئوي .

وفي الاتجاه الآخر لـو أخذنـا في تسخين الماء (السائل) تدريجياً فإنه

العلم والحياة

نعمة الماء

يتحول - عند الوصول إلى درجة معينة - إلى الحالة الغازية وهي بخار الماء .

وقد اتخذت هذه الدرجة التي يغلي عندها الماء ويتحول من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية على أنها درجة المائة في ميزان الحرارة المئوي .

وعلى هذه الصفات المرنة للماء تعتمد الحياة على سطح الأرض إذ أن دورة الماء في الطبيعة تعتمد على التحول من صورة لأخرى له .

فمياه البحار والبرك التي تغطي قرابة ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية تتعرض للتبخر دوماً ؛ ويحمل الهواء هذا البخار إلى الطبقات العليا من الجو حيث يبرد ويعود إلى الأرض ماء زلالاً لتحيا به الأرض ومن عليها ، وليتعلم الإنسان منها طريقة التقطير .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحج : ٦٣)

ولا يقف الإعجاز في سلوك الماء عند هذا الحد ، بل هو إعجاز أدرك الإنسان جانباً منه ، ولا تزال هناك ولا شك جوانب كثيرة لا يعلمها إلَّا الله .

فكون الماء يغطي الجزء الأكبر من سطح الكرة الأرضية إنما هو لنعمة اتزان الجو عليها حتى تبقى درجات الحرارة عند المعدلات التي تستطيع الأحياء تحملها .

ولنعمة تبخر المياه إلى القدر الذي يكوِّن الأمطار التي تجود بها السحب على سطوح الأرض المختلفة فتجري بها الأنهار وتمتلىء بها البرك والآبار .

وكون الماء يتجمد نعمة عظمى أيضاً ، فانتشار الثلوج والجليد عند قطبي الأرض وعند القمم العالية من الجبال إنما كان لحكمةٍ إلهية عظيمة .

إن اختلاف درجات حرارة الهواء بين المناطق الجليدية وبين المناطق الحارة يتسبب في تكوين الرياح وحركاتها وفي حملها للسحب لتمر فوق اليابسة وتجود بما يشاء الله من خيرها .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الروم : ٤٧)

الماء مذيب عجيب

ومن فضل الله علينا أن ميز الماء بصفة نادرة عجيبة هي قدرته على إذابة معظم الأملاح والمركبات ، ولهذه القدرة الفضل الأعظم في حياتنا .

فالماء يتساقط زلالاً من السحب فإذا وقع على الأرض راح يذيب من صخورها وأملاحها ما يستطيع ، لينتهي به المطاف في البرك والآبار والبحار .

وهذه القدرة على إذابة الأملاح جعلت الماء وسيط الحياة الأساسي لكل المخلوقات ابتداءً بالنباتات وانتهاءً بكل المخلوقات .

إن حياة النباتات تعتمد على قدرة الماء على إذابة الأملاح في التربة ، وتعتمد على امتصاص الجذور لهذه الأملاح المذابة في صورة محاليل . ومن هنا نرى جذور النباتات تدب في الأرض باحثة عن الماء وما يحمل من أملاح مذابة فتمتصها وتزود بها النبات ليصنع منها غذاءه وغذاءنا وغذاء كل الحيوانات على وجه الأرض .

فهل يأتي كل ذلك اعتباطاً ؟!

بل هو تقدير العزيز العليم :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة : ٢٧)

وعلى قدرة الماء في إذابة الأملاح يعتمد جسمنا في هضم الطعام وفي نقل المركبات الناتجة من الأمعاء إلى الدم ، ومن الدم إلى الخلايا يزودها بالغذاء وبمقومات الحياة الأخرى من فيتامينات وغيرها ويخلصها من فضلاتها ليبعث بها إلى حيث مواضع التخلص منها .

وهو ما يحدث أيضاً عند الحيوانات قاطبة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وعلى هذه الصفة الفريدة للماء تعتمد مهنة الصيدلة وتكوين الأدوية وغيرها

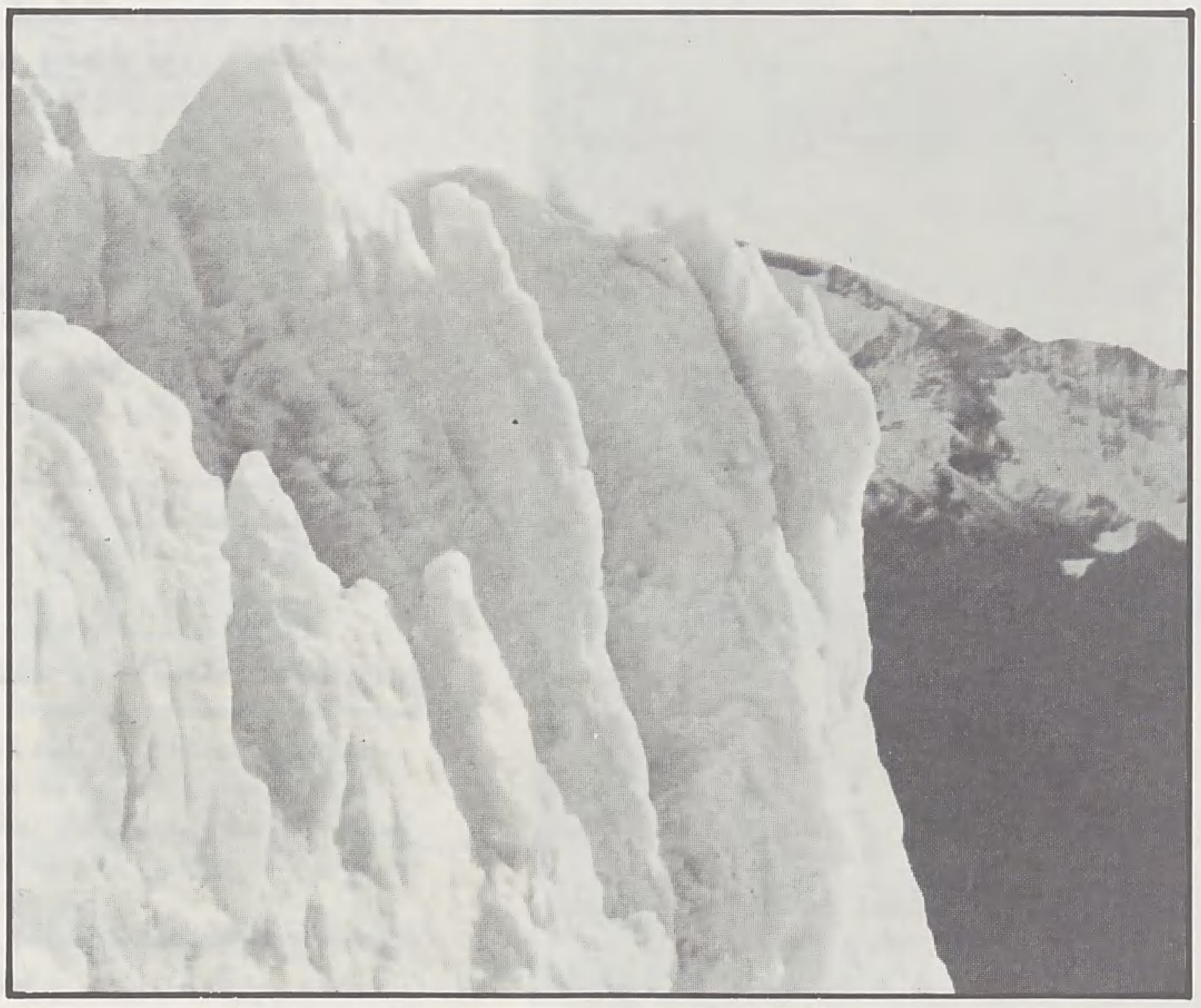

■ (شكل ٥) ثلوج القطبين خزان دائم للمياه العذبة ولاتزان الجو .. ■

■ إن جذور النبات تدب في الأرض باحثة عن الماء وما يحمل من أملاح مذابة فتمتصها وتزود بها النبات ليصنع منها غذاءه .. فغذاء كل المخلوقات على وجه الأرض . ■

من الصناعات ، فالماء وسيلة إذابة لا غنى عنها .

الماء منه اليسر ومنه العسر

ومن فضل الله علينا أن جعل للماء النقي صفة إذابة الأشياء كما عرفنا من قبل . وهذه الصفة الفذة للماء استغلت من قبل الإنسان أحسن استغلال في تنظيف جسمه وملابسه وأدواته .

وكلما قلّت الأملاح المذابة في الماء كانت قدرته على التنظيف أكبر ، وكانت قدرته على التفاعل مع الصابون وتكوين الرغاوي أعظم . ولهذه الرغاوي فضل إزاحة الأوساخ وتخليص الأجسام والأدوات والملابس منها .

وهذا الماء الذي يتفاعل جيداً مع الصابون يعرف بالماء اليسر .

أما الماء الذي به نسبة عالية من الأملاح المعدنية المذابة فإنه يفقد قدرته على التفاعل الجيد مع الصابون وبالتالي لا يكوّن رغاوي مع هذا الصابون ، ويفقد بذلك قدرته على تنظيف الأشياء .

ومثل هذا الماء يعرف بالماء العسر ؛ مثل مياه البحر .

ومن هذا يتضح لنا جانب من نعمة الله في الماء الذي يتغلغل استخدامه في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياتنا ، فسبحان الخالق المبدع .

الماء أساس لقياسات عدة

وتتجلى قدرة الله في خلقه للماء بصفات مميزة . إنَّ الإنسان وجد في هذا الماء أساساً لقياسات كثيرة .

فمقاييس درجات الحرارة تعتمد كما أسلفنا على صفتين فريدتين للماء هما صفة تجمده عند درجة معينة ، وصفة تبخره عند درجة معينة أخرىٰ .

وهكذا دُرِّجت موازين الحرارة المختلفة إلى درجات معينة تقع أساساً بين درجة تجمد الماء وبين تبخره . وتقاس الدرجات الأخرىٰ إلى هاتين الدرجتين فنقول : كذا درجة تحت درجة تجمد الماء ، أو كذا درجة فوق درجة تبخر الماء .

ومقاييس الحجوم والأوزان في حياتنا اتُّخذ حجم الماء ووزن « اللتر » منه أساساً فيها ، فقد اتخذ العلماء حجم (١٠٠٠سم^3) من الماء على أنه يساوي « لتراً » . واتخذ وزن هذا « اللتر » من الماء على أنه يساوي كيلو جراماً .

ومن هنا كان وزن « السنتيمتر » المكعب من الماء يساوي « جراماً » واحداً .

وإلى كُلٍّ من حجم ووزن « السنتيمتر » المكعب من الماء تُنْسَبُ أحجام وأوزان الأشياء ، وهي صفات هامة غاية الأهمية في حياتنا .

ألا ما أعجب هذه الصفات وما أعجب هذا الخلق الفذ وسبحان الله الذي قدَّر فهدىٰ وخلق فأبدع .

عندما يشرب الجمل من خُفِّه

ولا يقف الإبداع في خلق الماء عند كل الصفات التي ذكرنا بل هناك غيرها صفات وصفات ، أمرها في الأجسام عجيب وغريب .

ومن أغرب وأطرف صفات الماء في أجسام المخلوقات سلوكه في جسم الجمل ، (وقد يكون في غيره أيضاً) .

فالجمل مخلوق صحراوي يتعرض للجفاف وانقطاع مياه الشرب عنه أياماً متلاحقة ، فهل يُترك هذا المخلوق دون تدبير ؟

بالطبع لا ، فالله سبحانه ميَّزه بميزة فريدة عجيبة .

فالجمل في الأيام الاعتيادية يعتمد - إضافة إلى مياه الشرب - على قدر من الماء الذي يتحول من تفاعل الدهون المختزنة في جسمه وخاصة في سنامه .

ولكنه عندما يشتد به الحال ويفقد مياه الشرب وتكون المياه المتحولة من دهون سنامه غير كافية ، لا يجد بداً من الاستعانة بجدائل الماء في جسمه .

قد يكون الاصطلاح غريباً ، فهل يعقل أن يوجد الماء في جدائل ؟!

إنها قدرة إلٰهية عجيبة اختُص بها الماء ، كما اختص بها الجمل .

فقد تبين للعلماء أن باستطاعة الماء في جسم الجمل أن تتكاثف جزيئاته بعضها مع بعض في صورة جدائل كالحبال وتبقى مختزنة في خُفَّيّ الجمل وفي وسائد جسمه وفي سنامه أيضاً .

وعند اشتداد الحاجة للماء تنفك بعض جدائله هذه وتنساب جزيئاته في دم الجمل وتحميه من الهلاك عطشاً .

ألا ما أعظم قدرة الله وعطفه على مخلوقاته .

الخاتمة

وإن كانت صفات وميزات الماء العذب لا تختلف كثيراً عن صفات وميزات الماء الملح ، إلَّا أنَّ الماء الملح الذي يملأ البحار والمحيطات والذي يمثل قرابة ٩٨٪ من كل المياه على سطح الأرض يقدّم لنا خدمات فذَّة عظيمة . إنه نقطة الاتزان

العلم والحياة

نعمة الماء

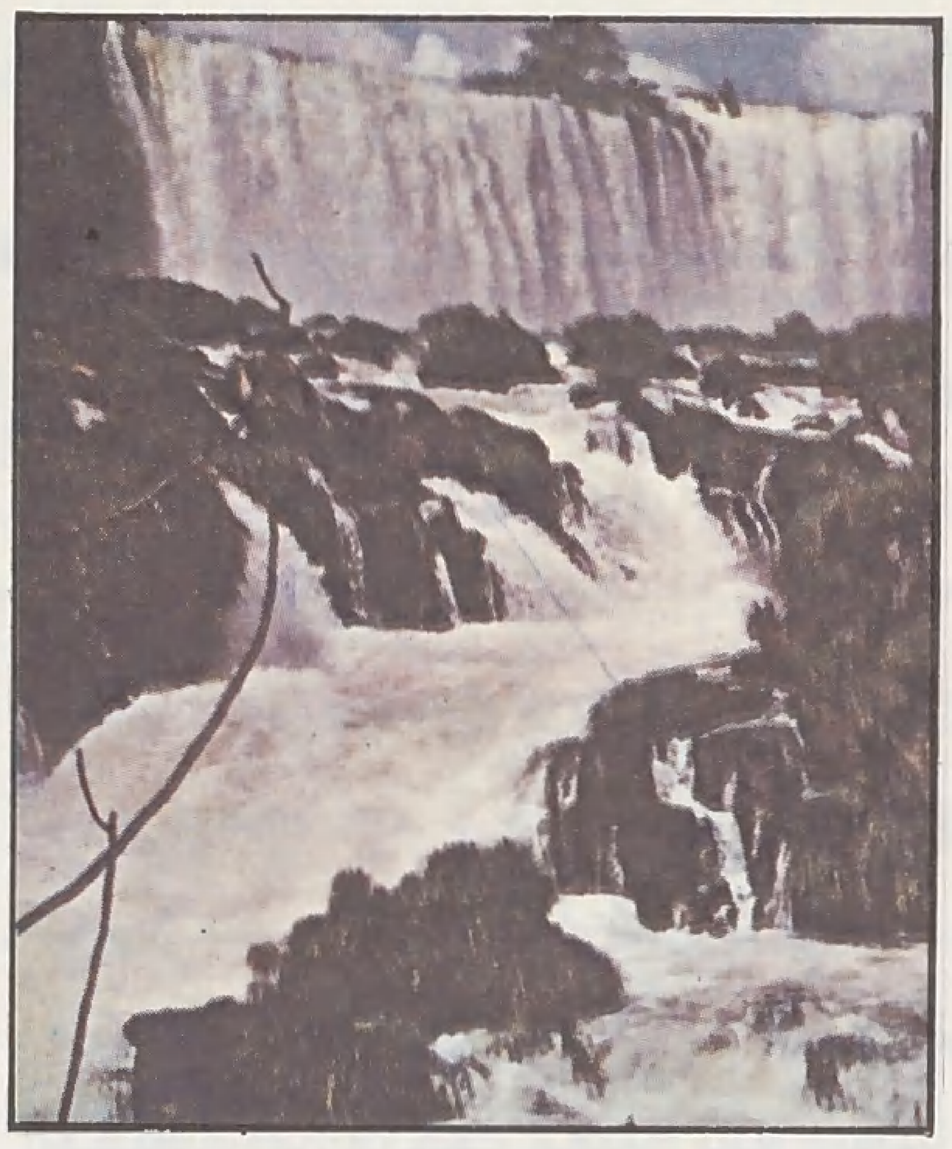

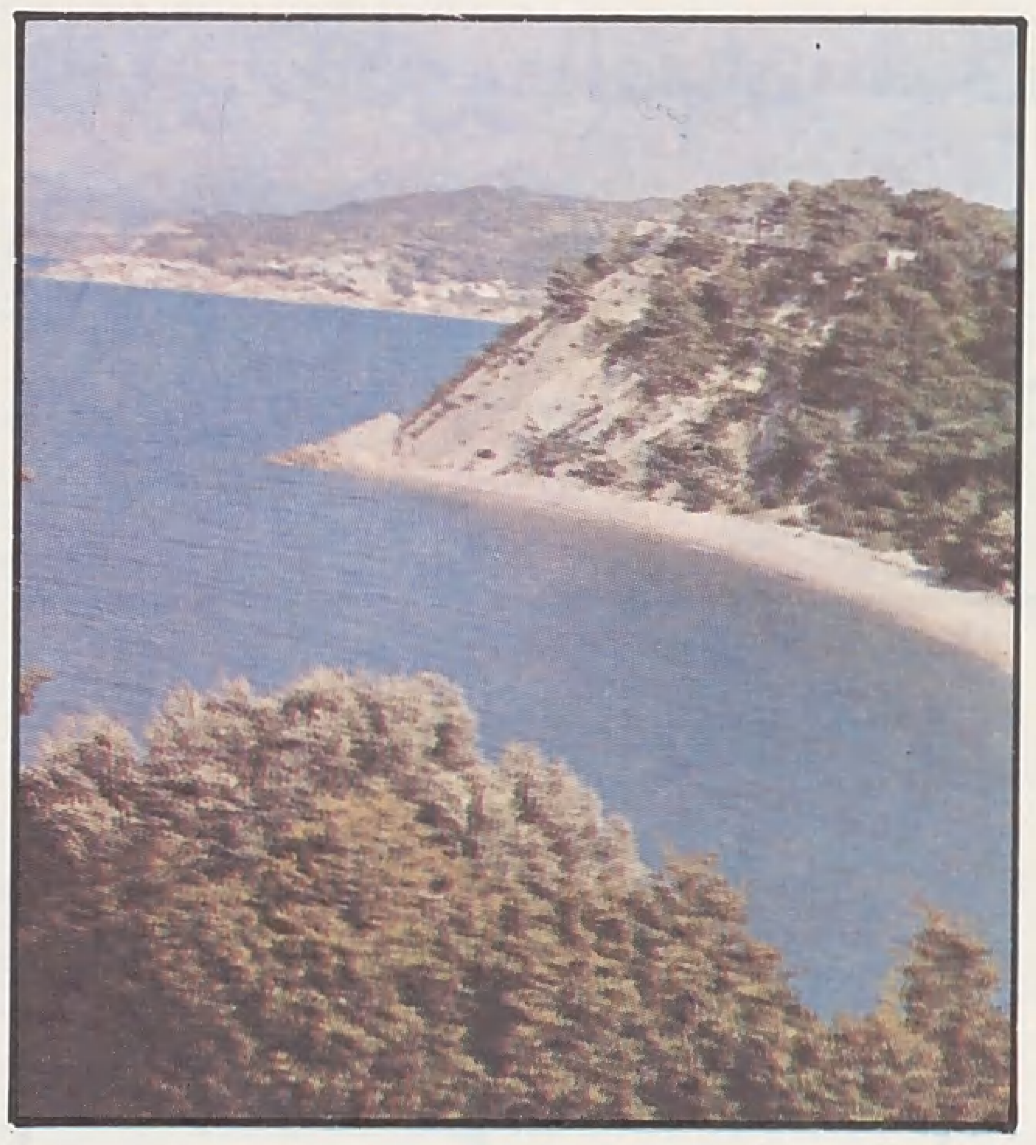

(شـــكل ٧)

■ مياه الأمطار والثلوج مياه يسرة ■ ■ ومياه البحار مياه عسرة ■

الرئيسة على سطح الأرض فهو يسخن ببطء وأقصى درجة حرارة له هي (٣٦ درجة مئوية) كما هي الحال في مياه الخليج العربي صيفاً .

وهو يبرد ببطء أيضاً . وأدنى درجة حرارة تصل إليها مياه البحر هي (-٢ درجة مئوية) كما في مياه القطبين شتاءً .

ومن هنا تكون مياه البحر أبرد صيفاً من الهواء الجوي المحيط بها ، بينما تكون هذه المياه أدفأ شتاء من الهواء الجوي المحيط بها .

وهذه صفات عظيمة تعتمد عليها أسباب تكوين الرياح وتبدل الضغوط الجوية باختلاف فصول السنة .

كما أنها صفات تؤدي إلى وجود نظام من التيارات البحرية الضخمة التي تتسبب عن حرارة الشمس وعن تغير درجات الملوحة للمياه بسبب التبخّر والذوبان كما تتسبب عن كتل وجبال الجليد التي تنفصل من القطبين لتذوب في مياه البحار ، هذا إضافة إلى حركات الرياح ودوران الأرض .

وللتيارات البحرية من الفوائد لمخلوقات البحر وللجو عامة ما لا يمكن تقديره .

والمتطلع إلى كل هذه الصفات التي يتميز بها الماء واجدٌ كم هي قدرة الله سبحانه في مخلوقاته ، وأن الأرض التي نعيش عليها والكون الذي ننتمي إليه لم يخلق صدفة ولا عبثاً .

وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿ أَوَلَيْسَ الَّـذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(يس : ٨١ - ٨٣) .

■ (شكل ٦) جذور النبات تبحث دوماً عن الماء وما يذيب من أملاح معدنية . ■

■ (شكل ٨) أكرم الله الجمل بجدائل الماء لتحميـه من العطـش ■

تصريحات وأقوال

■■ [إن خلاصة فكرة « التوحيد » ، هي المساواة والتضامن والحرية .. وإن الدولة من وجهة النظر الإسلامية هي الجهد المبذول لتحويل هذه المبادىء المثالية إلى حقائق .. وهي الأمل لتحقيق تلك المبادىء في إطار تنظيم بشري .] ■■

(محمد إقبال)

■■ [إن فترة الركود الطويلة التي مرَّت على عقول المسلمين جعلتهم يتعودون على التفكير بمعزل عن الفعل ، وعلى العمل بمعزل عن الفكر .] ■■

(الدكتور إسماعيل الفاروقي)

■■ [الفرق شاسع بين مشاكل ندرسها في الدورة الزمانية الغربية ، ومشاكل أخرىٰ تولَّدت في نطاق الدورة الإسلامية .. وإن استيراد الحلول من الشرق أو الغرب يعتبر تضييعاً للجهد ومضاعفة للداء .. وكل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار ..] ■■

(مالك بن نبي)

■■ [الخطر الذي يواجه العالم اليوم ليس الخطر الشيوعي بل هو الخطر الإسلامي المتطرف !! ■■

(نيكسون ـ الرئيس الأمريكي الأسبق)

■■ [إننا في أشد حالات المواجهة مع العدو ، لن نسمح لأنفسنا بأن نربي في جندنا أمل اللجوء إلى عدو آخر .] ■■

(قلب الدين حكمت يار)

■■ [كان المفروض أن نواجه من جاءنا بوجدان ديني بالسلاح نفسه ، إنَّ القضية ـ للأسف الدامي ـ طرحت مغلوطة منذ البداية ، ونحن ندفع الثمن .

واجه أجدادنا العاصفة الصليبية في فلسطين وأرض الشام بأعاصير دينية إسلامية تجمعت من شتىٰ أرجاء العالم الإسلامي لتكسر شوكتها وتقتلعها من الأفق الإسلامي لتعود من حيث أتت لم تجن إلَّا الغبار .] ■■

(الدكتور رشدي فكَّار)

● محمد إقبال ●

● قلب الدين حكمت يار ●

● الدكتور رشدي فكَّار ●

● نيكسون ●

مكتبة الأمة

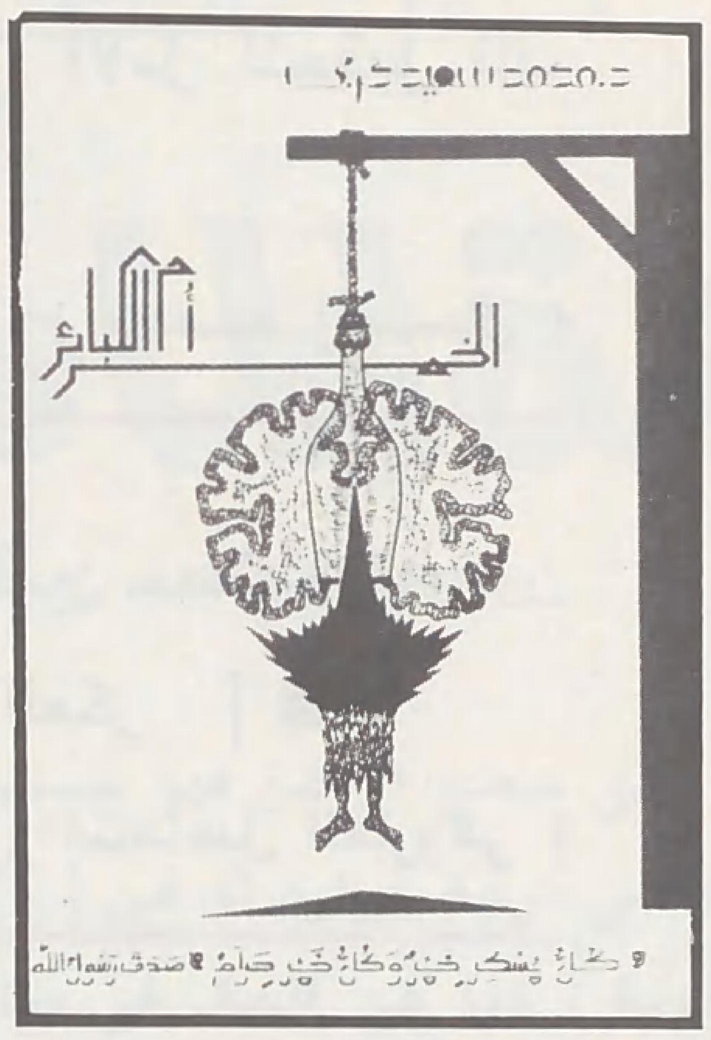

الكتاب : الخمر أم الكبائر

الكاتب : الدكتور محمد سعيد حـــربي

الناشر : هيئة إحياء النشاط الإسلامي ـ أم درمان ـ الســـودان

□□ صدق رسول الله ﷺ الذي سمى الخمر بأم الخبائث ، والمبين أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام ، وهو الذي أرسله الله عز وجل ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وليحل الطيبات ويحرم الخبائث ...

ويأتي هذا الكتاب ليبين بالدراسة العلمية الآثار السيئة للخمر على متعاطيها إضافة إلى أخطارها التي تتهدد الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات كلها على حد سواء ...

ويتألف الكتاب من مقدمة وتمهيد وتسعة أبواب وخاتمة ، تحدث الكاتب في الأول منها عن تحريم الخمر في الإسلام والحكمة في التدرج ﴿ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ ﴿ ... إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وفي الباب الثاني تحدث عن : تعريف الخمر ـ أنواعها ـ أسمائها ـ ما حرم منها ـ الكحول ومصادره ـ القول بنجاسة الخمر ـ حكم التداوي بالخمر .

أما الباب الثالث فقد تحدث فيه عن : الخمر والآثار الصحية ـ الآثار العضوية للخمر ـ الأثر على الكبد ـ الأثر على العين ـ التسمم الكحولي ـ التجارب العلمية تؤكد ضرر الخمر ـ الإدمان ـ أشكال الإدمان الكحولي ـ أطواره ـ العوامل التي تؤدي إلى الإدمان ـ عواقب الإدمان ـ علاج مدمن الخمر .

وفي الباب الرابع تحدث عن آثار الخمر الاجتماعية والاقتصادية : الملعونون في الخمر ـ احتكار ما يصنع منه الخمر ـ إهداء الخمر ـ مجالس الخمر والمنادمة ـ الفقد الاقتصادي للأسرة والمجتمع .

أما الباب الخامس فقد تحدث فيه عن : الخمر والمخدرات .

وفي الباب السادس تحدث عن : الخمر عند أهل الكتاب .

وجعل الباب السابع عن الخمر والشعر .

وفي الباب الثامن تحدث عن : الخمر والأرقام .

وجعل الباب التاسع للحديث عن عقوبة شارب الخمر ـ التحقق من الجريمة وحد الشرب وإقامة الحد ـ الوعيد لشارب الخمر .

وجاءت الخاتمة دعاء إلى الله عز وجل أن ييسر أسباب التزام المسلمين بدينهم وجعل كتابه عز وجل وسنة نبيه ﷺ هادياً لهم في حياتهم .. □□

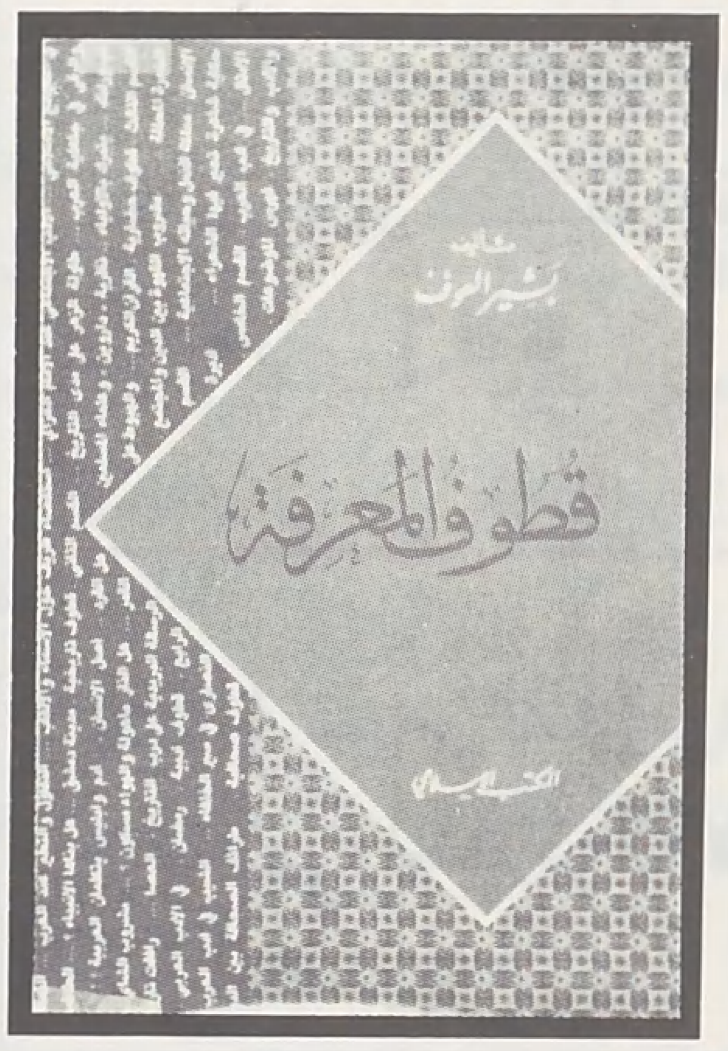

الكتاب : قطوف المعرفة

الكاتب : بشير العوف

الناشر : المكتب الإسلامي ـ بـــيروت

□□ الكتاب في أصله مقالات وبحوث وأحاديث مذاعة خلال فترات متراخية من العمر على حد قول المؤلف الذي قام بجمعها والتنسيق بينها ، فكان هذا الجزء الأول منها الذي يقدمه إلى القراء ، وكتاب « قطوف المعرفة » هذا يشتمل على خمسة أقسام :

الأول : قطوف اجتماعية [رمضان في المجتمع الإسلامي ـ الأدب الاجتماعي عند الغزالي ـ استقصاء حول الأسماء والكُنى والألقاب ـ التفاؤل والتطير عند العرب ـ التمائم والرُّقى في الجاهلية ...] .

الثاني : قطوف تاريخية [دمشق ... هل بناها الأنبياء ؟ ـ الطاغية تيمور لنك يتبرك بالأولياء ـ هل القرد أصله الإنسان ـ آدم وإبليس يتكلمان العربية] .

الثالث : قطوف حضارية : [القرآن الكريم والهبوط على القمر ـ هل النار مأهولة والهواء مسكون ؟ ـ مشروب الشاي ـ مشروب القهوة بين الدين والمجتمع ـ الرسالة البريدية على درب التاريخ ـ العصا رافقت تاريخ الإنسان ـ مملكة النمل وحياته الاجتماعية] .

الرابع : قطوف أدبية [رمضان في الأدب العربي ـ حكاية شاعرة تحير فيها الشعراء ـ أديرة النصارى في سيَر الخلفاء ـ الأمثال في أدب العرب ـ الشيب في أدب العرب] .

الخامس : قطوف صحافية ، وهو عبارة عن محاضرة عنوانها « طرائف الصحافة بين الدين والأدب والتاريخ » تناول فيها المؤلف تاريخ الصحافة منذ أقدم العصور إلى الآن مع ما طرأ عليها من فنون التطور والتقدم ...

ثم ألحق بالكتاب قائمة بأسماء بعض المراجع والمصادر التي اعتمد عليها . □□

الكتاب : الجهاد والحقوق

الدولية في الإسلام

الكاتب : ظافر القاسمي

الناشر : دار العلم للملايين ـ لبنان

□□ ما أحوج الأمة في هذه الأيام ، وقد دخلت مرحلة القصعة وتداعت عليها الأمم من كل جانب ، وفي غمرة العمل لتحرير الأرض المقدسة ، ما أحوجها إلى فهم فريضة الجهاد والعمل بمقتضياتها ، وقد حرص مؤلف هذا الكتاب على بيان مختلف النظريات في موضوع الجهاد ، بين الفرق الإسلامية المتعددة وبين علماء المستشرقين ، كما جمع فيه بين الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ، خاصة وأن أئمة المسلمين كانوا قد جعلوا الجهاد أصلاً ، والحقوق الدولية فرعاً عنه ، وسموه « السِّير » وأرادوا : طريقة معاملة المسلمين لغيرهم في حالتي السلم والحرب ... كما بيَّن تعدي فرض الكفاية أو العين من الأفراد المسلمين إلى الدول المسلمة في عصرنا هذا ، وأن الإعداد الذي أمر به الشارع لا يعني التسلح وإنشاء المعامل بقدر ما يعني التقدم العلمي والتقني في الأمور الحربية كلها ، والواجب المفروض شرعاً على الأمة المسلمة أن تكون منتجة للسلاح وبائعة له لا أن تكون مشترية فقط !! كما أشار الكتاب إلى بعض الأمور التي سبقت فيها الشريعة الإسلامية الأعراف الحديثة ، كالحصانة الدبلوماسية ، والإعفاءات الجمركية ، واستقبال السفراء وإحسان وفادتهم ، ونظرية « السلم المسلح » التي جاء بها القرآن الكريم ، لأن الغاية النهائية من الإعداد هي في إرهاب أعداء الله وزجرهم عن مباشرة أي عدوان ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وقد جاء الكتاب بمقدمة وتسعة وعشرين فصلاً ، بحث خلالها :

الجهاد في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، وفي السنة الشريفة ، وآيات الجهاد وفقاً لترتيب نزولها ، وقبساً من أنوارها ، بيان معاني بعض الألفاظ والمصطلحات مثل : الجهاد ـ الحرب ـ القتال ـ السِّير ـ المغازي والسرايا ـ الرباط والمرابطة والثغور ـ في سبيل الله ـ الحراسة ـ الاستغفار ـ السلام والإسلام ، ما هي الحرب ؟ متى تكون الحرب مشروعة ؟ الإعداد ، حكم الجهاد ، القيادة والإمارة ، اختصاصات القائد ـ الأمير ، وصايا أمراء الجيوش ، الجهاد والمرأة ، السلاح ، مقدمات القتال ، الحياد ، الأمان ، الرسل والسفراء ، المعاهدات والموادعة ، الشهيد ، آثار الحرب في الأشخاص والأموال .. ثم ألحق بالكتاب فهرساً بأهم المصادر التي اعتمد عليها وفهرساً عاماً لموضوعات الكتاب . □□

الكتاب : من ثمار الفكر

الناشر : جامعة قطر

□□ درجت جامعة قطر في كل عام على إقامة موسم ثقافي ، والكتاب الذي نقدمه حوى ما أُلقي من أبحاث ومحاضرات في الموسم الثقافي التاسع (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) ويتألف من مقدمة ، وكلمة الجامعة كتبها مدير الجامعة ـ وخطاب حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير الدولة والرئيس الأعلى للجامعة بمناسبة تخريج الدفعة السابعة في جامعة قطر ـ كلمة لمدير الجامعة بمناسبة إكمال مسيرة التعليم الجامعي في قطر عشر سنوات (عقد كامل) ـ كلمة الجامعة بمناسبة تخريج الدفعة السابعة من طالباتها ـ كلمة الخريجين ـ كلمة الخريجات ـ بعد ذلك جاءت محاضرة الشيخ محمد الغزالي « القيم الإنسانية في الإسلام » ثم « لماذا الإسلام ؟ » للدكتور يوسف القرضاوي ، ثم جاءت محاضرة الدكتور حسن أبشر الطيب « دور الإداريين في التنمية » ثم « دعوى تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني » للدكتور عبد الله العلي الركبان ، ثم « الدولة الإسلامية والدولة العصرية » للدكتور محمد سليم العوا ، ثم « الآثار السلوكية للتليفزيون » للدكتور صلاح الدين أحمد جوهر ، ثم جاءت محاضرة الدكتور رجاء جارودي « الإسلام وأزمة الغرب » ثم « تصحيح الأوضاع اللغوية » للأستاذ محمد الفاسي ، ثم « القرآن وأصل الإنسان » للدكتور موريس بوكاي ، وأخيراً جاءت « إسلاميات » للدكتور عبد العزيز السيد . إلى جانب ثلاث محاضرات باللغة الإنكليزية . □□

الكتاب : مع المكتبة العربية

الكاتب : الدكتور عبد الرحمن عطبة

الناشر : دار الأوزاعي

□□ هذا الكتاب محاولة لتيسير استخدام المكتبة العربية أمام الدارسين والباحثين ، خاصة في الجانب التراثي المتعلق بالعلوم الإنسانية وما يتصل به من مؤلفات حديثة ، ولقد التزم الكاتب التعريف بكل كتاب من خلال تحديد غرضه وعرض خطة مؤلفه والإشارة إلى محتوياته ، وذكر طبعاته المختلفة نشراً وتحقيقاً ومكاناً وزماناً .

وقد قسم كتابه هذا إلى خمس مجموعات :

الأولى : الكتب المفاتيح [دوائر المعارف والموسوعات ...] .

الثانية : معاجم اللغة وكتب المفردات .

الثالثة : معاجم الكتب وفهارس المخطوطات والمطبوعات .

الرابعة : كتب الرجال ، وقد قسمها إلى ستة أقسام : كتب التراجم العامة ـ كتب تراجم الصحابة ـ كتب تراجم الرجال المتصلين بعلوم أخرى ، كتب الأنساب .

الخامسة : أمهات كتب التراث في عدد من فنون المعرفة (التاريخ ـ المدن والجغرافيا والرحلات ـ الأدب ـ الاختيارات الشعرية ـ اللغة والنحو والصرف ـ العلوم الإسلامية وتشمل : كتب العقيدة والفلسفة الإسلامية ، كتب أصول الفقه ، كتب الفقه ، كتب التفسير والعلوم القرآنية ، كتب الحديث وعلومه ...) .

وقد ألحق الكاتب بكتابه فهرساً بأسماء الكتب التي وردت وأسماء مؤلفيها مرتبة على حروف المعجم ، وفهرساً بأسماء المؤلفين وأسماء كتبهم مرتبة على حروف المعجم أيضاً ، وفهرساً عاماً لموضوعات الكتاب . □□

البنـ

في الاقتصاد الإسلامي

■■ أصبحت البنوك الإسلامية ـ على حداثتها ـ علامة مميزة للواقع الاقتصادي الإسلامي المعاصر ، وقد جمعت تجربتها الفريدة ـ منذ بدايتها ـ ولا تزال ، بين التنظير والتطبيق في آن واحد .. فالتطبيق جاء بسرعة قبل أن يأخذ التنظير مداه من حيث إيجاد الأوعية الشرعية لحركة المصارف الإسلامية ومعاملاتها ...

وفي ظل الممارسة العملية ، ووسط مؤسسات اقتصادية وبنوك تتعامل بالربا ، تظهر باستمرار تحديات جديدة وكبيرة أمام أولئك الذين يحاولون إحياء نهج الإسلام وإعادة بنائه ليحكم الحياة العملية ، وذلك بإنشاء نظام مصرفي على نحو يؤدي فيه وظائفه العادية ـ التي لا غنى عنها للاقتصاد الحديث المتقدم ـ ولكن على أساس المبادىء الإسلامية ، ودون اللجوء إلى الربا أو مايسمى الفائدة ..

والمصارف الإسلامية ـ كتجربة تطبيقية رائدة ـ قوبلت بمواقف متباينة : من معارضين يدَّعون أنها تمارس الأعمال المصرفية نفسها تحت اسم إسلامي ، ومن مستبشرين يرون أنه قد آن الأوان للمرحلة التطبيقية للمبادىء الإسلامية ، وأن بعض العثرات لا تعني النكول عن الطريق ... ومن متخصصين يحاولون تقديم الدراسات الشرعية المتخصصة وتوليد الأحكام الشرعية وإيجاد الأوعية المصرفية الشرعية .

من هنا نقول بأن هناك الكثير من الدوافع التي تجعل المسلمين اليوم يرغبون بشدة في التعرف على التجربة المصرفية الإسلامية وأبعادها ..

وتأتي أهمية هذا الحوار الذي نقدمه ـ من أنه قد جرى مع شخصية بارزة في مجال الاقتصاد الإسلامي ، وواحد من أصحاب الخبرة والاختصاص في تأسيس البنوك الإسلامية وتسييرها ..

الدكتور جمال الدين عطية ■■

ملامح التجربة

■■ **على ضوء خبرتكم ، وممارستكم للعمل المصرفي الإسلامي في مراحله الأولى ، هل يمكن أن نتعرف على أهم ملامح هذه التجربة ، والمراحل التي مرّت بها حتى أصبحت البنوك الإسلامية حقيقة واقعة ، والمشكلات التي تواجهها حالياً ، خاصة وأن معظم هذه البنوك قد بدأت في بلاد لمَّا تطبق الإسلام بعد في باقي نواحي الحياة ، الأمر الذي قد يؤدي إلى بعض صعوبات ما كانت لتقوم لو اكتمل تطبيق الإسلام ؟**

ـ كلنا يعلم أن هناك مرحلة التنظير التي من الواجب أن تسبق دائماً مرحلة التطبيق .. وقد شهدت الأمة الإسلامية نهضة في ميدان التنظير في مختلف العلوم الإسلامية خلال الثلاثين سنة الماضية . وكانت هذه النهضة تسير بصورة بطيئة نوعاً ما ولكنها تسعى إلى الأمام على كل حال .. وفجأة وخلافاً لما هو المنظور أو المتصور فقد **بدأت تجربة البنوك الإسلامية على غير سابق إعداد كان يتصوره من يخططون في هدوء ، والسبب في هذا التركيب غير المتصور هو أن المسلمين منذ أن داهمتهم البنوك الغربية ووجدوا في معاملاتها عنصر الربا فاشياً ، ووجدوا إجماعاً أو شبه إجماع من علماء الأمة الإسلامية على مدار عشرات السنين ، وفي الكثير من المؤتمرات والندوات التي عقدت لهذا الغرض . وجدوا إجماعاً على أن معاملات البنوك تقوم على الربا وهو محرم** ، ووجد المسلمون أنفسهم عازفين عن التعامل مع هذه البنوك إلا من اضطر ـ بحكم أعماله ـ أن يلجأ إلى التعامل معها .. وقد وجدت فتاوىٰ تبيح لهم هذا التعامل على أساس الضرورة : ثم وُجدت فكرة أن هذه الضرورة إذا استرحنا إليها فقد يستمر بنا الحال عقوداً أخرى بل قد يستمر قروناً أخرى .. ولذلك **عكف بعض الباحثين على إيجاد صيغة شرعية تكون بديلاً للنظام المصرفي القائم على الربا** ، حتى إذا وجد هذا البديل لم تعد هناك حاجة للمحتاج أن يلجأ إلى عنصر الضرورة لاستباحة التعامل مع البنوك الربوية ..

كان هذا السبب هو الذي دفع مجموعة من المتحمسين لإعمال الإسلام في نواحي الحياة كافة ، أن يبدأوا التنظير كما هو متصور في أي عمل .. وأشير إلى هذا لأننا بعد أن بدأنا الممارسة مع قليل من التنظير والإعداد العلمي ـ وكانا غير كافيين بطبيعة الحال ـ واجهتنا الكثير من المشاكل التي لم تكن متَّضحة قبل العمل .. ولمسنا في كتابات من كان يكتب في الاقتصاد الإسلامي أن هذه الكتابات أصبحت متخلفة عن تغطية الواقع الذي تقابله البنوك الإسلامية في معاملاتها .. لذلك فقد استجاب هؤلاء الكتّابُ ـ مأجورين ـ وبدأوا يبحثون في المسائل الجديدة التي استجدت ببداية التطبيق ، وبذلك كانت هذه الممارسة دافعاً قوياً ، إلى مزيد من التنظير لتغطية

■ مدير التحرير في حوار مع الدكتور جمال عطية .. ■

...وك الإسلاميّة
بين النظريّة والتطبيق
في حوار مع الدكتور جمال عطية

الدكتور جمال الدين محمد عطية

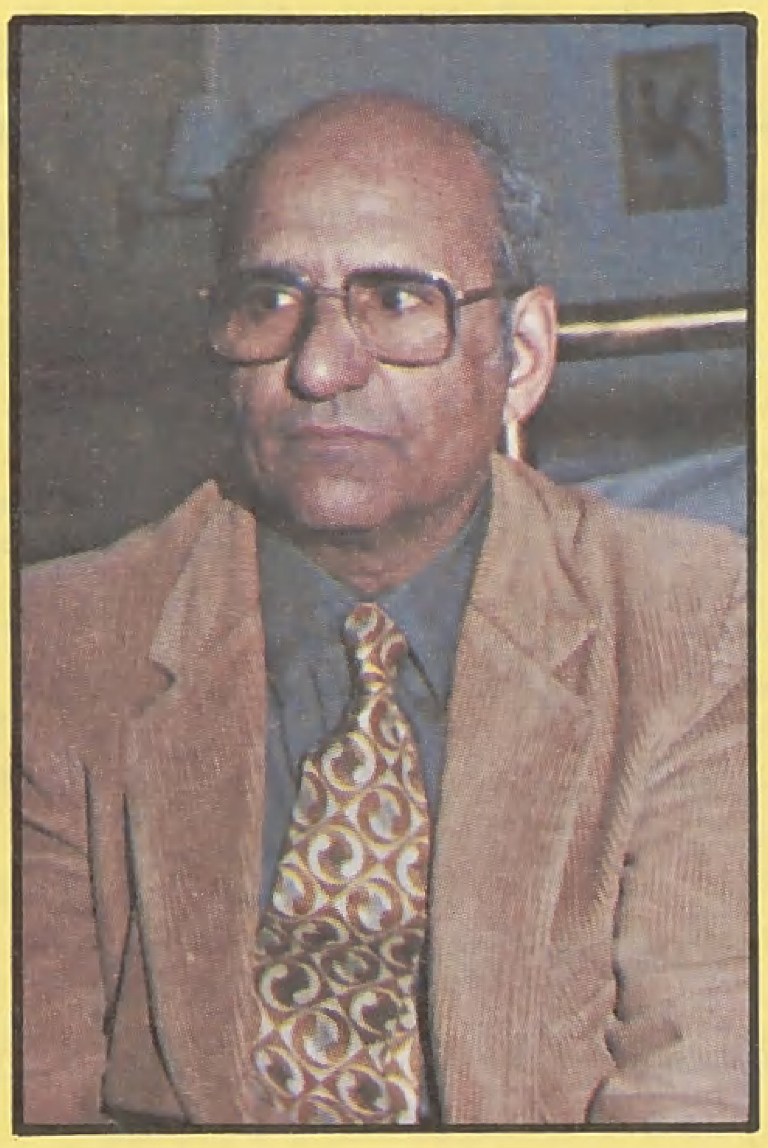

- عضو مجلس إدارة المصرف الإسلامي الدولي في «لوكسمبرج» منذ عام ١٩٧٨م .
- رئيس تحرير مجلة « المسلم المعاصر » .
- شارك في تأسيس وتطوير البنوك الإسلامية في الكويت والسودان والدانمرك .
- عمل بالمحاماة منذ عام ١٩٥٠ ، ثم عين أميناً عاماً للموسوعة الفقهية بالكويت .
- نال الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة جنيف سنة ١٩٦٠م
- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨م .
- من مواليد سنة ١٩٢٨م .

الثغرات التي وجدت في مجال العمل والتطبيق ...

ـ بهذه المقدمة أردت أن أوضح أننا بصدد ظاهرة غير طبيعية لأنها إقامة لجزء من النظام الإسلامي في وسط لم تكتمل فيه باقي نواحي الإسلام من حيث التطبيق ، والإسلام كما نعلم جميعاً كل متكامل ـ والذي يتصور أن يقوم في ظلّه نظام متكامل يشد بعضه بعضاً ، وقيام جزء من الإسلام في مجال التطبيق ، بينما هو غير قائم في بقية الأجزاء يؤدي بطبيعة الحال لصعوبات ما كان لها أن تقوم لو كان النظام متكاملاً في التطبيق .. هذا الذي نشهده حينما نبحث حالة البنوك الإسلامية ، التي بدأت في بلاد لمّا تطبق بعد الإسلام في باقي نواحي الحياة .. ولذلك حينما نجحت هذه التجربة ـ بإقبال الناس عليها ، وضخ الأموال الكثيرة فيها ـ بدأت بعض الدول تفكر في أن تعمم هذا النظام وأن يكتمل تعميمه في الساحة كلّها بتغيير جميع البنوك فيها إلى النظام الإسلامي ـ وأكبر مثال على ذلك ـ والذي بذلت فيه جهود حقيقية ـ هو الباكستان ـ فقد بدأت فيها منذ أربع سنوات لجنة ، عكفت على دراسة كيفية تحويل النظام الاقتصادي بأكمله إلى النظام الإسلامي ، وواجهت جميع المشكلات التي تصورت حدوثها ، ووضعت خطة مرحلية ـ تنتهي بإذن الله في أول الشهر السابع من هذا العام . ولا يبقى بعد ذلك إلا مسألة أو مسألتان لمّا تجد لها هذه اللجنة حلّاً بعد ..

■■ إلى أي مدى تؤدي البنوك الإسلامية الوظيفة التي تقوم بها البنوك الربوية ؟

ـ إذا أحببنا أن نوضح بعض الأمور التي قد تعوقنا حينما نفكر في مشاكل البنوك الإسلامية ـ نجد أن مسائل التعريف والمصطلحات ضرورية ، فكما ذكرت : فكرة البنوك الإسلامية قامت لايجاد بديل شرعي عن شيء قائم بالفعل ، لذلك فكّر المخططون لها في أن تؤدي المؤسسات الجديدة التي أسميت بالبنوك الإسلامية الوظائف التي تقوم بها البنوك الربوية ولكن على أساس مقبول من الناحية الشرعية ..

ولذلك اتسمت حركة البنوك الإسلامية بأنها تحاول أن تؤدي الوظائف التي تؤديها البنوك الأخرى مع استبعاد عنصر الفائدة منها ..

وبطبيعة الحال ، لو كان التفكير قد بدأ من زاوية أخرى ، وهي الزاوية الاقتصادية العامة ، لكان التفكير يؤدي بنا إلى أن تقوم هذه البنوك أو هذه المؤسسات بجميع الوظائف الاقتصادية ، وليس فقط بالوظيفة المصرفية التي تحاول أن تسد بها فراغ البنوك الربوية .

■■ المعروف أن البنوك الإسلامية قد زاد عددها زيادة كبيرة في الآونة الأخيرة ، ولسوف تلقى مزيداً من الانتشار في المستقبل ـ بإذن الله ـ والمعروف أيضاً أن هذه البنوك تقوم في بلاد تختلف فيها النظم الاقتصادية بعضها عن بعض اختلافاً واضحاً : الأمر الذي لابد وأن يؤثر على أوضاع هذه البنوك وصيغة تأسيسها ومدى ممارستها .. كيف ترون الأساس الذي يمكن عليه تصنيف البنوك التي قامت حتى الآن ؟

ـ إذا أحببنا أن نصف البنوك الإسلامية التي قامت ، والتي لم يمر على قيامها الآن عشر سنوات ، نجد أنها بلغت ـ بحمد الله ـ ما يربو على الأربعين أو الخمسين بنكاً الآن ، ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يحصرها لأنها بحمد الله تتوالد كل يوم ـ ففي كل يوم نسمع عن قيام بنك إسلامي جديد .. **حتى في الصين الشيوعية ، قام المسلمون هناك بإنشاء بنك إسلامي ، وفي الهند ، قامت عدة جمعيات للائتمان وضمها اتحاد واحد للقيام بالوظائف البنكية نفسها .. إلى جانب الدول الأفريقية الكثيرة التي قامت فيها بنوك إسلامية ـ** هذا فضلاً عن البنوك الإسلامية التي نعلمها على الساحة العربية ..

وإذا أحببنا أن نصنِّف هذه البنوك : يمكن أن

البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق

ننظر في تصنيفها من زاويتين .. **الزاوية الأولى** هي زاوية الإطار القانوني الذي يحكمها ، فبعض هذه البنوك أو معظمها قامت باستثناء خاص يعفيها من الخضوع للنظم المصرفية السائدة ، كان هذا هو الحال في قيام بنك دبي ، ثم بيت التمويل الكويتي ثم بنك فيصل في السودان وفي مصر ، كل هذه البنوك قامت بقانون خاص خلافاً للبنوك الربوية التي تنشأ بعقد شأن الشركات المساهمة .. ولكن لزم للبنوك الإسلامية أن تعفى من القوانين التي تحكم نشاط البنوك الأخرى وهذا الاستثناء يحتاج إلى قانون لأن القانون لا يمكن الإعفاء منه إلا بقانون ـ هذه البنوك تعيش هذه الحالة ، واحات صغيرة في وسط مجموعة كبيرة من البنوك الربوية ينظمها قانون الدولة ويشرف عليها البنك المركزي ، وكان هذا يشمل إعفاءً من التقيد بالقواعد التي تضمها القوانين المصرفية . وإعفاءً كذلك من رقابة البنك المركزي أو سلطات الرقابة على البنوك ، ولذلك تمتعت هذه البنوك بنوع كبير من الحرية والمرونة في عملها ولكن هذا السلاح ذو حدّين لأنه في غياب الرقابة يلزم وجود رقابة ذاتية ويلزم وجود نوع كبير من الثقة في القائمين على هذه البنوك يعصمها من الانحراف ..

الفئة الثانية هي التي بدأت تظهر باقتناع بعض الحكومات ـ لا بمجرد السماح لبعض البنوك استثناءً من نظامها ؛ ولكن بتحويل جميع نظامها المصرفي إلى النظام الإسلامي ـ قامت بذلك **إيران** ، **والباكستان** ، **والسودان** مؤخراً ، بل إن تركيا نفسها قد سمحت بقيام بنوك إسلامية دون أن تسميها إسلامية بقانون أصدرته ينظم حركة هذه البنوك .. هذه هي الحالات الأربع التي قامت حتى الآن بتنظيم البنوك الإسلامية بقانون ، يضع لها الحدود والضوابط ، ويحدد الأجهزة الحكومية التي تشرف على نشاطها وعلى اتباعها لهذه القواعد .. **وهناك في دولة الإمارات العربية مشروع قانون ينتظر أن يصدر خلال أسابيع ستكون به هي الدولة الأولى في هذه المنطقة التي تصدر قانوناً من هذا النوع ..**

وهنالك نوع آخر من البنوك لا يوجد تحته إلا نوع واحد الآن **هو بنك الدانمرك الإسلامي والذي سمح له بالقيام دون استثناء من القواعد المصرفية الموجودة** ، وبذلك كان وضعه صعباً وتحدياً إلى درجة كبيرة لأنه قد سمح له أن يمارس النشاط الذي يريده ولكن في إطار القانون القائم حالياً هناك وهذا مما يضيق كثيراً من حركته لأن المفروض أن يقوم تحت نوعين من القواعد إذ يلزم أن يكون كل نشاط يقوم به متفقاً مع الشريعة الإسلامية وغير مخالف للقوانين المصرفية في الدانمرك في الوقت نفسه ..

■■ **كيف كانت استجابة الدول الأوروبية لإقامة بنوك إسلامية ، على ضوء القوانين المصرفية السائدة فيها ، وعلى أساس ما هو معروف في العالم من أن البنوك مؤسسات تقبل الودائع وتقدم القروض بفائدة مضمونة ومحددة مسبقاً ؟**

ــ حينما تقدمت بعض البنوك الإسلامية أو المجموعات التي تنشط في هذا المجال إلى دول أوروبية طالبة التصريح لها بإنشاء بنوك إسلامية ، كان الرد في بداية الأمر بالرفض . ثم بعد بحث الأمور تبّين لهم أن نشاط البنوك الإسلامية يمكن أن يتم في إطار قوانين أخرى غير القوانين المصرفية ، **ولذلك جاء تصريح محافظ البنك المركزي البريطاني منذ أربعة شهور في هذا الاتجاه ـ فقال :**

مرحباً بالبنوك الإسلامية أن تنشط في بريطانيا لا على أنها بنوك ، ولكن على أنها شركات استثمار مثلاً أو شركات من أي نوع تختاره وتخضع للقوانين التي تنظم عملها .. والسبب في هذا هو ما أريد أن أصل إليه وهو أن تعريف البنك كما عرفته الدنيا خلال المائتي عام الماضية هو أنه : المؤسسة التي تتقبل الودائع وتضمنها وتضمن عائداً محدداً مسبقاً عليها ، وتعطي هذه الودائع بعد تجميعها إلى المقترضين الذين يضمنون كذلك سدادها وسداد فائدة محددة مسبقاً عليها . وتعيش البنوك على الفرق بين الفائدتين : الفائدة القليلة التي تعطيها للمودعين والفائدة الكبيرة التي تأخذها من المقترضين .

وبحكم هذا التعريف ؛ فإن هذه المؤسسات لا يمكن أن تمارس أي عمل فيه مخاطرة ، ولذلك فالأمر الأساسي في تعريف البنوك وقوانينها يقوم على أمرين : أولاً .. أن البنوك ممنوع عليها أن تتعامل بالتجارة . والأمر الثاني أن البنوك لا يمكن لها أن تقوم إلا على أساس التعامل بالفائدة .

والغريب أن هاتين القاعدتين هما بالضبط خلاف قوله تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا .. ﴾ فهم يحلّون الربا ويحرمون البيع على البنوك ونأتي نحن لنقيم ما نريد أن نسميه بنوكاً ، نحل فيها البيع ونحرم الربا .. هذا هو التعارض وهذا هو الأمر الذي يقف عقبة دون السماح للبنوك الإسلامية أن تقوم تحت اسم البنوك .. المسألة ليست فقط مسألة الاسم وإلا يمكن أن تسمى بيوت التمويل أو تسمى أي اسم آخر ولكن المسألة هى في السماح لها بتلقي الودائع من الجمهور ، فتلقي الودائع من الجمهور يحتاج إلى حماية خاصة من الدولة ، هذه الحماية هي التي تصورتها القوانين المصرفية في هذه الصورة ، أنها تؤخذ وتُعطى

■ **المشاركة المتتالية : من الأمور التي استُحدثت في البنوك الإسلامية .. وبدونها لا يمكن أن تقوم بوظيفتها في الوساطة بين المدّخرين وبين المحتاجين إلى الأموال لاستثمارها .. ■**

■ **دور البنك الإسلامي في « الودائع المخصصة » هو دور الوكيل عن صاحب المال في استثماره ، على مسؤولية صاحب الوديعة .. ■**

■ مقر المصرف الإسلامي الدولي في لوكسمبرج ■

كذلك مضمونة للمقترضين ...

وهناك تعريف آخر يثير لبساً كذلك هو تعريف الودائع .. **الوديعة في الشريعة وفي القانون هي الشيء أو المبلغ الذي يُودَع عند شخص ويسترد منه بعد ذلك ، وإذا كان الشيء المودَع مثلياً كالنقود ـ والنقود بطبيعة الحال قابلة للاستهلاك باستعمالها ـ يصبح ديناً في ذمة المودع لديه ، ولا يلتزم برد عينه وإنما يلتزم برد مثله ويجوز له استعماله .**

أما إذا كان الشيء المودع ليس مثلياً ، فإنه يلتزم المودع لديه بحفظه وصيانته ولا يجوز له استعماله وإلا كان ضامناً .. هذا التعريف للوديعة يتنافى تماماً مع ما تقوم به البنوك الربوية من أخذ الأموال واستعمالها ، لأنها بذلك تصبح قروضاً ينطبق عليها تعريف القرض ولا تصبح وديعة .. ولذلك فحينما تبحث المحاكم في تكييف الوديعة في البنوك الربوية تقول إنها قروض وليست ودائع وينطبق عليها أحكام القروض وليس أحكام الودائع ، وبعض المحاكم أخذت بأنها عقد من نوع خاص ، ولم تقل المحاكم أبداً بأنها ودائع بالمعنى القانوني فضلاً عن المعنى الشرعي ..

حينما نبحث عن الودائع في البنوك الإسلامية نجد كذلك أن عبارة الودائع وعقد الوديعة لا ينطبق على ماتقوم به البنوك الإسلامية من استلام المبالغ والمدخرات من الأفراد لاستثمارها لحسابهم ، فهذا **نوع من المشاركة وليس وديعة** .. وحتى نصل إلى ابتداع مصطلح جديد نطلقه على هذا النوع من المعاملة ، **فقد جرت البنوك الإسلامية على تسميتها بالوديعة الاستثمارية تمييزاً لها عن الودائع بالمفهوم الشائع في البنوك الربوية .. ويؤدي هذا اللبس** في المصطلحات إلى كثير من الخطأ في ترتيب الأحكام نتيجة لمحاولة إنزال أحكام الوديعة على معاملة لا تمت إلى الوديعة لا بمعناها القانوني ولا بمعناها الشرعي بصلة ما .

■■ إن صورة الشركات والمؤسسات الاستثمارية تختلف من مؤسسة إلى أخرى بحسب الهدف ونوع النشاط الذي تمارسه ، ما هي في رأيكم الصورة التي تناسب نشاط البنك الإسلامي ووظائفه ؟

ـ الصورة الغالبة التي قامت في ظلها البنوك حتى الآن هي صورة الشركة المساهمة . وهي شركة تجارية تأخذ شكل الشركة المساهمة ، بمعنى أنه يشترك في ملكية رأسمالها عدد كبير أو صغير من الأفراد ، يبتغون من وراء ذلك الربح الذي يوزع عليهم في نهاية العام ..

هناك شكل آخر لعله أقرب إلى تحقيق المقصود من هذا الشكل هو شكل الشركة التعاونية ، لأننا حينما فكرنا في موضوع البنوك الإسلامية وكيف تكافؤ المودعين فيها ، وجدنا أنه من الضروري إيجاد نوع من التشابه أو التقريب بين وضعهم ووضع المساهمين تمييزاً عن البنوك الربوية التي تحدد علاقتها بالمودع على أنها علاقة مديونية : دائن بمدين ..

في صورة الشركات التعاونية وفقاً للنظام التعاوني ، هناك ميزتان رئيستان :

الميزة الأولى : هي أنه لا توجد فئتان وإنما هي فئة واحدة ، فئة المشترك الذي يشترك برأسمال في هذه الشركة التعاونية ، والمتعامل هو المشترك نفسه ، والذي يوزع في النهاية هو العائد ، فلا يوجد أمران يوزعان كربح المودعين وربح المساهمين وإنما هو مبلغ واحد في صورة عائد وفقاً للنظام التعاوني وبذلك لا يوجد فئتان ولا يوجد تضارب بين مصلحتين كما يوجد أحياناً في البنوك التي تأخذ شكل الشركة المساهمة ..

وهناك ميزة أخرى لهذا النوع من الشركات **هو أن التصويت في الجمعية العمومية يكون بالتساوي ، فجميع الشركاء في الشركة التعاونية ـ أيا كان حجم مساهمتهم لهم صوت واحد ـ وهذا يكفل عدم طغيان أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة الذين يقدرون**

المصرف الإسلامي الدوليّ في لوكسمبرج

□ أول شركة تمويل إسلامية في أوروبا حيث تأسس كشركة مساهمة قابضة في أكتوبر ١٩٧٨م .

□ قام بتأسيس عدة شركات لتمويل عملياته ، في مناطق جغرافية مختلفة منها : المصرف الإسلامي الدولي في كوبنهاجن (الدانمرك) ـ شركة «سير» لاعادة التامين في بناما ـ بيت التمويل الإسلامي في لندن ـ بيت الاستثمار الإسلامي في جزر «الانتي» الهولندية ـ مؤسسة الزكاة والخيرات في فادوتس ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت .

□ يمتد نشاطه إلى ست عشرة دولة في العالم الإسلامي بالإضافة إلى استثماراته في البلدان الأوروبية .

□ يستخدم في عملياته ثلاث عملات هي : الدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني والمارك الألماني .

□ يقيم علاقات عمل وتعاون مع المصارف والمؤسسات الإسلامية ، ويقوم من خلال اتفاقيات التعاون بعمليات استثمارية مع بعضها .

□ يتمتع ـ بحكم تواجده في لوكسمبرج ـ بالإعفاء من ضرائب الدخل الأصلية والإضافية والتكميلية والضرائب على الكوبونات وضرائب الشركات ـ وتتمتع رؤوس الأموال التي يتعامل بها بحرية وسهولة التحويل إلى أي مكان في العالم دون قيود .

البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق

على شراء عدد كبير من الأسهم . وفقاً لنظام الشركات المساهمة يكون لكل صاحب سهم صوت - فالذي يملك ألف سهم له ألف صوت والذي يملك سهماً واحداً له صوت واحد . بينما في الشركات التعاونية يتساوى الشخصان في أن لكل منها صوتاً واحداً منهما كان عدد أسهمه ..

هناك صورة ثالثة تتأثر بها كذلك أنشطة البنك هي صورة المؤسسة التنموية على غرار **بنك التنمية الإسلامي في جدة** .. وهو المؤسسة التي تقوم بها بعض الحكومات لا ابتغاء الربح كما هو الحال في الشركات التجارية ، وإنما ابتغاء المساهمة أو الإسهام في دعم اقتصاديات البلاد وتنميتها خاصة بمشروعات البنية الأساسية - هذا النوع من المؤسسات لا يبتغي الربح

ولا يقدم القروض مقابل فائدة ربوية ، وإنما - حتى في النظام الربوي - يكون تقديم هذه القروض مقابل فائدة رمزية لا تمثل إلا المصاريف الضرورية لتغطية مصاريف البنك أو المؤسسة التنموية أو الصندوق التنموي ..

وحينما ننظر في ما هي الصورة التي تناسب نشاط البنك الإسلامي أن يأخذها نجد أن جميع هذه الصور مناسبة لأن البنك الإسلامي بطبيعته لا يصح أن يتقيد بصورة واحدة ، وإنما كما هو الشأن في البنوك الأخرى الربوية يجب أن تتنوع أشكاله ووظائفه وأن تتخصص منه بنوك في النشاط العقاري وبنوك أخرى في النشاط التجاري ، وهناك بنوك أخرى متخصصة في التجارة الخارجية وهناك بنوك للعلاقات المحلية في

صورة صناديق التوفير والادخار .. كل هذه الصور واردة ، ومن الممكن أن تتنوع البنوك الإسلامية وأن تأخذ هذه الأشكال المختلفة ..

■■ من أين تكتسب البنوك الإسلامية مواردها ؟

ـــ البنوك الإسلامية تكتسب مواردها من رؤوس الأموال فيها .. هذا هو العنصر الأول .. رؤوس الأموال التي تشكل أموال المساهمين . والعنصر الثاني هو أموال المودعين .. التي تأخذ عدة صور ؛ منها صورة الحسابات الجارية ، وهذه لا تشكل أي مشكلة كما هو الحال في معظم البنوك الربوية التي لا تعطي فائدة على الحسابات الجارية - (هناك طبعاً بلاد مثل أمريكا تعطي فوائد على الحسابات الجارية ، ولكن في بلادنا لا تعطى فوائد على الحسابات الجارية) - فشأنها في البنوك الإسلامية هو الشيء نفسه .. تقوم البنوك الإسلامية بضمان هذه الودائع ولا تشرك صاحبها لا في الربح ولا في الخسارة ، وإنما يفوضها المودعون ، أنها إذا أحبت أن تستثمر هذه الأموال لصالحها وعلى مسؤوليتها الخاصة فلا بأس عندهم في ذلك . على أنها مسؤولة وهذه الأموال مضمونة عليها إذا طلبها صاحبها في أي وقت فالبنك ملزم بإعادتها ..

هذا هو حكم الحسابات الجارية في البنوك الإسلامية ..

ونأتي إلى **حساب الودائع الاستثمارية** .. وهذه هي المشكلة الرئيسة لأن البنوك الربوية تتعامل فيها بالفائدة المحددة سلفاً ..

البنوك الإسلامية قامت باستحداث العديد من أنواع الحسابات الاستثمارية .. أهمها الحسابات العادية لأجل ، والتي تودع فيها هذه الودائع لأجل يحدده صاحبها ، ويمكنه أن يسحبها عند انتهاء الأجل ، ويكون مشاركاً للبنك في سلة عامة تصب فيها هذه الودائع جميعاً ، وتستثمر من هذه السلة العامة ويكون شريكاً مع زملائه المودعين الآخرين ومع أصحاب رأس المال المساهمين في نتيجة أعمال هذه السلة العامة ، ربحاً أو خسارة ، ويقومون بتوزيع الربح على أساس نظام النمر المعروف ، أي مراعاة المبلغ والمدة التي بقيتها كل وديعة ..

وتقوم البنوك الإسلامية بهذا العمل على أساس وحدة زمنية هي السنة المالية للشركة

■ المستشفى الذي قامت إحدى شركات المصرف الإسلامي الدولي في لوكسمبرج - بإنشائه وتزويده بالمعدات الطبية بطريق الإيجار ، ويديره مجموعة من الأطباء المسلمين الاختصاصيين في فلوريدا ■

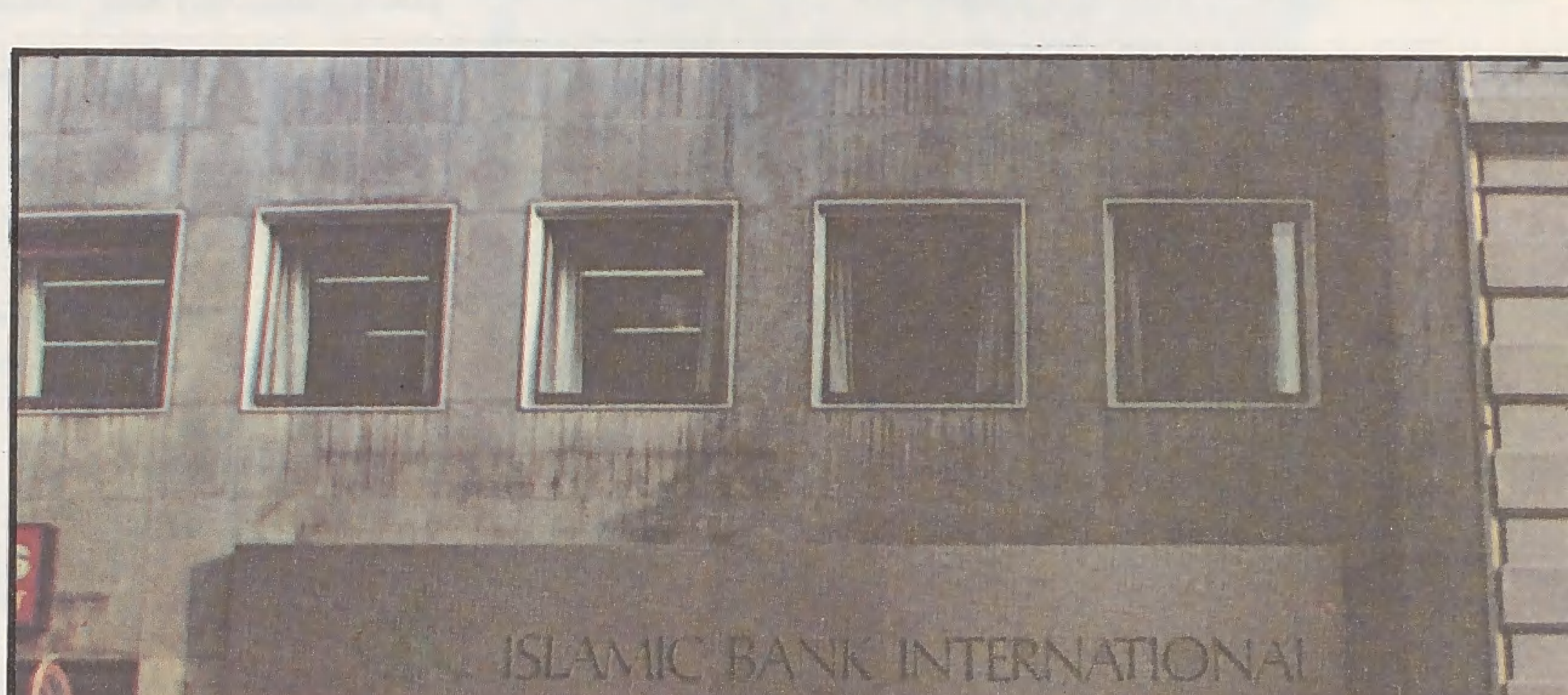

مقر المصرف الإسلامي الدولي في الدانمرك مملوك بالكامل للشركة القابضة في لوكسمبرج ■

■ يقوم المصرف بتمويل شبكة من محلات بيع المفرق للمواد الغذائية في المانيا ■

■ ويقوم بتمويل العديد من الصناعات المتطورة بطريق المساهمة والمرابحة وتقديم رأس المال العامل .. ■

■ الكمبيوتر اليدوي الذي ساهم المصرف في تمويل إنتاجه وتطويره ■

■ البنك الإسلامي الذي يريد أن يقوم بالاتّجار المباشر ؛ عليه أن يؤسس شركة خاصة للقيام بهذا النوع من النشاط .. وأن يتحفَّظ في معاملتها فلا يدلي إليها بما لديه من أسرار عملائه .. ■

أو للبنك .. ولا تراعي في هذا مدى توافق ورود وديعة معينة مع خروج مبلغ معين إلى استثمار معين ، أي أنه لا يستطيع مودع أن يقول : أنا وديعتي أدخلتها في الشهر الرابع وكان في هذا الشهر مشروع ناجح جداً قام به البنك وربح به ٢٠٪ فأستحق ٢٠٪ .. أو أني أودعت أموالي في الشهر الرابع والبنك حقق خسارة في الشهر الأول والثاني ولا أشاركه في هذه الخسارة لأنها حصلت قبل دخولي .. لا تثار هذه المسائل لأن المبدأ الأساسي هو أن الوحدة الزمنية لهذه السلة العامة هي وحدة السنة المالية ..

هذا أمر هام لأن المعروف قديماً قبل نشأة هذه البنوك هو أن المشاركة تكون مشاركة متوازية ، أي أن يشترك شخصان معاً في مشروع منذ بدايته حتى نهايته ، وإذا دخل أحد الشركاء بعد بدء المشروع فيقوَّم المشروع عند دخول الشريك الثالث حتى لا يشارك إلا فيما يستجد بعد دخوله : هذا من غير الممكن تطبيقه في البنوك الإسلامية لأن ألوفاً وعشرات الألوف من الودائع التي تدخل وكذلك مئات المشروعات التي تصب فيها هذه الودائع لاستثمارها منها لا يمكن أن تتوافق ـ لا أحجام الودائع ولا مُددها ـ مع الأحجام المطلوبة والمدد المطلوبة لهذه الاستثمارات .. هذا التوافق غير ممكن ، وهذه هي الوظيفة الرئيسة للبنوك ، أنها تقوم بهذه العملية ، عملية الوساطة بين المدخرين وبين المحتاجين إلى الأموال لاستثمارها ، ولا يمكن للبنوك أن تقوم بهذه الوظيفة إلّا على هذا الشكل ، بخلط هذه الأموال معاً ، لا خلطاً متوازياً فقط ولكن خلطاً متتالياً كذلك .. أي أنه يدخل شخص الآن وبعد شهر يسحب وديعته ويدخل شخص آخر ثم يسحب وديعته ، وهكذا .. والأعمال الاستثمارية مستمرة ويوزع الربح في نهاية العام .. **هذه المشاركة المتتالية لم تكن موجودة ، ولذلك فهي من الأمور التي استحدثت في البنوك الإسلامية والتي بدونها لا يمكن أن تقوم البنوك بوظيفة الوساطة ..**

يوجد نوع آخر من الودائع ـ غير السلة العامة للودائع ، وهي «**الودائع المخصصة**» ، حيث يعرض البنك على المودِع لديه المشروعات التي لديه فيختار منها المودع مشروعاً أو أكثر يثير اهتمامه فيطلب دراسة مستفيضة عنه ، وبعد أن يقتنع به يطلب أن تستخدم وديعته في هذا المشروع بالذات . ودور البنك الإسلامي في هذه الحالة هو أشبه بدور الوكيل عن صاحب المال في استثماره في هذا المشروع على مسؤولية صاحب الوديعة ، بينما دور البنك في الحالة الأولى ـ حالة السلة العامة ـ هو أقرب لدور المضارب الذي يفوَّض في الاستثمار دون تقييد من صاحب المال ..

■■ ألا ترون أنه من الممكن أن تقوم البنوك الإسلامية باستحداث أوعية مصرفية جديدة ، لمواجهة احتياجات المجتمع الإسلامي ؟

ـ من الممكن أن تستحدث البنوك الإسلامية صوراً أخرى من الودائع وهذا يجري الآن البحث فيه ـ حتى تستطيع أن تستجيب للحاجات المتجددة والمتغيرة والمتطورة للمجتمعات الإسلامية ، ولا يجوز أن يقف الأمر عند هذين النوعين فقط ..

ومن أحدث ما استحدث في هذا الباب ، ويتفق مع الشريعة الإسلامية ومع القوانين المصرفية وبالذات في الغرب هو ما أطلق عليه اسم «الوديعة المشروطة» . لأننا حتى ننفذ من باب القوانين المصرفية الحالية وتعتبر الأموال مضمونة ولا تتعرض للمخاطر توصلنا إلى هذه الصورة وهي أن يودع المبلغ في حساب جارٍ في البنك ، وهذه صورة مقبولة شرعاً ومقبولة قانوناً كذلك لأن الوديعة الجارية مضمونة ، وتعطى تعليمات من صاحب الوديعة إلى البنك أنه إذا وجد مشروعاً تتوافر فيه شروط كذا وكذا فإن البنك مفوض في استثمار هذا المال فيه ..

وقد صدرت عن ندوة عقدت في المدينة المنورة في رمضان قبل الماضي فتوى أن مثل هذا الشرط صحيح حتى لو كان يقيد المضارب بألَّا يستثمر المال الذي أؤتمن عليه إلا في مشروع لا يقل ربحه عن كذا وأنه إذا خالف هذا الشرط يصبح ضامناً للمال ..

بهذا الشرط يمكن للبنك إذا وجد مشروعاً ـ ولنقل عملية مرابحة مثلاً ـ يمكن إتمامها دون تعريض مال المضارب للخطر ، وتحقق ربحاً

البنوك الإسلامية
بين النظرية والتطبيق

يتناسب مع الشرط الذي وضعه المودع . يكون في هذه الحالة مفوضاً أن يستثمر هذه الوديعة في هذه العملية ..

هذه الصورة بحثها بعض الفقهاء ووجدوها مقبولة شرعاً ، وقبلتها كذلك السلطات المصرفية الحكومية وأظن أن هذه الصيغة يمكن أن تسد بعض الفراغ في ما تقوم به البنوك التي قامت دون استثناء من القوانين المصرفية ..

■■ كيف تحسب البنوك الإسلامية أرباح الودائع ؟

ـ تحسب الودائع في السلة العامة على أساس مراعاة المدة والمبلغ ، ثم بعد ذلك تتفاوت النسبة التي يتقاضاها البنك مقابل الإدارة ، أو النسبة التي يتقاضاها كمضارب ـ حصّته كمضارب ـ وفقاً للشروط التي يعقدها مع المودعين والتي تتفاوت عادة وفقاً لمدة الوديعة ، فكلما طالت مدة الوديعة قلّت حصة البنك في الإدارة ، **وكلما قلّت مدة الوديعة زادت حصة البنك في الإدارة نظراً لما يتطلبه استثمار الأموال في الأجل القصير من دراية واهتمام خاص من البنك .**

وبالنسبة للودائع المخصصة يُتفق كذلك على نسبة خاصة يتقاضاها البنك من ربح الوديعة مقابل إدارته ، ووافق كذلك الفقهاء على أن هذه النسبة ـ باعتبار أن البنك يقوم في هذه الحالة بدور الوكيل ـ يمكن أن تنسب إلى رأس المال وليس إلى الربح ، لأن الوكيل يأخذ أجراً ، فيمكن أن يتناول هذا الأجر في صورة نسبة من المبلغ الذي هو موجود لديه .. وهذه صورة مختلفة بعض الشيء عن الصورة التي تمارسها بعض البنوك الإسلامية في التسوية بين الودائع العامة والودائع المخصصة ..

■■ ننتقل بعد ذلك إلى سؤال آخر ، هو : كيف يوظف المصرف الإسلامي الأموال ويستثمرها ؟

ـ إذا أحببنا أن نصنِّف كذلك ـ تبسيطاً وتوضيحاً للموضوع ـ الطرق التي يتبعها البنك الإسلامي في استثمار ما يودع لديه من أموال ، نجد أنها قد لا تخرج عن إحدى صور ثلاث :

الصورة الأولى : هي التي يقوم فيها البنك الإسلامي بتمويل العميل مباشرة ، وهذه صورة تتفق مع المتعارف عليه في البنوك الربوية ، حيث يتقدم العميل المحتاج إلى مال إلى البنك ، ويقوم البنك بتمويله بالصيغة التي يتفقان عليها ..

الصورة الثانية : هي التي يقوم فيها البنك بإنشاء شركات تابعة له هي التي تقوم بالنشاط ويقوم هو بتمويلها ، وقد لجأت بعض البنوك الإسلامية منذ نشأتها إلى هذه الصورة فأنشأت شركات تابعة لها تقوم بالتجارة الداخلية والتجارة الخارجية والنشاط العقاري وغير ذلك من الأنشطة .

والبنوك الربوية نفسها كانت تقوم بهذه الصورة من قبل ، ومن المعروف أن بنك مصر مثلاً قام ـ في عهد طلعت حرب الذي أسسه ـ بانشاء العديد من الصناعات والشركات ، هي التي قامت بالنهضة الصناعية في بداية هذا القرن في مصر .. فهذه صورة ليست جديدة ، ولكن البنوك الإسلامية قد توسعت فيها لأن القوانين المصرفية في النظم الربوية تقيّد البنوك في سلوك هذا المسلك بأن تحدد القيمة التي يساهم فيها في شركات أو يشتري بها أسهم شركات ، بان لا تتعدّى نسبة معينة من رأسماله حتى لا يتعرض للخطر ، لأن الأسهم بطبيعتها يرتفع سعرها وينخفض ، ثم نتائج أعمال الشركات قد تكون ربحاً وقد تكون خسارة .

أما الصورة الثالثة : التي تمارسها بعض البنوك الإسلامية ، فهي صورة القيام بالنشاط الاقتصادي والتجاري بالذات ، مباشرة ، أي أن يقوم البنك بالشراء والبيع ، يشتري السيارات ويشتري الأراضي ويقوم ببيعها ...

■■ هذه الصور الثلاث : أن يقوم البنك بتمويل عميل .. أو يقوم البنك بإنشاء شركة تابعة هي التي تقوم بالنشاط ويمولها البنك .. أو يقوم البنك نفسه بعملية الاتجار ..
والسؤال هنا :
ما هي الصيغ المصرفية التي تشملها هذه الطرق ؟ وما هي ملاحظاتكم عليها بعد اختبارها ووضعها موضع التنفيذ من ناحية الجدوى والصلاحية ؟

ـ الصيغ التي تحويها أو تشملها هذه الطرق ، هي ما نعرفه جميعاً من صيغ المضاربة والمشاركة والمرابحة وغير ذلك .. صيغة المرابحة هي نوع من البيع ، يقوم البنك فيه بالشراء ويقوم بعد ذلك بالبيع .. وبطبيعة الحال لا يقوم البنك بالشراء نقداً و البيع نقداً ، إلا إذا كان يقوم بممارسة العمل التجاري مباشرة في متجر لأنه في هذه الحالة لا يقوم بتقديم تمويل لعملية ، وإنما يقوم بتقديم الخدمة التي يقدمها التجار كأنْ يشتري مثلًا بالجملة ويبيع بالمفرق ، وأن يستورد .. ولكن الذي تقوم به معظم البنوك الإسلامية هي استخدام هذه الصيغة في أن يشتري البنك نقداً ويبيع لعميله المحتاج إلى هذه البضاعة نسيئة أو يبيعه لأجل .. وهنا يقوم البنك بدور التمويل ..

وهناك صيغة «**الإيجار**» وهذه لا تثير أي مشكلة من الناحية الشرعية وكذلك لا تثير أي مشكلة من الناحية القانونية لأن القوانين المصرفية الحديثة بدأت تسمح للبنوك بالقيام بهذا النشاط ..

وهناك الطريقة التي تقوم فيها البنوك الإسلامية بالاتجار المباشر .. هذه الطريقة يمكن أن تكون في السوق المحلية ويمكن أن تكون في السوق العالمية .. إذا كانت في السوق المحلية يرد عليها بعض التحفظات :

البنوك بطبيعتها مؤسسات مهنية شأنها شأن المحامي وشأن المحاسب ، الذي يعهد إليه التجار وأصحاب الأعمال بأسرارهم ، كذلك البنوك حينما يفتح فيها التجار الحسابات وبالذات الاعتمادات المستندية ، تطّلع على أسرارهم وعلى الأماكن التي يستوردون منها والأسعار التي يستوردون بها ، هذه الأسرار التجارية هامة جداً بالنسبة للتاجر ، واطّلاع البنك عليها يضعه في موضع المؤتمن عليها شأنه في ذلك شأن المحاسب الذي يراجع الحسابات وشأن المحامي الذي يحتفظ بمستندات موكله ، والمحامي والمحاسب ممنوعان قانوناً من أن يقوما بالتجارة ، لا لأن التجارة مهنة وضيعة ويترفع القانون بالمحامي أو المحاسب عنها ، وإنما يمنعه لأنه بهذا يوجد تضارب في المصالح : بأن يطّلع على الأسرار ثم يقوم بمنافسة من ائتمنه على هذه الأسرار ، هذا التحفظ يضع البنوك الإسلامية في موضع حساس بالنسبة لقيامها بالاتجار المباشر بعد أن ائتمنت من التجار الذين يستوردون البضائع ويعرف البنك جميع الأسرار في دائرة الاعتمادات المستندية ثم يقوم هو بالاستيراد لحسابه الخاص ، **لذلك أنا شخصياً أتحفظ على قيام**

■ في البنك الإسلامي : يتأثر المودع بنتائج أعمال البنك ربحاً وخسارة ، وحتى الآن ليس له الحق في اختيار مجلس الإدارة أو مراقب الحسابات .. ■

البنوك الإسلامية بهذا النوع من الاتجار المباشر تحاشياً لهذا التضارب في المصالح .

والأولى بالبنك الإسلامي الذي يريد أن يقوم بالاتجار المباشر أن **يؤسس شركة خاصة للقيام بهذا النوع وأن يتحفظ في معاملتها فلا يدلي إليها بما لديه من أسرار عملائه ، وبهذه الطريقة فقط يحتفظ البنك الإسلامي بثقة التجار فيه حتى لا ينظروا إليه على أنه منافس لهم .**

أما الاتجار في الأسواق العالمية فلا يرد عليه هذا الاعتراض لأن الاتجار في الأسواق العالمية يتم في البورصات وهي سوق مفتوحة وليس فيها هذه الاعتراضات . على أن الاتجار في الأسواق العالمية يرد عليه أمر آخر ، من الناحية الشرعية ومن الناحية الواقعية كذلك :

وهو أن يأخذ البنك موقفاً مفتوحاً فيشتري بضاعة ويبقيها فترة عنده تحسباً أو طمعاً في ارتفاع أسعارها ثم يقوم ببيعها بعد ذلك لتحقيق ربح من ارتفاع الأسعار ، فمن الناحية الشرعية لا يجوز هذا الأمر في المعدنين الذهب والفضة ، الا إذا كان البنك يقوم بهذا الموقف المفتوح فلا يجوز للبنك أن يقوم بالشراء نقداً والبيع نسيئة في الذهب والفضة .. ولذلك لا يستطيع البنك أن يقوم بالاتجار في الذهب والفضة إلا على أساس الموقف المفتوح وهنا يأتي الاعتراض الواقعي أو الاقتصادي ، وهو أن أخذ المواقف المفتوحة في البضائع ، سواء كانت معادن نفيسة أو بضائع من نوع آخر كما يتوقع فيها الربح يتوقع فيها الخسارة ، وقد شهدنا كثيراً من العمليات التي قامت فيها البنوك باتخاذ مواقف من هذا النوع سواء في ذلك بنوك إسلامية أو بنوك ربوية ، لأن هذا العمل تقوم به البنوك الربوية وتقوم به أحياناً مخالفة بذلك للقوانين المصرفية التي تحكمها ، ثم يكتشف الأمر حين وقوع الواقعة ، حينما ينخفض سعر البضاعة بدلاً من ارتفاعها ويحقق البنك خسارة ..

فالأولى أن تتحفظ البنوك الإسلامية في ولوج هذه السوق ولا تأخذ مواقف مفتوحة تحتفظ فيها بملكية البضاعة فترة طمعاً في ارتفاع أسعارها ، لأن هذا كما يحتمل فيه الارتفاع يحتمل فيه الانخفاض ويتعرض فيه البنك للخسارة مما يعود على المودعين بالخسارة ...

لذلك يُخيَّل إليّ أن الطريق الوحيد لولوج الأسواق العالمية هو طريقة المرابحة الآنيّة التي لا يظل فيها الموقف مكشوفاً لفترة طويلة

وإنما يقوم البنك فيها بالشراء نقداً والبيع مباشرة لأجل ، وبذلك لا يتعرض لأي موقف نتيجة انخفاض الأسعار إذا حدث هذا الانخفاض ..

■■ هذه الأنشطة التي تقوم بها البنوك الإسلامية تحتاج ـ بطبيعة الحال ـ إلى رقابة ، ماهي أنواع الرقابة المعمول بها في هذه البنوك ، التي يتأثر المودع فيها بنتائج أعمالها ربحاً وخسارة ، على عكس ماهو قائم في البنوك الربوية التي تضمن ربحاً محدداً ؟

ـ النوع الطبيعي هو رقابة صاحب المال على ماله ، والذي يتم في الشركات في شكل الجمعية العمومية التي تقوم باختيار مجلس الإدارة الذي تثق فيه وتقوم كذلك باختيار مراقب الحسابات الذي يفتش على مجلس الإدارة وأعماله .. هذا النوع من الرقابة موجود في البنك الإسلامي كذلك ولكن هناك أمراً استجدّ في البنك الإسلامي ، خلافاً للبنوك الربوية ، وهو أنه في البنك الربوي يوجد طائفة المودعين الذين لا يشاركون في اختيار مجلس الادارة ولا مراقبي الحسابات ، ولكنهم لا يشاركون البنك في ربحه وخسارته فهم دائنون للبنك وحقوقهم مضمونة : رأس المال مضافاً إليه الفائدة المتفق عليها سلفاً ...

أما في البنك الإسلامي فإن المودع يتأثر بنتائج أعمال البنك ربحاً وخسارة . وهو بحكم التكوين الذي سارت عليه البنوك الإسلامية حتى الآن ليس له حق لا في اختيار مجلس الإدارة ولا في اختيار مراقب الحسابات ، فهو بذلك غريب عن البنك ويتأثر في الوقت نفسه بنتائج أعمال البنك .. هذا الموقف لم يكن يلفت الأنظار حتى الآن ، ولكن مع التغير في نتائج البنوك الإسلامية من الأرباح المرتفعة إلى الأرباح الأقل ، أو إلى عدم توزيع أرباح بالمرة ، أثار هذا الأمر اهتماماً وضجة في الآونة الأخيرة ..

■■ ما هو علاج هذا الأمر في نظركم ؟

ـ علاج هذا الأمر في نظري هو ما تقوم أو ماتسمح به بعض القوانين : قوانين الشركات ، من وجود جمعية عمومية لحملة السندات ، ففي الشركات المساهمة يسمح القانون لحملة السندات . وهم في مركز الدائنين للشركة ـ أن يكون لهم جمعية عمومية ..

يمكن أن تستعير البنوك الإسلامية هذا النظام ، بأن يكون للمودعين جمعية عمومية أو أن يشاركوا في الجمعية العمومية نفسها التي تضم المساهمين ويشاركون معهم ، لا في اختيار مجلس الادارة ـ لأن هذا هو شأن المساهمين ، وإنما في اختيار مراقب الحسابات وفي مناقشة الحِسابات نفسها ، لأن هذه الحسابات هي التي يترتب عليها المقدار الذي يذهب إليهم ربحاً أو خسارة ، وقد يقوم البنك بوضع مخصصات أكثر من اللازم أو أقل من اللازم ولا يتدخل المودعون في الآونة الحالية في هذا الأمر ، أما في الصورة التي يكون لهم كلمة في مناقشة الحسابات فحينئذ لا يكون لهم حق الشكوى لأن لهم إسهاماً في مناقشة الحسابات وفي اختيار مراقب الحسابات ..

●● الأمـــة

□ إن عملية الرقابة تشكل اهمية خاصة بالنسبة لسير العمل في البنوك الإسلامية ، حيث تقتضي ضمان الالتزام بالقواعد الشرعية الأساسية في المعاملات ، مع الحرص على اتباع الأسس الاقتصادية الاستثمارية الحديثة .. وقد لا يتوفر ـ بحكم الواقع الإسلامي ـ الإنسان الذي يجمع بين العلم الشرعي والخبرة المصرفية ، لذلك فإن البنوك الإسلامية حتى الآن تلجأ إلى تعيين مستشار شرعي تعرض عليه معاملاتها ...

وللحوار بقية في العدد القادم بإذن الله حول قضية الرقابة في البنوك الإسلامية .. وغيرها من قضايا التجربة □

الجامعة الإسلاميّة في غزّة

استطلاع

■■ هناك أزمة تربوية في التعليم الجامعي ، ليس فقط في الوطن العربي ، بل في العالم عموماً ، وهي نابعة أساساً من أن القيم التربوية الأصيلة التي يجب توفرها في المربي عموماً لم يعدلها تلك الأهمية ، وأصبح التركيز على تأكيد المعنى الذي يخدم السوق : الجانب النفعي هو المحرك الأول للعملية التعليمية ويكاد يكون الجانب الجمالي والقيمي فيها مفقوداً بشكل عام . فالعالم الآن - نكاد نقول - تتفجر فيه المعرفة والتكنولوجيا ومع ذلك فإنه يعيش في أزمات متلاحقة معقدة تكاد تعصف ليس فقط بأمنه بل حتى بوجوده ، وهذه حقيقة يعترف بها ويقرها ويكاد يجمع عليها جميع مفكري العالم سواء أكانوا في هذا المعسكر أو في نقيضه ... وما ذلك إلَّا لأن الإنسان والمجتمع الإنساني عموماً له أبعاد عديدة ، البعد العلمي واحد منها ، لكنه ليس الوحيد الذي يمكن أن يقيم حضارة اجتماعية إنسانية متكاملة ... ■■

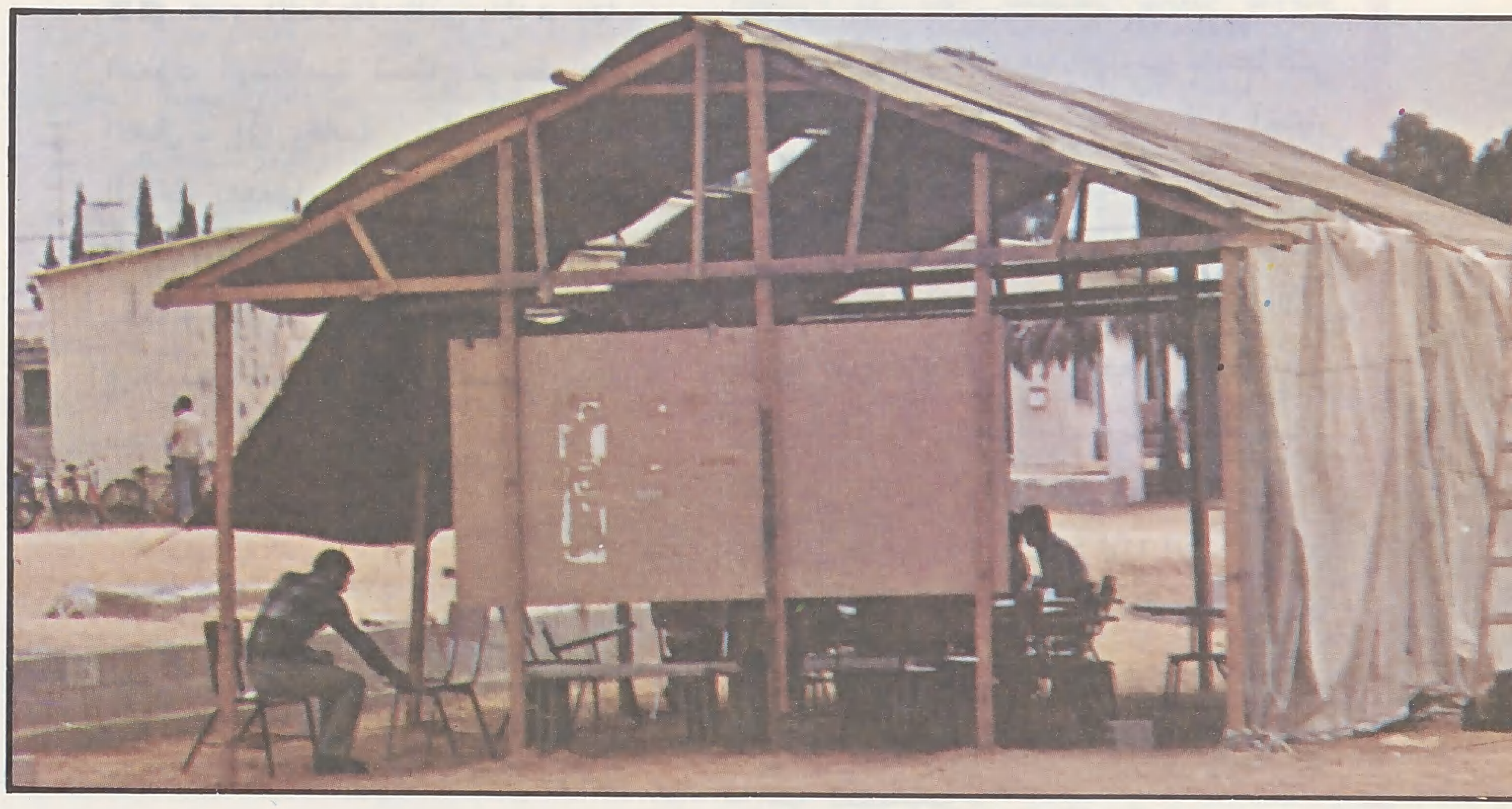

■ قاعة المحاضرات : الخيمة والرد على التحدي ■

وتزداد الأزمة بروزاً عندما تُحتل الأرض ، ويتحكم بالناس عدو ، غايته : تدمير حضارتهم ومقومات وجودهم تمهيداً للقضاء على هذا الوجود ، فيحاول أن يفرض مناهج تعليمية وتربوية تخدم أهدافه وتحقق له سبل السيطرة التامة ، ونستطيع أن نتبين هذا واضحاً في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م ، وما يقوم به يهود منذ عام ١٩٦٧م عندما أتموا احتلال البقية الباقية من فلسطين ، ومعها الجولان وسيناء ، من تهويد لهذه المناهج والبرامج خاصة في مجال التاريخ والتربية الإسلامية والعلوم الإنسانية ... وتزداد الحاجة إلى وجود مؤسسات تعليمية تربوية تحفظ على الأجيال هويتها ، تقدم لها الحصانة الثقافية التي تمنعها من الذوبان ، تواجه التحدي الحضاري بتحدٍ مثيل تؤكد فيه على القيم التي هي ألزم ما تكون للإنسان عندما يكون الاحتلال جاثماً على صدره : تنطلق من فلسفة واضحة متميزة تشكل الحافز لعقل وحركة الإنسان الذي هو ليس آلة تعمل من الخارج وإنما ينبع سلوكه نتيجة معطيات ذاتية كامنة ، تحاول أن تتجنب أخطاء مرحلة ما قبل الاحتلال التي قد تكون مهدت - بوعي أو بغير وعي - لهذا الاحتلال الجاثم على الصدور ، **وتأتي الجامعة الإسلامية بمدينة غزة المحتلة محاولة في هذا السبيل .**

ظروف النشأة والتأسيس

يقول **الدكتور محمد أحمد صقر** رئيس الجامعة الإسلامية في غزة :

نشأت الجامعة الإسلامية في غزة عام ١٩٧٨م امتداداً لمعهد فلسطين الديني التابع للأزهر الشريف الذي يمنح شهادة الدراسة الثانوية الأزهرية : وذلك بعد أن سُدَّت في وجوه أبناء قطاع غزة أبواب الجامعات العربية بشكل عام ... ولم تقم الجامعة على أساس دراسات وتخطيط تربوي متكامل لأنها جاءت في ظروف استثنائية حتمت نشوءها إلَّا أنها حاولت تجنب سلبيات التعليم الجامعي في الوطن العربي حيث حدث توسع في التعليم الجامعي ، وزاد عدد الخريجين إلَّا أن حركة التغيير الهادف لم تكن على مستوى الشعوب ، فقضية الحرية مثلاً تراجعت في عهد العلم بعد أن كان لها ومضات بارزة قبل الجامعات أو توسعها : وكذلك قضية الوحدة العربية والتكامل بين الوطن العربي يكاد المرء يقول : إنها انتكست مع امتداد الجامعات : قضية مساهمة التعليم الجامعي في قضايا وطنية لتحقيق البناء الهادف تراجعت إلى حد كبير ، ووجه التعليم وجهة فردية بحيث لم يعد مُحور عمل الخريج : التغيير الاجتماعي ، ولعلَّ هذا يعود إلى سبب رئيس هو أن الجامعات العربية عموماً ليست لها فلسفة في التعليم الجامعي متميزة ...

من هنا أرادت الجامعة الإسلامية في غزة ، على تواضع وقلة مواردها وإمكاناتها ، أن تكون جامعة من نمط متميز في التعليم الجامعي ، وهذا لا يتحقق إلَّا إذا كان لها فلسفة واضحة تستند إلى الجذور الحضارية لهذه الأمة ، ومن هنا كان اسمها : **الجامعة الإسلامية في غزة وليست جامعة غزة الإسلامية** ... فجاءت برامج الدراسة فيها تختلف إلى حد كبير عن برامج التدريس في الجامعات الأخرى ، ويجب أن تختلف خصوصاً إذا كانت الجامعة كالجامعة الإسلامية تواجه تحدياً حضارياً معيناً على أرض الصراع يجعل التأكيد على القيم والمبادىء الأصيلة للأمة ألزم وآكد في العملية التعليمية ...

وللجامعة مجلس أمناء يشرف عليها وهيئة من المؤسسين تضم شخصيات من داخل الأرض المحتلة ومن خارجها ، مهمتها : وضع السياسة العامة للجامعة والنظام الأساسي لها ، والعمل على تأمين موارد تمويلها ، والمحافظة على نمطها والاطمئنان على مسيرتها المتميزة إلى جانب توثيق صلاتها بالجامعات العربية الأخرى ...

وأنشئت كلية الشريعة وكلية أصول الدين ، وحصل مجلس الأمناء على ترخيص بالسنة الأولى الجامعية ، وكان معظم أعضاء هيئة التدريس غير

ودورها الفريد في العالم الإسلامي

بقلم : اسماعيل الكيـلاني

■ الدكتور محمد صقر :
مفهومنا : الصراع مع العدو ، والحوار مع الإخوة ■

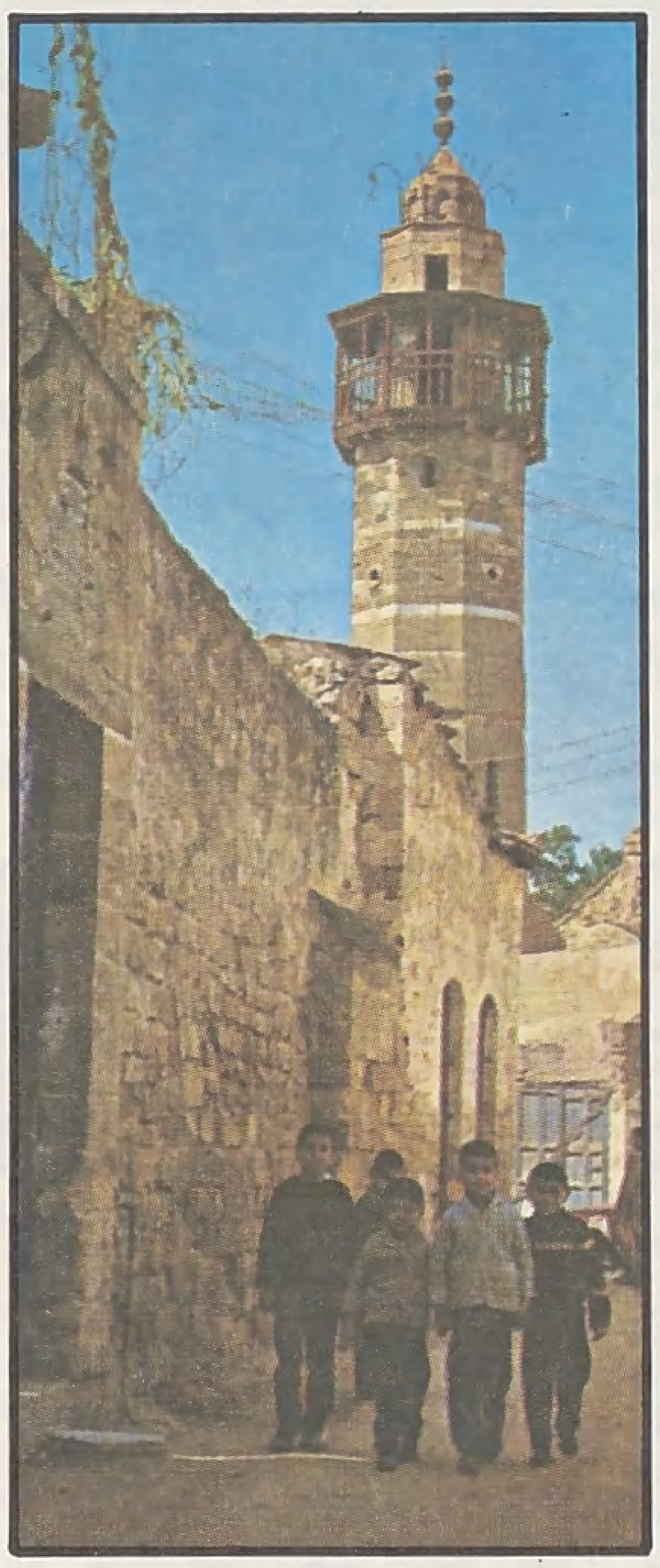

■ الجامع العمري الكبير في غزة ■

مؤهلين التأهيل الكافي ـ غالبيتهم تحمل البكالوريوس ـ ولم يكن للجامعة مبانٍ مستقلة ، وكان التدريس في قاعات معهد فلسطين الديني ... وبعد مرور حوالي سنة افتتحت كليات جديدة ، وبالتدريج توسعت الجامعة ، وفيها الآن الكليات التالية : **الشريعة ـ أصول الدين ـ الآداب ـ التربية ـ العلوم الاقتصادية والإدارية ـ العلوم** ... وفي هذا العام افتتحنا كلية جديدة هي : **كلية التمريض** لسد حاجة أهل القطاع من المرضين ، لأن الوضع الصحي في القطاع ليس في المستوى المطلوب ...

تحديات في وجه الجامعة

من خلال النمط المتميز الذي اختطته الجامعة لنفسها ، والمعاني التي تعمل لتحقيقها ، والظروف التي تحيط بها ، خاصة في الأرض المحتلة ، لا شك بأن رسالتها تواجه تحديات من أكثر من جانب ، ما هي أهم التحديات التي واجهتها الجامعة ؟ وكيف استطاعت الصمود تجاهها ؟

في الفترة التي بدأ التفكير فيها بإنشاء جامعة في القطاع كان هناك تياران :

- **تيار يريد جامعة عصرية كالجامعات المنتشرة في طول الوطن العربي وعرضه .**
- **وتيار آخر يدرك سلبيات هذا النوع من الجامعات ، ويريد جامعة عصرية لكن ببعد حضاري ، تتجنب سلبيات النوع الأول ، وترسّخ الثقة بالنفس وبالأمة ومقدرتها على النهوض من كبوتها والمحافظة على أصالتها .**

وكان من الطبيعي أن يلتف أهل القطاع حول التيار الثاني الذي يريد إنشاء جامعة إسلامية في توجهاتها وبرامجها وطريقة تنشئة طلابها وطالباتها : وبذلك بدأت الجامعة خطواتها الأولى . ولكن محاولات التيار الثاني لم تتوقف .

فبعد أن نشأت الجامعة وانتظمنا بالدراسة ، حاول بعضهم ألّا يدرك هذه الحقيقة ، وفي لحظة من غيبة الوعي حاول أن ينتقص من قدر الجامعة ، لكن الجامعة كانت وفية لرسالتها ، وواثقة من شعبها وأصالة أمتها ، وقفت صامدة وانتصرت إرادتها ، بل انتصرت إرادة الأمة .. رفضنا هيمنة أية جهة على الجامعة ، وقلنا : إن الذي يدير الجامعة مجلسها ورئيسها ، وأهل القطاع يحاسبونهم ، يقفون معهم إن أحسنوا ، ويحاسبونهم إن أخطؤوا ... **إننا نرفض أن نحول الجامعة إلى حلبة للصراع الذي يشل حركة التعليم العالي ، كما يحدث في بعض جامعات الأرض المحتلة الأخرى : مفهومنا للصراع : هو الذي يكون مع العدو فقط** ... لا نقبل أن يصبح بين الأخوة ... المفروض أن الجامعة هي التي تربي عقل الطالب وتنضج تجربته ، أما عندما يأتي التوجيه من خارج الجامعة نكون قد أنشأنا عبيداً ، والعالم العربي ليس بحاجة إلى مزيد من العبيد ، إنه بحاجة إلى أحرار ... والمفروض في كل صاحب عقيدة وفكرة أن يترك الجامعي الذي ينتمي إليه لينضج تجربته مع زميله الجامعي الآخر ، يخطيء ويصيب ولكنه يفهم التجربة ، أما أن تأتي إليهم « براشيم » من خارج الجامعة ... فهذا أسلوب نرفضه ، وهذا ما أجمعنا عليه ...

وقد التقينا يومها مع التوجهات كلها في القطاع ، وقلنا : هذه قضية مرفوضة ، إنها تدمر العقل الفلسطيني بدل أن تبنيه ، ارفعوا أيديكم عن الجامعة ، نحن في الجامعة نصوغ الطلاب حسب فلسفتها المعلنة ، إن كان هناك خطأ فناقشونا نحن ، لكن نرفض أن يكون أبناؤنا هم الضحية ...

غياب السلطة الوطنية لا يعني ضياع المسؤولية الوطنية

وتوصلنا إلى ميثاق أقره جميع وجهاء مخيمات وقرى وبوادي ومدن القطاع بأن الجامعة إسلامية والجميع يحميها ، وبلْورنا مفهوم : غياب السلطة الوطنية لا يعني ضياع المسؤولية الوطنية ، بل بالعكس ، فإن الشعب صاحب الجذور الحضارية العريقة يبرهن أنه قادر على الرد على التحدي عندما لا تكون هناك سلطة وحكومة وطنية تدير شؤونه ، وأنه يستطيع أن يدير شؤونه عبر مؤسساته الوطنية الحضارية ... وقلنا للجميع : انتم رقباء على هذه الجامعة ، ولكم حق محاسبتنا في أي إجراء نتخذه ، التعيينات ، البرامج الدراسية ... لكم الحق فرادى ومجتمعين تناقشوننا إذا أخطأنا لنصحح الخطأ ، وإن أصبنا تقفون معنا وتسندون مسيرة الجامعة ...

وبرهنا للجميع أن الحوار هو الطريق الصحيح لحل الخلافات بين الإخوة ، فإذا خالفك أحد في الرأي فلا تتهمه باتهامات باطلة ، تحاور معه ، لكن على نمط يختلف عن النمط العربي في الحوار الذي

الجامعة الإسلاميّة في غَـزَّة ودورها الفريد في العالم الإسلامي

استطلاع

تمارسه بعض الأنظمة مع مخالفيها في الرأي … **يجب أن نعوِّد أبناءنا أن الاستماع إلى الرأي الآخر يفيد الوطن ويفيدهم أكثر من الرأي الذي يوافقهم [الحوار الموضوعي] .**

وتمكنا بفضل الله تعالى من خلال هذا كله أن نصوغ طلابنا صياغة ، شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء … نحن نقف أمام الحادثة ولا نلتوي ، في انتخابات مجلس الطلبة مثلاً ، لم يبلغ عن حادثة واحدة ، والذي فاز والذي لم يفز من الطلبة تعانقوا جميعاً ، هكذا نربي طلابنا ، أما أن نقول : من هو معي فهذا الصحّ ، والآخر هو الغلط ، هذا ما تريده إسـرائيل …

لا اختـــلاط

تعاني الطالبة المسلمة والطالب المسلم من أجواء الاختلاط في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وقد وصل الأمر ببعض المسؤولين عنها إلى اتخاذ مواقف لتكريس الاختلاط وتحريم الزي الإسلامي متجاوزين مهمتهم الأكاديمية ، في حين أصبح من الواضح أن مثل هذه الأمور تعتبر من أبسط الحقوق الشخصية التي يجب أن يتمتع بها الفرد ذكراً كان أو أنثى في معظم جامعات العالم ، والمؤسف حقاً أن نجد هذه الحرية موفورة في جامعات البلاد غير الإسلامية ، وتكاد تكون مفقودة في معظم جامعات العالم الإسلامي .

●● فهل عانت الجامعة الإسلامية من مثل هذه المشكلة ؟

ـ هذه المشكلة لا وجود لها في الجامعة الإسلامية في غزة ، ما دامت تنطلق من الجذور الحضارية لهذه الأمة على عكس الجامعات الأخرى التي ذكرتم شيئاً عن تجاوز بعض المسؤولين فيها لمهمتهم الأكاديمية ، وتدخلهم ليس فقط في فرض ما ينقلون عن البيئات المخالفة بل المعادية لبيئتنا وحضارتنا ، إنما في الحرية الشخصية حتى في تلك البيئات التي يقلدونها وينسجون على منوالها … ونستطيع أن نقول :

إن الجامعة الإسلامية جامعتان منفصلتان ، واحدة للإناث والأخرى للذكور ، حيث تدرس الإناث في قاعات منفصلة تماماً ، ولهن مرافق خاصة بهن لتسهل مهمة التعليم والتحصيل الجامعي لهن ، وكذلك فيما يسمى بالحرم الجامعي ، فلهن حرمهن المستقل المنفصل عن الحرم الجامعي للذكور ، وجميع طالباتنا يلتزمن الزي الإسلامي ، ولا يمكن بحال من الأحوال ، أو تحت أي ظرف من الظروف أن نقبل بالاختلاط أو أن نسمح به ، والسعيد من اتعظ بغيره .

من وسائل الجامعـــة لتحقيق أهدافهـــا

●● قد تكون مشكلة خضوع الطلبة المستجدين في الجامعة لمناهج تربوية متباينة أكثر بروزاً منها في الجامعات الأخرى ، حيث يأتي الطلاب بعد انتهاء المراحل التعليمية التي تسبق المرحلة الجامعية ، وقد تعرضوا لمناخ تهويد مناهج التعليم في الأرض المحتلة ، مما يجعل مهمة الجامعة صعبة وشاقة ، فكيف واجهتم مثل هذه الأمور ؟

ـ الجامعة الإسلامية تدرك أن النظام التربوي في قطاع غزة ، كما هو الحال بالنسبة للعرب جميعاً ، نظام تربوي منذ الروضة وحتى نهاية التعليم الجامعي لا يستند إلى فلسفة تربوية واضحة ، ومن ثم يتعرض الطالب خلال سنوات الدراسة إلى عملية تشويه في المعلومات ، وتشويه في التوجيه ، وتشويه في نمط الحياة والرؤية التي يستوعبها عبر هذه المراحل المختلفة … الطالب في غزة ، وفي أي بلد عربي ، عندما ينتهي من المرحلة الثانوية يعاني من تشويه فكري وعقيدي في الوقت نفسه ، **ومن ثم أرادت الجامعة أن تصحح شيئا من هذا الخلل الذي لحق بنفس الطالب وعقله في المرحلة قبل الجامعية** … لذلك كان من برامج الجامعة : **السنة التأهيلية** التي يدرس فيها جميع الطلبة والطالبات من حملة الثانوية العامة مقررات في القرآن الكريم وعلومه ، وفي السنَّة النبوية والسيرة ، وفي الفقه وأصوله ، والتاريخ الإسلامي واللغة العربية إضافة إلى اللغة الإنكليزية ، ومنذ سنتين أدخلنا تعليم اللغة العبرية ، وأظن أن جامعتنا هي الأولى في الأرض المحتلة والوطن العربي كله ، التي تدرس هذه اللغة ، إدراكاً منها لضرورة تسليح الطالب بأداة الاطلاع والمتابعة التي تمكنه من معرفة ما يدور حوله ، وتمكنه مستقبلاً من الاطلاع على المراجع الإسرائيلية وفهم العقلية الإسرائيلية ، وقضية إدراك اللغة أساسية في عملية الصراع الحضاري الذي نتعرض له في الأرض المحتلة … وهدفنا من إيجاد هذه السنة التأهيلية : تصحيح وترميم الخلل في البنية العقلية والنفسية التي أورثها نظام التعليم الخاطىء الذي أخذناه عن مدرسة « **دنلوب** » والتي تجعل الطالب أيضاً محدود الرؤية : كما هدفنا إلى نقل الطالب من الجو الذي اعتاده إلى جو الجامعة الإسلامية …

وباعتقادنا أن الطالب في نهاية هذه السنة يصبح لديه نوع من الثقة الحضارية والرؤية الواضحة التي تعينه على تكييف نموه العقلي في سنوات دراسته القادمة …

بعد هذه السنة يتوجه الطالب إلى الكلية والتخصص الذي يتفق وميوله وتحصيله العلمي إضافة إلى متطلبات جامعية عددها (١٢) مقرراً ، أي ما يعادل (٣٦) ساعة معتمدة في كل سنة جامعية في التربية الإسلامية ، حيث يدرس الطالب التربية المعاصرة والمدارس التربوية ، كما يدرس تاريخ التربية في الإسلام والمفاهيم التربوية في الإسلام . وكذلك يدرس في الاقتصاد : النظرية الاقتصادية وأدوات التحليل ، ومعلومات عن الأسواق والقيمة والإنتاج والاستهلاك إلى جانب الاقتصاد الإسلامي ، وكذلك يدرس مواد تعالج المشكلات المعاصرة والأفكار المعاصرة والتيارات الفلسفية المعاصرة (الوجودية وغيرها) من منظور إسلامي : كما يدرس حاضر العالم الإسلامي والمشكلات التي يعاني منها ويواجهها … وهذه كلها متطلبات جامعية إجبارية يدرسها الطلبة والطالبات دون نظر إلى تخصصاتهم بحيث نكوِّن للطلبة قاعدة ثقافية مشتركة …

■ يجب ألَّا يقتصر دور الجامعات في الأرض المحتلة على التحصيل العلمي ، بل لا بد لها من تدعيم الثقة الحضارية في نفوس طلابها هناك والثقة بقدرة الأمة على الصمود وتجاوز المحن . ■

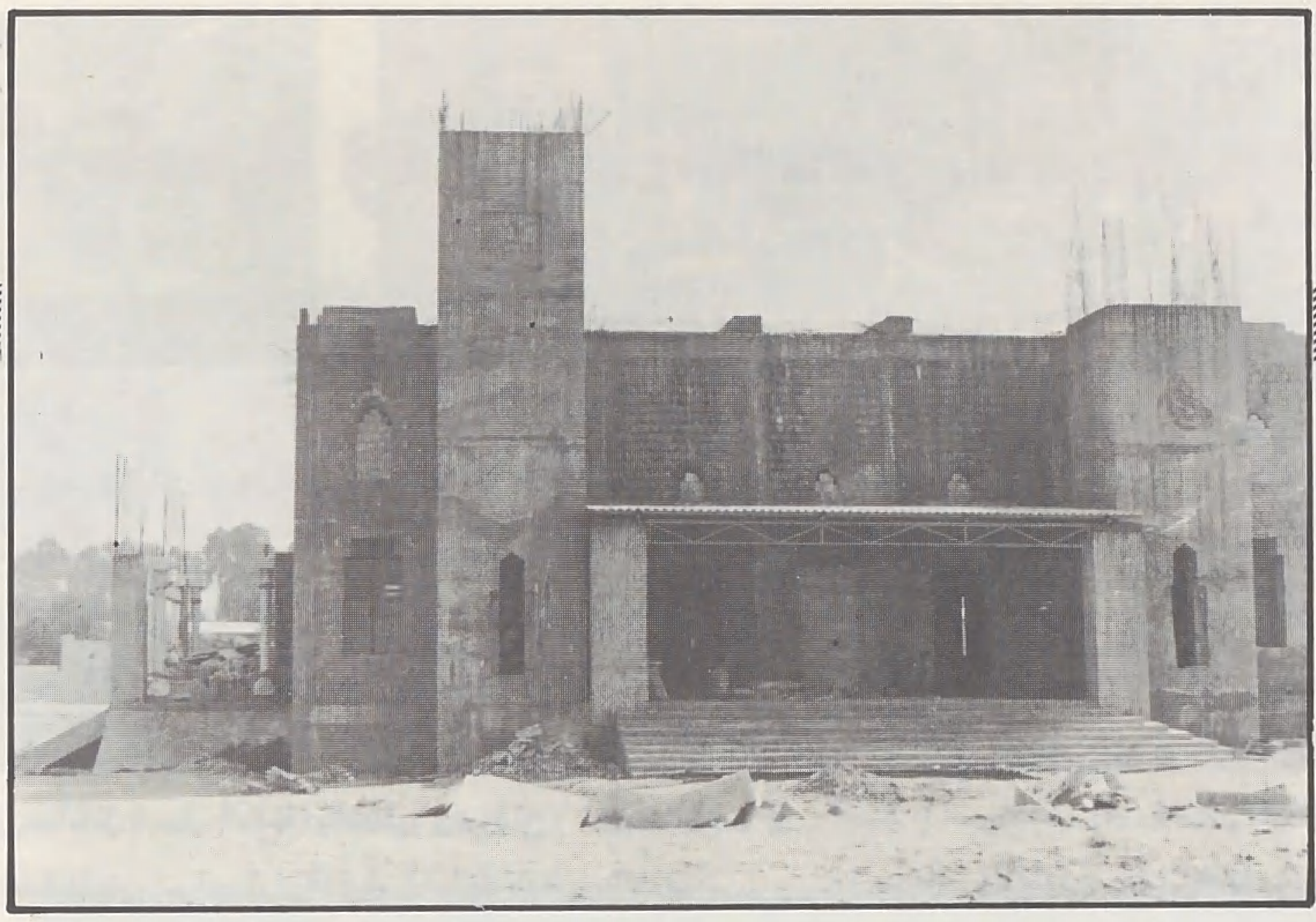

■ مسجد الجامعة الإسلامية لا يزال على حاله منذ عام ١٩٦٧م ■

مكونات ثقافة طالب الأرض المحتلة

نريد لطالب الجامعة الإسلامية أن يفهم ما يجري حوله على ضوء رؤية واضحة بحيث يستطيع أن يميز من خلال مقدرة نقدية ذاتية ، لا أن ينقد الأفكار دون محاكمة ، ولن يستطيع محاكمة الأفكار إلّا من كان لديه رؤية حضارية متميزة ... إضافة إلى ذلك يجب على كل طالب وطالبة في كل عام جامعي حفظ أجزاء من القرآن الكريم ، بحيث لا يتخرج الطالب ويحمل شهادة الجامعة الإسلامية في أي تخصص كان إلّا وقد حفظ واستوعب ستّة أجزاء من القرآن الكريم : هذا التركيز من التوجيه في الجامعة يقصد منه تأصيل مفاهيم حضارية واضحة ، تُشعر الطالب أن له رؤية متميزة تفتح ذهنه وتمده في الوقت نفسه بالثقة الحضارية ، هذا الأمر : الشعور بالأمن الداخلي والثقة بالنفس : عملية أساسية في الأرض المحتلة ، **وما ذلك إلّا لأن الصراع هو صراع بين حضارتين ، حضارة غازية افرزتها حضارة القرن العشرين بشقيها وبتوجهاتها كلها لتحل محل حضارة نشأنا فيها وكوّنت بنيتنا العقلية والنفسية ، لا انفكاك لنا عنها حتى ولو أردنا ذلك ، لقد جبلنا مع هذه الحضارة الإسلامية حتى في الهواء الذي نستنشق ... فالصدق مع النفس والوفاء للأمة يعني أن نربي عقول أبنائنا ونصوغ نفوسهم وننمي وجدانهم على المعطيات الأصيلة لهذه الحضارة التي ننتمي إليها ...** إننا نرى أن دور الجامعة لا يقتصر على التحصيل العلمي بل لا بد لها من تدعيم الثقة الحضارية في نفوس أبنائنا في الأرض المحتلة ، الثقة بقدرة هذه الأمة على الصمود والبقاء .

بهذا النوع من التعليم الذي يؤصل حب الإبداع والابتكار والتحليل ، ويؤصل الثقة الحضارية ، نأمل أن تخرج الجامعة الإسلامية نمطاً جديداً من القادة القادرين على أن يغيروا واقع مجتمعهم بصورة تحقق الخير والفلاح والعزة لهذه الأمة.

العلوم الاجتماعية والمجتمع

ومن الأمور التي نشعر أنها تشكل تحدياً لنا علينا أن نتحمل مسؤولية الرد عليه هو أن بنية العلوم الاجتماعية التي تدرس في جامعاتنا عموماً تعكس مفاهيم حضارية معينة ، نشأت في بيئات معينة تخالف بيئتنا ... يجب أن نطور هذه العلوم لتنسجم مع واقع المشكلات التي نعاني منها ، ومن خلال الوجهة الحضارية التي ننظر بها إلى العالم . ليس هناك علم نفس أو علم اجتماع مطبق على المجتمعات كلها ، ليس هناك نمط تربية يطبق على المجتمعات كلها ... بمعنى آخر ، **لا بد أن نؤصل ، أن نحاول أن تكون الجامعة الإسلامية رائدة في عملية تأصيل العلم الذاتي وليس التبعية العلمية التي تربينا عليها في جامعاتنا** ... إنها عملية شاقة ولكنها الطريق الوحيد لكي نؤصل علوماً بتفكيرنا وتجاربنا حتى بأخطائنا عندما نتعلم منها ، لا يكفي أستاذ الجامعة أن يحمل كتاباً منشوراً في لندن أو باريس أو نيويورك أو موسكو ويقرأ أفكار غيره ، يترجمها فقط وينقلها لأبنائنا ... معظم الإنتاج العلمي الموجود في جامعاتنا ليس من إنتاجنا ، والأفكار ليست أفكارنا ... هذا نوع من التبعية المذلة للعقل وللجامعة في الوقت نفسه علينا أن نتحرر منها ، طبعاً تحرراً علمياً مدروساً ومنهجياً ... **إننا نقوم الآن بعملية ما يسمى : « أسلمة » العلوم الاجتماعية والإنسانية ، هذه عملية لم تُقدم عليها ـ فيما نعلم ـ أية جامعة بعد ، وندعوا الجامعات إلى التحرر من عقدة التبعية للنماذج الشرقية والغربية على حد سواء ، بحيث يتاصل التعليم ، وتتشكل العقلية الإبداعية القادرة على أن تصنع الأساليب والأدوات من البيئة الإسلامية المحلية التي تلبي حاجات المجتمع المسلم وتعالج مشكلاته ...**

هذا يعني ضرورة الارتباط مع المجتمع في ميادين الحياة جميعها ارتباطاً وثيقاً ...

نعـم ، إن المتعلم في جامعاتنا عموماً معزول عن قضايا مجتمعه الصغيرة والكبيرة ، النفسية التي ربّوا عليها نفسية منعزلة ، شعور بالتعالي والانعزال عن القرية والمجتمع والبادية ... عقدة ترتب عليها هجرة المثقفين والأطباء والمهندسين من الريف إلى المدينة ، نربي أبناءنا في القرى والأرياف ليهجروها وينظروا إليها نظرة سائح يأتي مرة في السنة ليمر على « الغلابا » .

لذلك وضعنا في الجامعة الإسلامية برامج في العمل التطوعي لطلابنا وطالباتنا في المخيمات والقرى والبوادي [رفع مستوى مؤسسات الخدمة الاجتماعية ـ مساعدة المزارعين ـ تعبيد الطرق ورصفها ...] لإيماننا بالوظيفة الاجتماعية للجامعة إلى جانب الوظيفة التربوية ، وعلى كل طالب أن ينهي مائة ساعة عمل تطوعي ضمن مجتمعه قبل أن يتخرج ... وهدفنا من ذلك جعل الفجوة بين الجامعة والمجتمع قليلة بحيث يسهل ردمها مستقبلاً ، وحتى يشعر الفرد في القرية أو البادية أو المخيم أن الجامعة قريبة منه ...

●● **هل نستطيع القول : إن الجامعة الإسلامية استطاعت أن تحقق شيئاً مما تريد من التفاعل مع المجتمع وإشعاره بالتحديات التي تواجهها ، وتسليحه بوسيلة المواجهة الصادقة ؟**

نقلة نوعية

ـــ نعـم ، وهـذا الدليل :

ابتدأت الجامعة قبل سنتين بداية تعتبر جذرية في تطور الجامعة ، وذلك عندما قررنا تحويل الدراسة في الجامعة إلى دراسة صباحية حيث كانت الدراسة في السابق : الطالبات يدرسن صباحاً ، والطلاب مساءً ... وشعرنا أن هذا النمط من التدريس لا يحقق صياغة جيدة لعقول ونفسيات الطلبة خاصة وأن الجامعات تُعرف بنوعية المتخرجين فيها ، وببصماتها التي تتركها في عقولهم وسلوكهم وشخصياتهم وطريقة تناولهم للمشكلات وحلها ...

حولنا الدراسة إلى صباحية ، فأصبحت تبدأ من الساعة الثامنة صباحاً وتنتهي في الساعة الرابعة مساء لجميع الطلبة والطالبات ، وذلك لتهيئة الفرصة للطالب بالامتزاج مع زملائه وأساتذته ، ومع المكتبة والنشاطات المرافقة للبرنامج الأكاديمي ، فيتعود لغة الحوار ولغة التفاهم إلى جانب العمل الجماعي والتطوعي ، وبذلك نستطيع

الجامعة الإسلاميّة في غَزَّة ودورها الفريد في العالم الإسلامي

استطلاع

صياغة شخصية قيادية ذات نمط حضاري متميز ...

لم يكن لدينا سوى تسع قاعات دراسية ... كان الأمر يتطلب تهيئة حوالي (٤٠) قاعة ، قمنا ببناء هذه القاعات بناء مؤقتاً إلّا أن السلطات الإسرائيلية أوقفت المباني ، وطلبت عدم تحويل الدراسة إلى دراسة صباحية ، رغم أنه موقف مستهجن إلّا انهم يدركون ان هذه نقلة نوعية لتاصيل المعرفة في اذهان الطلاب لا يريدونها ، بل يعملون على حربها ... قلنا : هذا قرار الجامعة ولن نتراجع عنه وسنستمر في تنفيذ الخطة وسيبدأ التدريس الصباحي يوم ٥ مارس [آذار] ١٩٨٣م إن شاء الله ، حتى لو اضطررنا أن ندرس في الخيام ، وإن منعت عنَّا الخيام فإننا سندرس في العراء ... إننا لن نسمح لسلطة الاحتلال أن تتدخل في الحرم الجامعي لا في البرامج ولا النشاطات ، ولن نسمح لها أو لجيشها بدخول الجامعة ... هذا موقفنا المبدئي .

وبالفعل ، في اليوم المحدد كانت الخطط والبرامج المختلفة لإنجاح مشروعنا معدة ، وحولنا مبنى الإدارة في الطابق الثاني إلى قاعات للتدريس ، وبدأنا في فصل الشتاء بأمطاره وبرودته ، لم يكن في هذا المبنى أبواب أو نوافذ أو إضاءة ، بعض الغرف كانت مظلمة ، كان المحاضر يحمل معه « كلوب إنارة » يحمله في يد ويكتب بالأخرى على السبورة لتعليم أبنائه ...

لم تكتف السلطة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات إيقاف المباني ، ولكنها حجزت على أموال الجامعة الموجودة في البنك بغزة ، للضغط علينا مادياً ، ولم تستطع الجامعة فعلاً دفع رواتب أعضاء هيئة التدريس والموظفين لمدة ثلاثة شهور ...

ولكي تشعر السلطة المحتلة أننا لا نقف وحدنا وان المجتمع كله معنا وإلى جانبنا على اختلاف توجهات أبنائه ، دعونا أولياء أمور الطلبة ، وجاؤوا ، وشرحنا دور الجامعة الحضاري في بناء العقل الفلسطيني ، وفي زرع وتأصيل الثقة الحضارية في نفوس أبنائنا ، وكيف أن المخطط الإسرائيلي ، بعد أن استولى على الأرض بقوة السلاح ، يهدف إلى تمزيق هذا العقل وتدمير مؤسساتنا التعليمية من داخلها بإشاعة التناقضات والصراعات الداخلية ، ومن ثم إيجاد مبرر لإقفال الجامعة ... إن الصمود الوطني والحضاري يتطلب منا استثمار كل ساعة ، بل كل دقيقة ... وكان شعار الجامعة : لن تقفل الجامعة أبوابها ، ولو ليوم واحد مهما كانت الظروف ...

كما قام مجلس الجامعة ورئيسها بزيارة لجميع المؤسسات في القطاع (نقابة المهندسين - المحامين - الأطباء - الهلال الأحمر - اتحاد الكنائس - المجمع الإسلامي ...) ونجتمع بمجالس الإدارة والأعضاء ، نشرح لهم فلسفة الجامعة وانها إسلامية شكلاً ومضموناً ، وان هذه هي رغبة أهل القطاع جملة ، ونبيّن معاناتنا المستمرة من سلطات الاحتلال ، ونريد أن يقف الجميع مع الجامعة ...

وقد كان ، وتم إفساد مخطط العدو الذي اضطر إلى السماح لنا بالمباني ...

بينا لسلطات الاحتلال أن هذه الجامعة إسلامية ، وهي جزء من عقيدة هذه الأمة ، وأموالها تاتي من هيئات إسلامية رسمية وشعبية ، كمنظمة المؤتمر الإسلامي مثلاً ، وبعض المحسنين المسلمين ، وتعتبر من الوجهة الشرعية وقفاً إسلامياً يجب إنفاقه حسب رغبة الواقف ، دون اقتطاع أي شيء منه ؛ وأن تدخلها فيما سمي بصندوق التطوير لمنع التصرف بهذه الأموال ومنع إدخالها يخالف الشريعة الإسلامية ، ويمس عقيدة الأمة ، ويتعارض مع الأديان السماوية والقوانين الدولية ... [حسب نظام هذا الصندوق يحق للسلطة المحتلة اقتطاع ما يصل إلى ٣٠٪ من هذه الأموال] ، وتراجعت سلطة العدو أمام التفاف الشعب بجميع فئاته والإصرار على إبقاء مال الوقف الإسلامي طاهراً يصرف في الوجوه التي تحددها الشريعة ...

إن التفاف شعبنا حول الجامعة الإسلامية هو الذي مكّننا من تجاوز هذه المعوقات التي وضعتها وزرعتها سلطة العدو المحتل التي حاولت تفريغها من محتواها بتحويلها إلى ساحة صراع تزيد من تفكك المجتمع ، سياسة فرّق تسد ، هذه السياسة التي يطبقها المحتل

■ مبنى الإدارة الذي حوِّل إلى قاعات للدراسة ■

■ تعويد الطلبة على البحث والمطالعة وبناء مقدرة نقد ذاتية ■

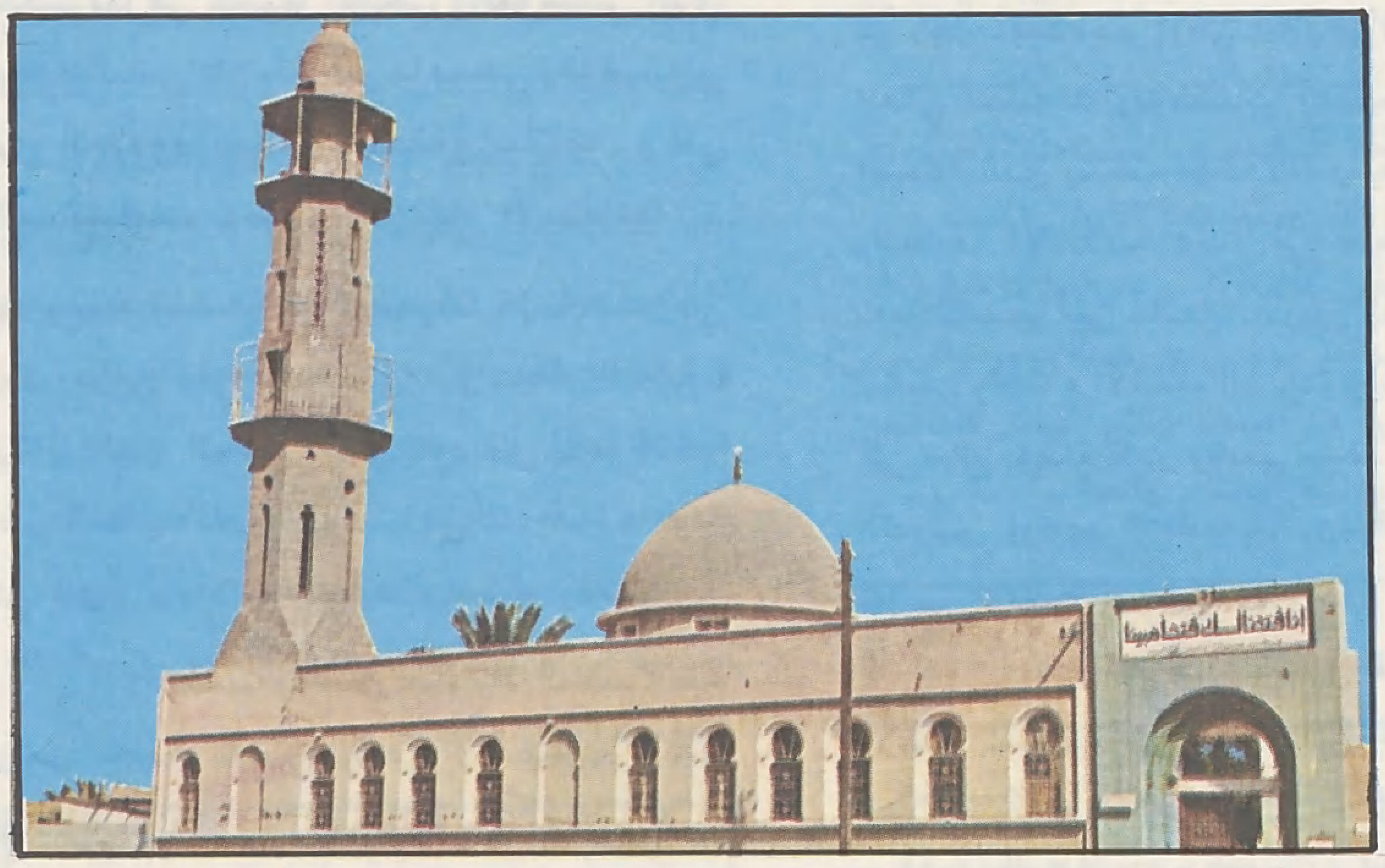

■ جامع صلاح الدين الأيوبي في غزة ■

الغاشم في أعلى صورها ... ولا يمكن أن نفوت عليه غرضه إلّا بفهمنا لاستراتيجيته هذه ، وبوضع استراتيجية مقابلة للتصدي حتى نجتاز هذه المرحلة ، ونصنع عوامل النصر ...

معاناة ومشكلات

وحول معاناة الجامعة الإسلامية قال الدكتور **محمد صقر** :

ــ رغم أن الجامعة الإسلامية في غزة كبرى الجامعات في الأرض المحتلة ، حيث يدرس فيها حالياً أربعة آلاف ومائة طالب وطالبة [١٥٠٠ **طالبة و ٢٦٠٠ طالب**] ويتوزع أعضاء الهيئة التدريسية فيها على النحو التالي (٤٥) **عضواً من حملة الدكتوراه** ، (٦٠) **عضواً من حملة الماجستير** ، (٩٠) **عضواً من مساعدي البحث والتدريس حملة البكالوريوس** ، ورغم أننا نعمل على : تكوين عقلية تحليلية ، تحاول باستمرار أن تخرج على النمط التقليدي الذي استوردناه من الغرب أو الشرق ، حيث إننا لا نعتمد أسلوب التلقين والاستظهار وحفظ المعلومات بل نحاول أن نربي في الطالب القدوة التحليلية لنكشف عن جوانب الإبداع في شخصيته ، ونعوده المغامرة العلمية عن طريق طرح المشكلات أمامه ليستطيع في المستقبل الإبداع في إيجاد الحلول المناسبة لكل مشكلة قد تواجهه ، ... نحاول المزاوجة بين التجربة العملية والدراسة النظرية ... إلّا أن الذي يقف عقبة في وجه تحقيق ما نطمح إليه :

● افتقار الجامعة إلى البنية الأساسية ، نحن الجامعة الوحيدة في الأرض المحتلة التي لم تتوفر لها البنية التحتية ، عكس **جامعة « بير زيت »** مثلاً التي لديها المباني والمختبرات اللازمة بفضل المساعدات التي تتدفق عليها من جهات عربية وغير عربية على حد سواء ... الجامعة الإسلامية شأنها في ذلك شأن قطاع غزة ، أقولها بمرارة : إن **الفجوة الحضارية بين القطاع والجانب الآخر ـ الضفة الغربية ـ لا تقل عن ثلاثين عاماً ، الأوضاع عموماً في الأرض المحتلة سواء من عام ١٩٤٨م أو في الضفة الغربية أو في القطاع ليست سارة ، وأوضاع المؤسسات صعبة ، إلّا أن هذه الصعوبة أوضح بكثير في القطاع ، سواء في الشوارع أو المدارس أو المستشفيات أو في الجامعة نفسها ، هناك تدهور في مستوى الخدمات ، المدارس لم ترمم منذ الاحتلال الإسرائيلي ، المستشفيات تفتقر إلى الأجهزة والمختصين والأدوية ، ويتكدس المرضى بشكل لا يعين على الشفاء بل قد يسبب أمراضاً أخرى ...**

نحن لا نريد قاعات فارهة أو مكيفة ، كل الذي نريده : الحد الأدنى الذي يشحذ همة أبنائنا ويعودهم العيش بصلابة تجعلهم يصمدون للأنواء ... هذا الحد الأدنى غير متوفر ... نريد للطالب أن يجد المكتبة الملائمة والمراجع الكافية والمختبرات العلمية ، والقاعات التي تقدم له الطعام والشراب وكذلك لأعضاء هيئة التدريس وموظفي الجامعة ، والملاعب التي تتيح له تفريغ طاقاته بين النشاطات المختلفة التي تعود عليه بالخير في جسمه وعقله ودينه ، إنه ليس آلة لاستيعاب المعلومات فقط ، نريد أن نؤمن له الظروف النفسية والصحية التي تمكنه من الاستيعاب الجيد ، والرياضة والنشاطات الثقافية والمكتبية والخدمات الأخرى جزء مكمل وأساسي في تنمية قدرات الطالب على هذا الاستيعاب .

المرافق العامة محدودة في الجامعة ، تمكن مجلس الطلبة من إقامة مطعم (كافتيريا) للطلاب مساحته ثلاثمائة متر مربع ، يغطي جانباً من الحاجة ، كما أن ملاعب الجامعة ليست جاهزة حسب المواصفات المتعارف عليها عالمياً .

نظام الخيمة

تلبية للحاجة ورداً على تحدي العدو لنا ومنعه إيّانا من بناء قاعات جديدة [القاعة تبنى بالطوب والأسبست] لمواجهة أعداد الطلاب المتزايدة كان ابتكارنا لنظام الخيمة ، حيث تبلغ مساحتها مائتي متر مربع ، لا يوجد فيها عمود واحد حتى لا يعيق الرؤية بين الطالب والأستاذ ، ثلث طلابنا في هذه الخيام ... **قبل سنتين كان في الجامعة ثلاثة مختبرات ، أصبحت هذا العام سبعة عشر مختبراً** ومع ذلك لا تكفي الحاجة ولا تغطي الغرض ، كما كان في الجامعة تسع قاعات أصبحت هذا العام ستين قاعة غير كافية أيضاً .

● كما تعاني الجامعة من نقص في أعضاء هيئة التدريس ، مخططنا أن يكون لكل عشرين طالباً مدرس واحد ، بينما لا يوجد لدينا الآن سوى مدرس واحد من حملة الدكتوراه لكل مائة طالب ، ومدرس واحد من حملة الدكتوراه والماجستير لكل أربعين طالباً ... ولا بد من مضاعفة عدد أعضاء هيئة التدريس ، وهذا يحتاج إلى موارد مالية لا نمتلكها ، كما يتطلب الحصول على تصريح

الجامعة الإسلاميّة في غَزَّة ودورها الفريد في العالم الإسلامي

استطلاع

دخول وإقامة لأعضاء هيئة التدريس الذين نستقدمهم من خارج القطاع ، وهنا تضع السلطة المحتلة الكثير من العراقيل لمنع هذا الاستقدام أيضاً .

البعثات الدراسية

● وهذا الأمر من جملة معاناة الجامعة ، جامعتنا ليست تقليدية يهمها أن يكون هناك طالب وأستاذ يدرس له المعلومات كيفما اتفق ، نحن نصر على استقطاب نوعية مدربة عقلياً ، ولديها القدرة على أن تستحث في الطالب التفكير الحر والإبداع العلمي ، ومن ثم نحرص على أن نبحث عن الكفاءات العلمية المتميزة إلى جانب توفر الثقة الحضارية لدى عضو هيئة التدريس ، أو الذي يختار لإيفاده في بعثة دراسية ليعود عضواً في هيئة التدريس ، بحيث يستطيع وهو يوصل المعلومات إلى عقل الطالب أن يعزز ثقته بنفسه وبأمته وحضارته ، وبتفوق الإسلام على المعطيات الحديثة في القيم والسلوك كلها ... هذا الأمر من الصعوبة بمكان ، فقد تجد المؤهل علمياً ، ولكن قد لا تجد فيه الشرط الآخر ، ومن هنا كان لا بد من انتقاء نوعية متميزة من خريجي الجامعة والجامعات الإسلامية الأخرى وإرسالهم في بعثات للحصول على درجة الدكتوراه في التخصصات الشرعية والإنسانية والعلمية ... لأن هذا الأمر هو الذي يمكن أن يحفظ للجامعة نمطها المتميز بعد توفيق الله عزَّ وجل ... هذا الأمر الذي نعرف خطورته جيداً لا نتمكن حالياً من تنفيذه لندرة الموارد المادية بين أيدينا ، وبهذه المناسبة فإني أستحث العاملين للإسلام من رسميين وشعبيين ، الحريصين على مستقبل هذه الأمة ، التي ستبقى ضائعة على هامش التاريخ بلا خلفية علمية حضارية ، أقول لهم :

آن الأوان لنلتفت إلى الجامعة الإسلامية ، فتوقف بعض الأموال والممتلكات للإنفاق عليها وعلى طلبة العلم فيها ، خاصة المبعوثين للحصول على درجة الدكتوراه ، ونذكر بأن حضارتنا في جانبها العلمي والمؤسسي الذي يخدم الناس كان يتم عبر ما يسمى بالوقف على دور العلم ومؤسساته وطلبته وأساتذته ، وعلى المستشفيات ومراكز الرعاية الاجتماعية ...

هذه بنية أساسية في حضارتنا ، إننا نعيش في عالم عربي غني جداً بأمواله وأشيائه المادية ، إلّا أن الغنى الحقيقي الذي يعود على الأمة بالخير غنى النفس ، لقد كانت أمتنا في غابر مجدها غنية في نفوس رجالاتها وتجارها وعلمائها وقادتها ...

آن الأوان لنستعيد صور حضارتنا المضيئة هذه ونحن نعيش مرحلة التحدي الحضاري الذي يتهددنا بالزوال ، فنوقف جزءاً من أموالنا الكثيرة على هذه الجامعة وغيرها من أمثالها ، لاستدراك نواقصها ، وتنمية قدرتها العلمية والفنية والإدارية ... ولا نريد أن نذكر بما تقدمه بعض الجهات الكنسية لبعض جامعات الأرض المحتلة ...

اليس من واجب الأمة المسلمة أن تمكن جامعة تحمل اسم الإسلام ، وتعتز به في عصر الظلمات والتحدي أمام عدو شرس يريد أن يقتلع جذور حضارتنا بتخطيط متكامل مدروس وبدعم دولي كبير ؟! أليس من واجب هذه الأمة أن تقف مع هذه الجامعة ، وتخفف من المعاناة التي يعيشها طلابها وموظفوها وأعضاء هيئة التدريس فيها ؟!

الصلة بالجامعات الأخرى

●● وماذا عن صلة الجامعة الإسلامية بالجامعات الأخرى ؟

ــ للجامعة صلة وطيدة بالجامعات الأخرى في الأرض المحتلة [النجاح ـ الخليل ـ القدس ـ بير زيت ـ بيت لحم] وهي عضو في مجلس التعليم العالي لجامعات ومؤسسات التعليم في الأرض المحتلة الذي ينتخب لجنته التنفيذية كل سنتين ، والجامعة الإسلامية عضو في هذه اللجنة التي تعمل للتنسيق بين جامعات الأرض المحتلة بالنسبة للكليات وافتتاح الأقسام الجديدة ووضع البرامج ، إلى جانب وضع كادر وظيفي موحد لأعضاءِ هيئة التدريس ورتبهم الأكاديمية ، ومحاولة توحيد أو تقريب الأنظمة الجامعية في هذه الجامعات ... إلّا أننا لمّا نصل بعد إلى التنسيق الذي نرتاح له ، إلّا أننا نستطيع أن نقول : إن المجلس قطع خطوات جيدة في هذا السبيل : كما أن طلابنا يزورون طلاب هذه الجامعات ، وندعوهم أيضاً لزيارتنا ...

كذلك فالجامعة عضو في اتحاد الجامعات العربية منذ عام ١٩٨٠م وتشارك في اجتماعاته بكفاءة ومسؤولية ، وهي عضو في رابطة الجامعات الإسلامية ومقرها الرباط ...

ـوهنـا أرى من واجبي أن أذكر الفضل لأهله ، فأتوجه بالشكر إلى الجامعة الأردنية التي وقفت معنا منذ بداية النشأة على ما قدمته من عون لنا خاصة في مجال تقديم الأساتذة رغم معاناتها [أعطتنا أساتذة في الرياضيات رغم أنها كانت تعاني يومها من نقص (٣٦) ساعة تدريسية في هذا القسم] وفتحت أبواب الدراسة العليا أمام أبنائنا ... ونذكر لجامعة قطـر فضلها حيث أعطتنا ثلاث منح دراسية لثلاثة طلاب بصورة دائمة حتى نهاية مرحلة التخصص العالي (الدكتوراه) [كلما تخرج واحد ، حلَّ آخر مكانه] وأملنا أن تتضاعف هذه المنح ثلاث أو أربع مرات ...

الجامعة للجميع

●● وحول ما إذا كانت الجامعة تقتصر في قبولها على الطلبة المسلمين ، قال الدكتور صقر :

إنها جامعة للجميع على اختلاف معتقداتهم ، حيث لا تمييز في حضارتنا الإسلامية بسبب الدين او المعتقد **﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ**

■ الصدق مع النفس والوفاء للأمة يعني أن نربي عقول أبنائنا ، وننمي وجدانهم ، ونصوغ نفوسهم على المعطيات الأصيلة للحضارة التي ننتمي إليها . ■

■ الأمة صاحبة الجذور الحضارية العريقة أقدر على الرد والتحدي عندما لا تكون هناك سلطة وطنية تدير شؤونها ، وتستطيع أن تفعل ذلك عبر مؤسساتها الوطنية الصادقة . ■

مِنَ الْغَيِّ ﴾ ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ وعبر تاريخنا منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية إلى اليوم لم نعرف إلَّا التسامح والبر والإحسان إلى أتباع الديانات الأخرى ، يعيشون بيننا بأمن وسلام ، ويساهمون في حضارتنا دون حرج ؛ ومن هنـا كانت الجامعة الإسلامية لا تميز في القبول بين أحدٍ وأحد ، وأبوابها مفتوحة للجميع ... سلطات الاحتلال الإسرائيلي هي التي تمنع طلبة الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م من دخول جامعتنا ، رغم أننا لا نمانع في ذلك ونسمح بقبولهم ، ونحن على صلة بهم ، ونعرف مقدار ما يعانون من عسف وظلم المحتل الغاشم الذي منعهم أيضاً من افتتاح جامعة خاصة بهم .

المنـاهج والمحتـل

●● وعن تدخل سلطات الاحتلال الإسرائيلي بمناهج التعليم والتربية ، ومناهج الجامعة ، قال :

ــ سلطات الاحتلال تتدخل بشكل سافر في المرحلة قبل الجامعية ، خاصة في مناهج التاريخ والتربية الإسلامية ، حيث تشطب فصولاً بكاملها وصفحات من الكتب ، تمنع المدرسين من تدريسها ... حاولت التدخل في الجامعة ، إلَّا أننا رفضنا تدخلهم ، وتمسكنا بالحرية الأكاديمية والاستقلال الإداري ... **عندها حاولت السلطة المحتلة ان تطبق علينا ما يسمى بالامر (٣٨٠) الذي كان قد وضع في الفترة التي سبقت احتلالهم لتنظيم شؤون الأزهر (المعهد الديني) وهو يعطي السلطة حق التدخل في المناهج والتعيينات وتصديق محاضر جلسات مجلس إدارة المعهد الديني ... والاحتلال لديه قدرة عجيبة على نبش التاريخ !! اين يوجد قانون ميت ، ينبش إذا كان يحقق غايتهم ويخدم هدفهم ، ويقال : هذا موجود ...**

[**سلطات الاحتلال لا تعترف باننا جامعة ، وتعاملنا على اساس معهد فلسطين الديني ـ الأزهر ـ التعليم العالي**] ونحن لسنا بحاجة إلى اعترافهم ... [حققنا اعترافاً من اتحاد الجامعات العربي ، ورابطة الجامعات الإسلامية ، وأخيراً مصر مشكورة اعترفت بشهادة الجامعة الإسلامية ، فأصبحت تعتمدها والخارجية تصادق عليها] .

رفضنا هذا الأمر أيضاً الذي استندت إليه سلطة الاحتلال في فصل ستة من أعضاء هيئة التدريس وتطبيق إجراءات منها : يجب على كل واحد من القطاع أن يحصل على تصريح لمدة سنة (هوية) رفضنا هذا كله أيضاً ورفضنا فصل المدرسين ، وقلنا : إن هذا يمس الحرية الأكاديمية التي تتمتع بها ليس الجامعة الإسلامية وحدها بل جامعات الدنيا كلها ، هذه الحرية التي نحرص عليها الآن ، وسنحرص عليها مستقبلاً ، وتحملنا في سبيل ذلك جميع الإجراءات التي اتخذت ضدنا ولم نتخل عن موقفنا ؛ ونحن الآن ندرس في الجامعة مقررات باسم « **القضية الفلسطينية** » و « **تاريخ فلسطين** » و « **جغرافية فلسطين** » ، هذا لا يعني أن محاولات إسرائيل للتدخل في المناهج لم تعد واردة ، أو لتطبيق الأمر السالف ، إلَّا أننا سنرفض وبكل قوة أي مجال للمساس بحريتنا في تقرير المناهج التي نرتئيها ، ونسأل الله عز وجل العون والثبات ...

الجامعة والقضايا الوطنية

وحول مساهمة الجامعة الإسلامية في القضية الوطنية وتصدي طلابها لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي ، قال :

في الجامعة الإسلامية نؤكد دائماً على أن الصراع الوحيد يجب أن يكون مع العدو الصهيوني ، وأن الجهود جميعاً يجب أن تتكاتف في هذا السبيل ، وهي لا تترك مناسبة إلَّا وتعلن تحديها للسلطات المحتلة وإدانتها ورفضها للإجراءات التعسفية التي تتخذها ، **إلَّا أننا نخضع لتعتيم إعلامي لطمس دور الجامعة في قيادة المقاومة ضد الاحتلال وتوجيهها وترشيدها ، لذلك تمر أيام وشهور دون أن يدري احد عن الأحداث التي تقع في قطاع غزة ، في حين نجد ان وكالات الأنباء العالمية لها مراكز ومكاتب في القدس ، تغطي ما يحدث يومياً أولاً باول في الضفة الغربية مثلاً ، اما قطاع غزة فلا تسمح سلطات الاحتلال بافتتاح مثل هذه المراكز والمكاتب ؛ إلى جانب اننا نؤمن بالعمل الصامت الذي يقدم نفسه لا بالبهرجة اللفظية والإعلانية** ... عندما أبلغني **الشيخ سعد الدين العلمي** حفظه الله أن يهود سيزحفون في عيد الشعانين إلى المسجد الأقصى لاحتلاله وانتهاك حرمته وقداسته ، تم الاتصال بالطلبة ، وإرسال ثلاثمائة طالب منهم للمرابطة في الأقصى ودفع الثمن مهما كان غالياً للحفاظ على حرمته ومنع تدنيسه ، وجاء مثل هذا العدد من قرى المثلث (عرب ١٩٤٨م) واشتبك هؤلاء مع المستوطنين والجنود حتى اضطر وزير الأديان أن يأتي بنفسه إلى **الشيخ العلمي** معتذراً عما حدث ... عند حادثة تسميم الطلبة في الضفة الغربية لم نأل جهداً في فضح الأمر ومقاومة الاحتلال ، مجلس الطلبة عندنا ذهب إلى رام الله ، **ودخل سبعة من اعضائه السجن ، لنا اكثر من ثلاثين طالباً في سجون الاحتلال إلَّا أنَّ الإعلام لم ينشر شيئاً عن ذلك** ... والجامعة في ذلك كله لا تريد أجراً أو ثناءً من أحد ، إنها تقوم بدورها امتثالاً لأمر الله عز وجل واحتساباً لما عنده ...

الصحـوة الإسلاميـة

●● وعن الصحوة الإسلامية في الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨م قال الدكتور صقر :

ــ يضعف المسلمون وينهزمـون ، ويـأتي الأغراب ويحتلون الأرض ، لكن حضارتنا لم تنهزم ، هزمنا وبقيت حضارتنا منتصرة ، فهي بطبيعتها لا تقبل أية حضارة غازية ، والنسيج الفكري والنفسي لهذه المنطقة هو هذه الحضارة الإسلامية ، وكما تغلبنا بعد العودة إلى حضارتنا وقيمنا على الهجمة الصليبية والهجمة المغولية ... **هذه الفكرة عادت إلى مكان الصدارة في قلوب وعقول ابناء المناطق المحتلة بعد معاناة شديدة ، وقهر ومحاولة كبت وإذابة مارسها العدو الصهيوني** ؛ لقد رسخ في أذهانهم وتكونت قناعاتهم أن **الإسلام هو الذي يحفظ شخصيتهم من الذوبان ، ويمدهم بالقوة في معركة التحدي الحضاري التي يعيشونها** . ومن المظاهر البارزة في حياتهم : التفافهم حول مسجد حسن بك ، ومسجد يافا الكبير (العجمي) ومحاربة المفاسد الخلقية والخمور ، وحفلات الأعراس المختلطة وما إلى ذلك من أمور نشرها وحاول تثبيتها بينهم العدو الصهيوني ...

هذه التحولات الفكرية في الأرض المحتلة ، بل بين مسلمي العالم كله ، تكشف عن أصالة حضارتنا الإسلامية وقدرتها على إعادة الإنسان إلى التوازن ، وبناء المجتمعات بناءً متطوراً سوياً ، هذه الحضارة هي التي ستعيدنا إلى رحاب الله إن شاء الله ، وتجمعنا على طاعته لنقضي على معطيات اتفاقية « **سايكس ـ بيكو** » وما خلفته من أوضاع على الساحة الإسلامية والنفسية الإسلامية .

بقلم: حمادة عبد القادر

أعِد النظر

تعقيب على مقال «في الأدب الإسلامي»

■■ في صفحتها السبعين من عددها الثامن والأربعين من سنتها الرابعة، نشرت «الأمة» مقالاً تحت عنوان «في الأدب الإسلامي» لصاحبه «مأمون فريز جرّار»، دعا فيه كاتبه إلى العناية بالأدب الإسلامي في مجالاته كلها، مبرزاً المحاور والخطوط التي ينبغي للمعنيين اتباعها للغرض نفسه، وقد لخصها في نقط أربع..

إلَّا أنه قبل ذلك تحدث بإيجاز كبير عن ظهور الدعوة إلى الأدب الإسلامي من أيام سيد قطب رحمه الله وبقلمه. ثم أتبع ذلك بذكر أسماء بعض الدعاة إلى الأدب الإسلامي في مرحلة تابعة وموالية لمرحلة «سيد قطب» رحمه الله.

وبين هاته المرحلة وتلك، كان الوقوف عند الأستاذ «محمد قطب» مع كتابه «منهج الفن الإسلامي»، والغريب أن المقال يتحلل في عناصر ثلاثة هي: ظهور الدعوة إلى أدب إسلامي، ثم قصور الجهود عن بلوغ المراد من هاته الدعوة، وأخيراً، اقتراح بعض الحلول لتخطي العقبات المعرقلة لظهور أدب إسلامي جلي المعالم.

إلَّا أن القارىء فوجىء بتلك الوقفة المباغتة التي لم تكن في الحسبان منذ قراءة العنوان والمقدمة، وكان مصدر المفاجأة ذلك التنافر بين مقام النص وطبيعة هاته الوقفة التي اجتثت فكر القارىء من عالم تساؤلات عن مدى تأثير الدعوة إلى الأدب الإسلامي، إلى عالم «نقد» غير منتظر؛ لأنه لا يساير ولا يتماشى وطبيعة الموضوع، فحدَث أن وقع نوع من التشتت الفكري للقارىء.. هذا من جانب التجاوب «الخارجي» مع تسلسل الموضوع.

أما من جهة طبيعة «النقد» فإن القارىء اصطدم - من جديد - بأشياء غريبة!. ولذلك كان لنا رأي لا في الموضوع ككل، وإنما - بالضبط - في موضوع هذا «النقد» ■■

إن الأخ مأمون فريز جرّار، يشتكي توسع الكاتب في عنوان كتابه «منهج الفن الإسلامي» وذلك باستعماله اللفظة المفردة - فن - دون مشاورة الإسلام في مشروعية قبولها أو ردّها!.. ثم إن علة هذا الاتساع ترجع إلى دلالة كلمة فن نفسها، التي تجمع بين «الأدب والموسيقى والرسم والنحت».

لهذا سأتناول هاته «الملاحظات» بالترتيب بادئاً بفكرة التوسع في العنوان لأقول:

إن طبيعة الموضوع الذي تناوله محمد قطب في كتابه هذا، هي التي فرضت طبيعة هذا التوسع في العنوان. وإنني لأرى في هاته النقطة تجاوباً وانسجاماً وتطابقاً بين العنوان وموضوع الكتاب. ذلك أن العنوان - وهو النافذة التي من خلالها نُطِلُّ على محتوى المؤلَّف - لم يكن له بد من اتخاذ هذه الصبغة المتميزة بسعة المسافة والرقعة.

ومن جهة ثانية، فإن مرجع هذا التوسع يعود إلى اقتران كلمة فن بالتصور الإسلامي الذي أكسبها فسحةً ونفساً كبيرين؛ وهذا لما يتميز به هذا التصور من شمولية المعنى وعمقه «وقد كانت الفصول السابقة من الكتاب كلها دراسة لهذا التصور مأخوذة من القرآن.

وهذا التصور هو الذخيرة التي يستمد منها الفن موضوعاته ومجالاته، ثم تعمل البراعة الفنية عملها، فتُخْرِج من تلك المفاهيم في شتى مجالاتها فنوناً جميلة رائعة، بمقدار ما تطيق التلقي، وبمقدار ما تتفتح بصيرتها لارتباطات الكون والوجود» [فصل القرآن والفن الإسلامي]

أجل، كل شيء ينبغي له في ظل الإسلام أن يتسع، ويتخطى الحدود المزعومة.. حتى العنوان «في الإنتاج الإسلامي» يجب أن يتميز بصبغة الاتساع هاته، حتى يكون هناك تطابق بين فحوى الكلمة وبين غرضها في الإطار المرسوم لها كلما تعلق الأمر بإنتاج أو إبداع إسلامي صرف. علماً منا أن كل عملٍ إسلامي - كيفما كان نوعه - إنما هو ذاك العمل الذي يُناشد الحقيقة المطلقة، فيشرع في السمو والصعود والسُّموق - غير مبالٍ بحدود وهمية أو قيود مصطنعة - بحيث يصبح كل مَعْلَم في كل نقطة من هذه المسيرة، إنما يشكل قاعدة جديدة تستوجب زاداً وطاقة تتسم هي الأخرى بالجدَّة والقوة والنَّفاذ، لبلوغ غايات غير متناهية! ولعلَّ ذلك ما يراه الدكتور عماد الدين خليل «إنَّه سلم قيمي واسع الامتداد، كثير الدرجات، ما دام أن الإسلام جاء لكي يغطي تجربة الحياة البشرية بأسرها في امتداديها الأفقي والعمودي على السواء، وما دام أنه - أي الإسلام - كان وسيظل بمثابة موقف متكامل ورؤية شاملة لدور الإنسان في العالم، بكل

ما تتضمنه هذه العبارة من معنى.
ومن ثم فإن لنا أن نتصور المدى الواسع الذي يمكن أن يتحرك فيه الفنان وهو يعتمد في مقابل هذا وقائع وأحداثاً تاريخية ومواقف عقيدية هي بمثابة عيِّنات مكثفة لهذه التجربة البشرية أو تلك، ولهذا الموقف أو ذاك، وصولاً إلى دلالاته التربوية الهادفة» [الأمة العدد ٢٨ - وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي].
والفن، بعد ذلك، كمفردة عربية - تسببت في هذا التوسع - لا باعث يرغمها على أن تُعرض على مائدة الإسلام: هل تؤخذ وتحظى بقبول حسن، أم تُرفض وتُردُّ!
وأما إذا نظرنا إليها كمفهوم ومعنى ومقصد: فإن الإسلام طهَّر رجالاً وأقواماً، وأخرجهم من دار الكفر والظلمة والطغيان... إلى دار الإيمان والنور والرحمة...! فكيف يعجز عن صقل المفاهيم وتركيبها أحسن تركيب مصوغ في قالب إسلامي شريف: ذلك أنَّه حتى ولو افترضنا أن هاته المفردة قد تضم بعض المفاهيم المنافية لديننا الحنيف، فإن مجرد إحاطتها بكلمة إسلام، فإنّه ما من دَنسٍ أو دَرَنٍ أو خبث، سوف يجد له فيها بقاءً! فكما قلت: طهَّر الإسلام قلوب شعوب، فكيف لا يطهِّر قلب كلمة نطقت بها الشعوب؟!..
بل على عكس ما قيل في مسألة مشاورة الإسلام في استعمال هاته الكلمة، نجد أن «محمد قطب» قد ارتكز بالدرجة الأولى على دراسة قرآنية محضة، استنبط من خلالها مشروعية استغلال مضامين هاته الكلمة في إطارها اللائق.. فإذا اتفقنا على أن الدين «ليس عبادات معينة ينقطع لها الناس فترة من الزمن عن تيار الحياة. وإنما الدين هو المنهج الشامل للحياة.. حياة المشاعر وحياة الأفكار وحياة السلوك وحياة الوجدان.» وعلى أن «الفن - من ناحية أخرى - هو التعبير الجميل الموحي عن هذه الحياة» [منهج الفن الإسلامي: ٢٠٥].
إذا اتفقنا على هذين المُعْطَيَيْنِ، فإننا نخلص منطقياً إلى أنه «من ثَمَّ يلتقي الدين والفن التقاء كاملاً في الحس المسلم، حين يكون الفن قائماً على التصور الإيماني للوجود وللمشاعر والأفكار والسلوك والوجدان».
هـذا، وقد اتضح من خلال «منهج الفن الإسلامي» نفسه: أن «محمد قطب» لم يبن مقاييس ولا أسس منهجه هذا، على قواعد واهية. بل إنه منهج أساسه التبصر والتدبر في استغلال الذخيرة الأولى والأخيرة للفن الإسلامي، تلك هي ذخيرة القرآن الكريم.

وفي ذلك يقول: «فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها، من أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها، يسعى القرآن إلى تحريك هذه الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوباً حيّاً مع الأشياء والأحياء... وهنا يلتقي الدين - بمفهومه الإسلامي - مع الفن، ويلتقيان في أروع صورة في ثنايا القرآن!» [منهج الفن: ٢١٨]، ثم إن الكتاب يضم بين دفتيه مقاطع وفقرات مختلفة التراكيب والمعاني، وكلها تُبِينُ عن عدم إغفال المؤلف هذا الجانب؛ جانب عرض المسألة على الإسلام. وما الاستشهادان اللذان أوردناهما في مقامنا هذا إلَّا جزء صغير أردنا من ورائه إبراز هاته السِّمة في كتابة محمد قطب - سمة اتخاذ الإسلام كمصدر مرجعي - لكل إنتاج إسلامي في مختلف الميادين والمجالات.
بل، وأكثر من هذا، فإن «محمد قطب» يرىٰ أشياء أخرى أعمق وأبعد؛ إذ يرىٰ أن «الفن الإسلامي في حاجة شديدة لأن يُراجَعَ على القرآن!.. فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن كما هو الذخيرة الموحية للحياة!» [منهج الفن: ٢٠٤].
وللغرض نفسه يستلهم التاريخ، ويأخذ منه حُجة وبرهاناً قويين، عندما عاد بالأذهان إلى ضعف الشعر الإسلامي خاصة؛ وذلك إبان عَصر النبوة، فبيَّن في مقدمة كتابه أسباب ذلك الانحطاط والضعف، ثم عاد للحديث عن التعبير الفني في المرحلة اللاحقة لعصر النبوة، وذلك في فصل «القرآن والفن الإسلامي» ليبين أن العرب خسروا فرصة ثمينة في الوقت الذي أرادوا فيه الابتعاد عن الرصيد الإسلامي لاستنباط مشاعرهم وإيحاءاتهم وشدَّهم حنين العودة إلى الجاهلية يستمدون منها أغراض تعبيرهم وطرائقه. وكان ذلك في غير صالحهم ولا صالح تاريخهم «وتلك حقيقة تاريخية مؤسفة، ضيَّعت على الفن العربي فرصة الإفادة من أكبر رصيد فني يملكه المسلمون، بل أكبر رصيد تملكه البشرية كلها حين تتفتح له بصيرتها، وتتلقى وحيه بحس مرهف مفتوح».
وحسبنا أننا بهذا الكلام كله، نَوَدُّ محو ما ذكرته المقالة المشار إليها - في مسألة عرض مصطلح «فن» على الإسلام - ذلك أنه إذا كان محمد قطب يؤمن بازدهار الفنون الإسلامية بتعداد مجالاتها، كلما اتخذت الذخيرة القرآنية رصيداً لها. ثم إذا كان يرىٰ أن العرب فاتتهم فرصة الإفادة من الرصيد الفني الإسلامي؛ وأن ذلك شكَّل حقيقة

تاريخية مؤسفة. فإن كل هاته المعاني تفيد تَمَكُّن محمد قطب مما يقول.
ويشاركه في ذلك سيد قطب حين يتحدث عن الفن والقرآن في كتابه «في التاريخ.. فكرة ومنهاج» إذ يقول: «هذا الكتاب (يقصد القرآن) لا يمكن بحال أن يكون معادياً للفن! وقصة العداء بين الإسلام والفن قصة لا يمكن أن يكون لها أساس من الصحة على الإطلاق!».
ونضيف هنا كلاماً للدكتور عماد الدين خليل، نُشر في شكل مقال، بالعدد الثامن والعشرين من السنة الثالثة بمجلة «الأمة» وهو تحت عنوان «وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي».. ويقول فيه: «إنَّ سُلم القيم التربوية التي ينشدها العمل الفني الهادف سلمٌ واسع المدى، كثير الدرجات، يمنح الأديب والفنان مقداراً واسعاً من الحرية والعفوية في الاختيار والتركيز دونما أي قدر من التوتر والمباشرة، إنه بمقدوره أن يتحرك عبر هذا المدى الواسع لكي يقف عند هذه (القيمة) التربوية أو تلك، حيثما وجد في وقفته تساوقاً عفوياً منغماً مع مثيل عمله الفني ومعطياته وجزئياته، وحيثما رأى تناسباً وانسجاماً في اللون والإيقاع والتكوين بين ما يسعى إلى تحقيقه وتعميقه وبين طبيعة نسج إبداعه الفني: لُحْمَتِه وسداه» [منهج الفن: ٢٠٤].
والحقيقة أنه في وسعنا عرض المزيد من هذه النماذج المتفقة حول فكرة الارتباط بين الإسلام والفن، كُلَّما تدفق هذا الأخير من ينابيع التصور الإسلامي. وإني لأرىٰ فيما تقدَّم كفاية لتبيان ذلك، لا سيما وأن المقام مقام تنبيه وتذكير، وليس المقام هنا مقام عرض جديد للموضوع.
ثم إني - بعد هذا كله - أريد القول: إنه إذا كانت هناك بواعث تمنعنا من ربط الفن بالإسلام، فلا نتحدث عن فن إسلامي، فإن هاته البواعث نفسها تحول بيننا وبين ما نسميه بالبنك الإسلامي - مثلاً - بدعوىٰ أن البنك هو الآخر كلمة تتسع لتشمل طرائق وأغراضاً وأهدافاً لا تتماشى وما جاء به الإسلام من تعاليم سامية! ومن ثم وجب عرض مصطلح أو مفردة (بنك) على الإسلام ليرىٰ فيها رأيه.
ثم إننا بهذا، لا ينبغي لنا غض الطرف عن باقي المجالات المتعددة، فنتساءل «حتماً» كذلك عن مشروعية استعمال كلمة «اقتصاد» وربطها بالإسلام للحديث عن اقتصاد إسلامي، علماً منا أن هناك أنماطاً اقتصادية تجعل من المادة مصدر كل رقي في غياب

أعِد النظر

الدور البطولي للإنسان الذي يفقد كل معنوياته داخل المجتمعات السائرة وفق هذا النوع من الاقتصاد . وهذا لا يعترف به الإسلام كدين جَعَلَ من تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات إحدى المقومات واللبنات التي يتوجب علينا التذكير بها في مختلف المجالات .

من جهة أخرى - وبهذا المنطق نفسه - سنكون مرغمين على رفض ما يسمى بالفلسفة الإسلامية باعتبار أن « الفلسفة » لم تستقر تعريفاتها حتى الآن ، وأنها تنهج سبلاً غريبة شيئاً ما عن المنهج الإسلامي ، سواء في نسبة إعمال العقل ومحدوديته ، أو في قضايا أخرى ، كالرقعة أو الميدان الذي تجوبه تأملات الفيلسوف ، وهي رقعة تصغر بكثير عن المجال الواسع الذي دعا الإسلام إلى الإيمان به ؛ ذلك المجال أو العالم الذي لا ينحصر فيما تضبطه الحواس ، وإنما يرقى إلى مستويات أسمى وأسمق ...

وما قيل عن البنك الإسلامي والاقتصاد الإسلامي والفلسفة الإسلامية ، يمكن أن يقال عن باقي الأنماط الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التي أخذت تسمياتها من مصادر غير المصدر الإسلامي ! وسيكون ذلك أمراً واقعاً في الوقت الذي نأخذ بالمنطق نفسه الذي نُحاكم به الفن الإسلامي . فنجرِّد الإسلام من كلِ قدراته المسايرة للزمان والمكان ، ونجعله في فكرنا - مجرد دين يدعو إلى التَّعبد بمفهومه الضيِّق ، الذي لا يرى في النشاط الفكري - وهو مصدر الأنشطة الأخرى كالاقتصاد والسياسة والاجتماع ... - أقول لا يرى في كل ذلك أية صلة بالعبادة - حسب مفهومه المتوقع - رغم اختلاف الضوابط والقيم التي تحكم هاته الأنشطة ...

ونبقى دائماً مع « الملاحظة » الأولى نفسها ، حيث يتوسطها تعبير على هذا الشكل « وهو عندما بحث في الكتاب (يقصد منهج الفن الإسلامي) لم يستطع أن يبحث في غير مجال الأدب ، فلو كانت التسمية منهج الأدب الإسلامي لكان أحسن » .

فأول ما يعنيه مثل هذا الكلام ، أن « محمد قطب » عندما فكَّر في إنتاج كتابه « منهج الفن الإسلامي » ، كان مبالغاً في تفكيره ! فأدى به ذلك إلى الاصطدام بواقع مُرٍّ ، وهو يؤلف كتابه ، فاستصعب الخوض في غمار موضوع الفن ، فوقف عاجزاً ، ثم أحلَّ الأدب محلَّ الفن كخلاص للورطة التي وقع فيها !!

وهذا ما لا نلمسه قط في كتابه الذي يعدّ - بحق - حقيقةً تفصل بيننا في مسألة كهاته .

وبعبارة أخرى ، فإن هذا الكلام يعني أن العنوان يعرض مسألة يتطرق إليها الكاتب في مؤلَّفه ؛ وبذلك أصبح العنوان يعني شيئاً ، ومضمون الكتاب يعني شيئاً آخر !!

إلَّا أن حقيقة الأمر أثبتت أنه لا تعارض ولا انفصام بين فحوى الكتاب ومضمونه وبين المقصود من عنوانه .

فعلاً ، إن عنوان الكتاب يطرح موضوعاً للبحث ، فكان موضوعه منهجاً مقترحاً لدراسة الفن الإسلامي ، بل للتعريف به وتبيان ملامحه وتأسيس مقاييسه النقدية .. فإذا كان الأمر كذلك ؛ فهل استوفى الكتاب ما اشترطه بل ما أقرَّه عنوانه ؟

أجل ، إن من قرأ كتاب « منهج الفن الإسلامي » من زاوية تفرض التمعن والتبصر في القراءة والفهم ، وجد تطابقاً وانسجاماً بين نافذة الكتاب وبهوه . إذ دار الحديث منذ المقدمة حَوْلَ الفن الإسلامي برُمَّةِ مفاهيمه الإسلامية . فكان الحديث شاملاً وغير مقتصر على نوع ما من الفنون .

نقرِّر هذا لأن الكتاب يعكس منهجاً صريحاً مستمداً من التصور الإسلامي ، فأراد صاحب المنهج أن يُطبِّقه على أشكال الفنون الإسلامية جميعها بما ضمَّت رُقعتها ومساحتها ، فتنتج عن ذلك وحدة في التصور الذي يُعَدّ مصدراً أكبر ورصيداً أشمل لهذا الفن ، ثم وحدة في المنهج المستخرج من هذا التصور نفسه ليطبق على أرضية الفن الإسلامي بأكمله . وبذلك لم يكن موضوع الكتاب حديثاً عن أنواع الفنون الإسلامية كل منها على حدة ، وإنما كان موضوعه طرح منهج يخدم هاته الفنون برمتها ؛ فكيف نغفل هاته اللفتة إن كنَّا قرأنا هذا الكتاب ، وقد تنبَّه صاحبه « محمد قطب » إلى هاته النقطة إذ يقول في الصفحة ٨٢ : « ومع أنه ليس من همِّي هنا القيام بهذا البحث ، وإنما هدفي الأول أن أرسم بعض الخطوط العريضة لمنهج الفن الإسلامي » .

وبذلك يفسح « محمد قطب » المجال أمام الباحثين المختصين في هذا الميدان ، أن يُدلوا بِدِلائهم لَعَلَّهم يُثْرون هاته الحديقة الفنية الغنية ، وهذا ما يوضحه كلامه في الصفحة الرابعة عشرة من الكتاب نفسه ، حيث نجد : « ان من هدف هذا البحث أن يوضح بعض سمات هذا الفن الإنساني الرفيع ، لعلَّ المسلمين - الذين لا يجدون في تراثهم الفني ما يغنيهم ، فيروحون ينتهبون نهبات متناثرة من فنون الغرب ، صالحها وفاسدها بغير تمييز - لعلَّهم أن يفيئوا إلى كنزهم الضخم الذي أهملوه ، وأن يفيئوا إلى أنفسهم حين يفيئون إلى هذا الرصيد ، فيجدوا أن في مُكْنَتهم أن يتقدموا القافلة ، لا أن يكونوا متخلفين في الطريق ينتهبون ما يتناثر من الفتات .. والله ولي التوفيق » .

أما فكرة الطابع الذي طغى على الكتاب

■ محمد قطب يرى أن الفن الإسلامي في حاجة شديدة لأن يراجع على القرآن فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن كما هو الذخيرة الموحية للحياة .

■ إذا كانت هناك بواعث تمنعنا من ربط الفن بالإسلام فلا نتحدث عن فن إسلامي فإن هاته البواعث نفسها تحول بيننا وبين ما نسميه بالبنك الإسلامي بدعوى أن البنك هو الآخر كلمة تتسع لتشمل طرائق وأهدافاً لا تتماشى وما جاء به الإسلام من تعاليم سامية .

وهو ـ الطابع الأدبي حسب رأي « الناقد » ـ فإن ذلك يسير وفق الغرض الذي يتوخاه محمد قطب من مؤلفه . فإذا كان الغرض الأسمى من الكتاب هو تسليط الأضواء على الفن الإسلامي ، بل على مناهجه ، فإن طبيعة هذا الغرض تجعل من وحدة المجال والأنموذج ضرورة لا يجب تجاوزها لا سيما أن الكتاب هو « فاتحة الأدب الإسلامي » بل أقول : فاتحة الفن الإسلامي .. وهي ضرورة تحول دون الوقوع في الخلط والغموض والتعقيد في المنهج .

ثم إنّ موضوع الفن الإسلامي الواسع ، ومصادر هذا الموضوع ، وأبعاده وبالتالي مناهجه ، كلها عناصر تشكل قاسماً مشتركاً بين ألوان الفن الإسلامي جميعها .. فإذا كان التصور في الفن الإسلامي موحَّداً ، والغرض موحداً والأرضية التي يعلوها هذا الفن هي الأخرى موحدة ومشتركة ، فإن ذلك كله يستوجب وحدةً في المنهج . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الطابع الذي طغى على الكتاب ـ منطقياً ـ لا يطرح أي إشكال ، ما دام الكتاب قد تناول « المنهج الفني » موضوعاً له ؛ لا سيما أن هذا المنهج موحدٌ بين سائر الفنون الإسلامية الأخرى ، وأن الأدب أحد هاته الفنون المختلفة .

وأعتقد أنه لا يسعنا الآن إلَّا الاكتفاء بما قيل ، والانتقال إلى الملاحظة الثانية « أن الكتاب أخذ طابعاً دينياً أكثر من أخذه طابعاً أدبياً » [الأمة ، العدد ٤٨ ، ص : ٧٠] .

فهذا التعبير ، خصوصاً في جزئه الأخير ، يريد فرض الطابع الأدبي على الكتاب ، وهو بذلك يحاول نفي الطابع والصبغة الفنية التي تَعُمُّه ، ونحن لا نريد العودة إلى الحديث نفسه ثانية . فقد سبق أن أدلينا برأينا في هاته النقطة ، وما يهمني في ثانية الملاحظتين ، ما سُمي بالطابع الديني .

فما المقصود إذن من « الطابع الديني » ؟

- هل المقصود هو الرصيد الإسلامي الذي انطلق منه محمد قطب ، وهو التصور الذي يوجه الفن الإسلامي نحو الآفاق والأعالي المرسومة له ؟
- أم أن ذلك يعني الاقتباس من القرآن الكريم في فصل « القرآن والفن الإسلامي » ؟
- أم أنها ملاحظة تخص فصل « حقيقة العقيدة في التصور الإسلامي » ؟

على أي حال فهي حالات ثلاث أو اقرب .

● أما في الحالة الأولى ، إذا كان الأمر كذلك ، فإنه من أسباب سلامة الفن الإسلامي واستقامته ، باعتبار هذه الذخيرة بمثابة السكة الفولاذية التي تمر عليها قاطرات الفن الإسلامي ، تلك السكة التي تضمن السير المتصاعد للفن الإسلامي ، والطموح إلى السمو والارتفاع . لا سيما أن التصور الإسلامي خير موجه لهذا الفن ، لأنه تصور رباني جامع لأسرار وجود كل المخلوقات ، ومنها الإنسان .. وهو التصور الوحيد الذي يجيد توجيه الفنان وفنه نحو المراتب المشرفة الراقية .

● أما في الحالة الثانية ـ إذا كان المقصود هو عرض الآيات القرآنية ـ التي جيء بها لتبيان المقاصد البعيدة التي يهدف إليها الفن الإسلامي من تحديد المجالات ، واتباع الطرائق ، وبلوغ الأغراض ـ إذا كان ذلك هو المقصود بالطابع الديني ـ فإن الحديث يطول ولا ينتهي . إلَّا أننا نحصره في حيز ضيق جداً ، فنقول : إن المراد من ذلك الاقتباس ، هو الخروج بالقارىء من المجال النظري إلى الميدان التطبيقي ، وهو في الوقت نفسه ـ أي الاقتباس ـ دراسة منهجية لبعض الطرق الفنية المستنبطة من القرآن الكريم ، وهي بعد ذلك دراسة توضح كيف أن اللفظ القرآني له معانٍ تمتاز بجمالية الدقة في التعبير السلس الذي يطرق مكنونات الأغراض التي يرمي إليها ، ويسكن جوهرها وأعماقها « والقرآن في ذاته كتاب جميل ممتع ، لا ينتهي منه قارئه حتى يحبّ أن يعود إليه من جديد ، ومن ثم كان اللقاء متجدداً في داخل النفس وفي صفحة الكون لا يَنْفَدُ ، ولا يُسْأم ، ولا يزول » .. [منهج التربية الإسلامية ، فصل تربية الروح] .

ولذلك قال محمد قطب : « الفن الإسلامي في حاجة شديدة لأن يراجع على القرآن ! فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن كما هو الذخيرة الموحية للحياة ! » [منهج الفن : ٢٠١] .

● وفي الحالة الثالثة ، إذا كانت الملاحظة تخص فصلاً بعينه مثل « حقيقة العقيدة في التصور الإسلامي » ، فإنها تسقط في التبعيض والجزئية ، وبذلك يتقيد « أثرها » ـ إن كان لها أثر ـ بالحيز الذي قصدته ؛ وهي بذلك لا تحظى بصبغة الكلية المطبَّقة على الكتاب بأكمله !

بل حتى في الإطار المحدد في فصل من الفصول ، فإن هاته الملاحظة تلاحقها وتطاولها سمة الخسف ، لأنها احتمت بفكرة الفصل بين الدين ـ وهو الإسلام في مقامنا هذا ـ وبين الفن . وهو فصل لا يسمح به التصور الإسلامي الصحيح نفسه ؛ وهو الذي يعرض نماذج فنية رائعة . أضف إلى ذلك ، أن فصلاً كهذا ، حتى وإن تحدث عن مفهوم العقيدة في الإسلام وحقيقتها ، متحدثاً في الوقت نفسه عن تاريخ الاضطرابات الكنسية في أوروبا ، والنتائج التي تمخضت عن ذلك ، فإن هذا كله ، من شأنه أن يُبرز حقيقة العقيدة التي على الفن أن ينصهر فيها ، ويصطبغ بصبغتها وحقائقها ، كما أنه من شأنه كذلك ، التحذير من اتباع الكثير من السبل المستوردة من الغرب ، وهي في أصلها عبارة عن إفرازات لذلك التطاحن والاضطراب الذي شهدته الكنيسة الأوروبية ، والذي كان مبنياً على أسس وهمية ، عمادها التضليل والتشويه والتحريف لكل الحقائق والقيم ..

فلأجل فن إسلامي صرف ، كان لا بد من ولوج هذا الباب ـ باب التذكير واستلهام التاريخ ـ لا سيما وأن الكثير من العطاءات الفنية باختلاف أنواعها ـ في الوسط العربي الإسلامي ـ لا تزال حتى الآن متَّكئة على أريكة أوروبية الصنع والمصير ، وهي أريكة لم يعلم الكثير منها سوى مظهرها الخارجي ، أما جوهرها وحقيقة لُبِّها ومكنونها ، فذلك ما لم تهتم به العقول العربية « المبدعة » ، وهي بذلك ـ أي العقول ـ إما جاهلة وإما متجاهلة !

أجل إنه لا مناص من الرجوع بين الفينة والأخرى إلى عكس حقائق التاريخ الأوروبي على صفحات الكتب الإسلامية باعتباره تاريخاً شهد تبدلات وتغيرات ، قد تكون جذرية كما قد تكون فرعية ؛ لكنه تغير طرا في كثير من المجالات والميادين . ولم يكن أساسه البحث عن رقي البشرية بالطرق المشروعة والمعقولة ، بقدر ما كان تغييراً يخدم حقبة قصيرة من الزمن ، وبالتالي يخدم مصالح الهيئات والجماعات البارزة في كل حقبة زمنية معينة . ولذلك فإن التغيير نفسه لم يستقر على حالٍ أو شاكلة واحدة ، وإنما كان في غالبه تغييراً غير معقول يُنْبِىء بتغيير قريب هو الآخر غير معقول ! وهكذا دواليك ..

ونظراً لكل هذا ، فإن عملية استقاء اية مادة ، وإدراجها ضمن الطابع العربي الإسلامي دون القيام بسكبها في القالب الإسلامي ، غالباً ما تكون لها انعكاسات سلبية طاغية على الجانب الإيجابي ، رغم كل ترويج وإشهار يخدم عملية الاستقاء والاستيراد هاته ، ولا يخدم الميدان الذي من أجله استُقيت تلك المادة !

هذا رأيي ؛ والعلم والكمال صفتان لله وحده ، لا ينازعه فيهما ولا في غيرهما من الصفات منازع .

ندوات ومؤتمرات

نظرات في مناهج علماء الحديث وكتبهم

■■ النهج : الطريق .. والمنهجية : الطريقة .. وطريق لها بداية ونهاية ولها حدود وضوابط .. وهي غير العشوائية التي ليس لها شيء من ذلك .. وإذا كان الغربيون في هذه الأيام يدَّعون انهم أرسَوْا أسس المنهجية العلمية ، فإن المنهجية التي رسمها علماء الحديث شاهدة على أنها هي المنهجية الحقة ..

وذلك لأنها ـ كما وصفها الدكتور همَّام عبد الرحيم سعيد ـ « منهجية قرآنية بالدرجة الأولى » ■■

وفي محاضرته : [**نظرات في مناهج علماء الحديث وكتبهم**] التي ألقاها مؤخراً بالدوحة في إطار الموسم الثقافي الإسلامي السابع الذي تنظمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، يقول الدكتور همام :

[... **وكما استمدت السنة الشريفة حجيتها من القرآن الكريم .. وبينما يكثر الكلام عن منهجية علماء الحديث ، فإنَّ الكلام يقل عن عقد الصلة بين هذه المنهجية وبين القرآن الكريم**] .

ويرفض **الدكتور همام** الرأي القائل بأن منهجية علماء الحديث كانت نتيجة عبقريتهم . ويقول :

[**إنَّ منهجية علماء الحديث لم تكن نتيجة عبقريتهم بالدرجة الأولى وإنما كانت بفضل التربية القرآنية وبفضل التربية النبوية التي تلقاها أصحاب رسول الله ﷺ من وحي السماء ومن فم رسول الله ﷺ .. من هنا بدات المنهجية**] ..

[فالقرآن الكريم أول كتاب عرفه الإنسان ، يقرر مناهج الحياة .. ومن مناهج الحياة يقرر منهج الرواية القائمة على التثبت في الأخبار والأخذ عن العُدُول الأخيار . فكان يطالب صاحب كل قول بدليله وبرهانه : **﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** (البقرة : ١١١) ﴾] .

الدكتور : همَّام عبد الرحيم سعيد

- متخصص في الحديث .. وفي علم « العِلل » بشكل اخص ..
- نال درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٧ من الأزهر وكانت عن تحقيق كتاب « العلل » لابن رجب .. وقد قدم دراسة على هذا الكتاب المحقق في كتاب آخر اسماه « العلل في الحديث » ..
- يعمل الآن استاذاً مساعداً ورئيساً لقسم الحديث بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية .
- صدر له مؤخراً كتاب « قواعد الدعوة إلى الله » ، ضمَّنه خلاصة تجربته في ميدان العمل الإسلامي ..

بدايات المنهج

وعن بدايات المنهج ، يقول **الدكتور همام** :

[.. **لقد بدأ المنهج عمله بعد وفاة الرسول ﷺ .. فالصحابة يريدون الحديث ويريدون السنّة ... وذلك لأنهم فهموا أنَّ السنة هي الحياة وأنّه لا حياة خارج السنّة ... وكما بدأ ابو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن من الرقاع واللخاف وصدور الرجال ، وفق ضوابط منهجية ما عُرف لها مثيل في تاريخ الوثائق التي لم يغن تواترها واشتهارها عن توثيقها في الكتاب الجامع (المصحف) ، فقد عُني الصدر الأول بالسنّة ، لا برسم منهجية لجمعها مجرد جمع ولكن برسم منهجية لروايتها وتمحيصها**] ..

مناهج الأمم السابقة

ويعقد المحاضر مقارنة سريعة بين مناهج الأمم السابقة ومنهج المسلمين بشكل عام في

النظر إلى روايات الأخبار .. فيقول :

[**والمعروف في رواية الأخبار ، أنَّ من ينظر إلى حادثة أو يستمع إلى قصة فإنه يأخذها بمستويات متفاوتة من الإدراك ، فبعض التفاصيل تكون يقينية في إدراكه ، حيَّة شاخصة .. وبعض التفاصيل تأخذ رتبة أقل من رتب العلم .. وبعضها ينزل في الرتبة إلى درجة يقول معها الراوي : أشك أنَّه حدث كذا أو كذا .. وبعضها يدخل في دائرة التوهم أو الخيال** .. وقد أُصيب أتباع النبوات السابقة بأخذ هذه الشرائح كلها من يقينيِّها إلى خياليِّها ، **وكان المنهج عندهم يقوم على أنَّ كل ما يُنسب إلى العظيم عظيم ، سواء أكان يقينياً أو توهماً أو شكاً أو خيالياً ... وهذا في ظني من أبرز أسباب انتشار الخرافة والأساطير التي ملأت الكتب التي تُوصف اليوم بأنها مقدسة ..**

ومثل هذا لم يحدث عندنا معشر المسلمين ، لأن المنهجية النقدية التاريخية كانت تربية تربى عليها الصحابة الكرام ومارسوها منذ الأيام الأولى للرواية ، فنظروا للرواية بعين الحذر واليقظة .. وهكذا ، لم يكن كل ما ينسب إلى العظيم عظيماً بل العظيم ما كان حقاً .. ولا يُنسب إلى العظيم إلَّا الحق] ..

الخطأ والكذب سواء من حيث النتيجة

ويقول عن منهج الصدر الأول :

[**وقد بدأ الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء بمطالبة الرواة من الصحابة بالتدليل على صدق رواياتهم أو بالتدليل على أنهم أصابوا فيما رووا** .. فالمرء قد يُؤتىٰ من الكذب وقد يؤتىٰ من عدم الدقّة .. والصدر الأول كان بعيداً عن الكذب والتضليل .. كان على فطرة صالحة وعلى خلق قويم . ولكن لا يمكن أن يكون الإنسان بعيداً عن إمكان الخطأ والوقوع في الوهم والتوهم ، ومن أجل ذلك بدأ الصحابة يفتحون عيونهم على مسألة الوهم والتوهم والخطأ في الرواية والنقل ..

فالخطأ في الرواية والكذب فيها سواء في النتيجة .. كلاهما يصل إلى تغيير الحقيقة .. ولذلك عامل الصحابة الخطأ كما يعاملون الكذب في محاربته .. **بل كان الصحابة يطلقون كلمة : « كذب » على كلمة : « أخطأ »**] ...

قواعد الحكم على الرواية

[وقد طبق الصحابة على الرواية القواعد التالية :

أولاً : تقديم الشك على اليقين .. فالأصل أن الشيء لم يكن ، والمطلوب أن أثبت أنه كان ..

ثانياً : تقديم التهمة بالتوهم أو النسيان على البراءة منهما .. فإذا كانت القاعدة الشرعية في الحقوق تقول : الأصل البراءة ، ففي الحديث ، الأصل : عدم البراءة] ..

تردد الصحابة في الرواية عن رسول الله ﷺ

ويلاحظ **الدكتور همَّام** أنَّ هذه القواعد التي كانت تحكم الرواية جعلت الصحابة يترددون كثيراً في التحدث عن رسول الله ﷺ .. فالصحابي لا يقدم على الرواية ما لم يكن متأكداً أنّ هنالك من يدعمها بشهادته ويقويها بروايته .. ويلاحظ أيضاً أنَّ هذا التردد في الرواية لم يفوِّت على الأمة بعض حديث رسول الله ﷺ .. ويقول :

[**لقد أدركت الأمة أن فوات بعض الشيء أولى من دخول شيء في دين الله ليس منه .. وقد كان الصحابي ينظر إلى الحديث نظرة داخلية تكشف له إن كان الحديث يتفق مع أصول الإسلام العامة أو لا يتفق .. كما أتيحت للحديث ، في عهد الرواية الأوَّل ، منهجية نقدية في الشكل والمضمون أو في السند والمتن . وأُتيح له صحابة عدول علماء من أصحاب البيان وفرسانه**] .

الردّ على شُبه المستشرقين

وينفي **الدكتور همَّام** ما يغلب على ظن بعض طلبة العلم من أن المنهج جاء متأخراً عن الرواية ، ويقول :

[إن بيان هذا المنهج يفسر كيف تجاوزت السنَّة الشريفة مرحلة الخطر في أوقات الفتن وتحكُّم الأهواء ..

فالمستشرقون يزعمون أن الإسناد بدأ بعد عهد الفتنة ليصلوا إلى نتيجة خلاصتها : أنَّ الأحاديث لم تُضبط رواياتها بمناهج إلَّا بعد مضي قرن من الزمان على وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ..

وقد انسابت بذور الريب والشك التي زرعها المستشرقون وتلامذتهم في نفوس بعض المسلمين ، علماً بأن الفتنة المبكرة كانت سبباً في تأكيد منهجية السنَّة ، ولذلك أقول :

لقد كانت الفتنة نعمة من بعض الوجوه ، لا سيما إنها وقعت في الأيام الأولى وفي ظل جيل الصحابة] ..

علم العلل

ولم يكتف علماء الحديث بالنظر إلى الراوي فيما إذا عدلاً ضابطاً أم كذَّاباً وضَّاعاً أم كثير الوهم والنسيان وإنما توجَّهوا إلى الثقة يتابعونه في كل حالاته .. وقد نشأ عن ذلك ما يسمىٰ بعلم العلل في الحديث ، **أي العلم الذي يتابع أحوال الثقات وهو ما يبرز ـ كما يقول الدكتور همَّام ـ منهجية علم الحديث** ..

وقد بلغ من متابعة علماء الحديث للثقات أنّهم تابعوا أمزجتهم وخصالهم الخاصة وأوضاعهم النفسية ... وتابعوا روايات الناس عنهم والكَتَبة الذين كانوا يكتبون لهم والمملين الذين كانوا يملون على النَّاس كلامهم ... إلى غير ذلك من الدراسات الواسعة النقدية] ..

مناهج كتابة الحديث

ولم يقف علماء الحديث عند هذا الحدِّ بل تابعوا عملية كتابة الحديث ومنهجها .. وأفردوا لذلك دراسات وأبحاثاً ...

[.. لقد تدخل علماء الحديث في كيفية الكتابة .. وفي السطر ، كيف يكون ؟ .. وفي الصفحة ، كم سطراً تحتوي ؟.. وفي طريقة الكتابة ، معلقة أو غير معلقة ؟ .. وكيف تنتهي الأسطر عند حدٍ معين ؟ وكيف يُختم الكتاب بخاتم ؟ وأين يضعه صاحبه بعد أن يفرغ من كتابته ؟] .

صناعة الحبر

[وتعرض علماء الحديث أيضاً لصناعة الحبر ولصناعة الأقلام وأودعوا ذلك في كتبهم ، حتى

ندوات ومؤتمرات

نظرات في مناهج علماء الحديث وكتبهم

يزوِّدوا طالب الحديث بجميع الوسائل كي يعلموه صناعة الحبر الجيِّد الذي يكتب به حديث **رسول الله ﷺ**] ..

عمالقة الفكر الإنساني

وتحدث **الدكتور همَّام**، في شيء من التفصيل، عن مناهج علمائنا الكبار (**البخاري**، **ومسلم**، **وأبي داود**، **والنسائي**، **وابن حبان**) مشيراً إلى أن الأوان قد آن لإبرازهم كعمالقة للفكر الإنساني كله ..

وقال عن **الإمام البخاري** رحمه الله :

[يكفي أن نعلم أن الإمام البخاري اختار كتابه من بين ستمائة ألف حديث .. وأن له كتاباً ما يزال مخطوطاً في طشقند وهو « **مسند الإمام البخاري** » يحتوي على مائة ألف حديث .. وأنَّه قبل أن يبدأ بتصنيف كتابٍ في السنة، بإشارة من أستاذه « **إسحاق بن راهويه** »، عمد إلى طريقة منهجية عجيبة إذ بدأ بدراسة الطرق منذ **رسول الله ﷺ** إلى زمنه ... ودرس حلقات الرواية منذ زمن **النبي عليه الصلاة والسلام** إلى زمنه .. وحرر الأسانيد كالذي يمد الخطوط بينه وبين **رسول الله ﷺ**] ..

لقد اختار **الإمام البخاري** من بين الستمائة الف حديث أربعة آلاف حديث فقط، من غير المكرر .. وهذه الأربعة آلاف ترجع إلى ألفين وستمائة وحديثين، وذلك لأن **الإمام البخاري** كان من عادته أن يقسم الحديث أقساماً فيجعل في كل باب شطراً منه .. وهذه عناية فقهية بحديث **رسول الله ﷺ** جعلت **الإمام البخاري** يضع الحديث الواحد أحياناً في سبعة عشر موضعاً، أي أنه يفيد سبعة عشر حكماً] .

تمايز المناهج

وقبل أن يعرض لمنهج **الإمام مسلم** رحمه الله، أشار المحاضر إلى أنَّ من الملاحظات التي تذكر لعصر التأليف والتصنيف أن كل واحد من علمائنا كان يتميز بمنهجه ولا يقلد فيه .. يختار لنفسه منهجاً وطريقة معينة يخدم بها السنّة .. **فمسلم وأبو داود والترمذي** من تلاميذ **البخاري** إلَّا أن منهج كل منهم يختلف عن منهج الآخر ..

ومن أبرز ما يتميز به منهج **الإمام مسلم** أنه :

[**لم يعتمد على الرواية المفردة وإنما اعتمد على الروايات المجموعة**] .

ويضيف **الدكتور همَّام** في حديثه عن **الإمام مسلم** ومنهجه :

[.. اختار **الإمام مسلم** من الأحاديث الصحاح، ولكنها أقل في مجموعها من الأحاديث التي اختارها الإمام البخاري فعوَّض هذا بالباب .. ولذلك فتح **الإمام مسلم** للمسلمين من بعده موضوع التصحيح على الباب لا التصحيح على الفرد للحديث الفرد، وهذا منهج جديد تابعه **الإمام الترمذي** بعد **الإمام مسلم** وحلَّ إشكالات كثيرة في موضوع السنَّة ..

إن منهج **الإمام مسلم** يمتاز بأمور عندما نتبينها نكاد ننسى **البخاري** حتى نرجع إليه .. **فالإمام مسلم** عندما يروي لنا حديث **جبريل عليه السلام** في أول كتاب الإيمان، يذكره من طرق متعدِّدة بينما **الإمام البخاري** يذكره من طريق أو طريقين .. وقد يصل الحال **بالإمام مسلم** أن يروي الحديث من عشرة طرق أو أكثر ..

وفلسفة **مسلم** في تنويع الرواية، علاوة على فلسفته في تأييد الحديث وتقويته، أنه يريد أن ينقل المرء إلى جوِّ النص] .

الترمذي .. أمَّة وحده

وعندما تحدث المحاضر عن **الإمام الترمذي** وصفه بأنه : [**أمَّة وحده .. طريقة ومنهجاً .. اسلوباً وتنظيماً وتصنيفاً**] .. ثم قال :

عندما بدأ **الإمام الترمذي** عمله في السنَّة وجد أن العلماء يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف .. ووجد أن الضعيف رُتب، منه رتبة عليا قريبة من الصحيح، وسبب ضعفها ليس ناشئاً عن عدم ورع أو قلة تقوىً في راويها وإنما لأنه يكتب فلا يضبط إلى غير ذلك .. ولكن، إذا أتيحت لهذا الضعيف رواية أخرىٰ ضعيفة مثله، الا يمكن أن يقوي الضعيفُ الذي هذا شأنه، ضعيفاً آخر على مثل هذا الشأن فننقذ حديثاً من أحاديث **رسول الله ﷺ** كان في طيِّ الكتمان، بعيداً عن دائرة العمل ونحن بحاجة إليه ؟

وهكذا أوجد **الإمام الترمذي** قسمة جديدة وهو ما أطلق عليه اسم « **الحسن** » .. ثم وجد أن الحسن والصحيح يدخلان في دائرة الاحتجاج، فنقل الخط الفاصل بين الصحيح والحسن إلى الخط الفاصل بين الحسن والضعيف غير المحتج به . وأصبح التقسيم عنده ثنائياً : الحسن والضعيف .. والحسن يشمل الصحيح والحسن ...

أما إذا كان الحديث في أعلىٰ الصحة فهو حسن صحيح، وأمَّا إذا كان في أدنى مراتب الاحتجاج فهو حسن] ..

الإمام أبو داود

وقال عن الإمام أبي داود :

[.. اختار **الإمام أبو داود** كتابه « **السنن** » المؤلف من أربعة آلاف وثمانمائة حديث من بين خمسمائة ألف حديث .. وأراد به مقصوداً خاصاً .. أراد أن يوقفنا على سَيْر **رسول الله ﷺ** في حياته اليومية وفي حياته الاجتماعية .. أراد أن يكون كتاب سلوك يعلِّم الناس تفاصيل السلوك اللحظي لرسول الله ﷺ] .

واختتم **الدكتور همَّام عبد الرحيم سعيد** محاضرته قائلاً :

[... **آن الأوان لأن نفتح عيوننا وأسماعنا وحواسنا ووجداننا وعقولنا على هذه المناهج العظيمة لعلماء الحديث ..**

آن الأوان لأن ننظر إلى كتبهم نظرة جديدة وأن نتعامل معها معاملة التلميذ مع الأستاذ العظيم .. وكلهم تلامذة لأعظم خلق الله محمد بن عبد الله ﷺ] ..

حضارة.. وحضارة

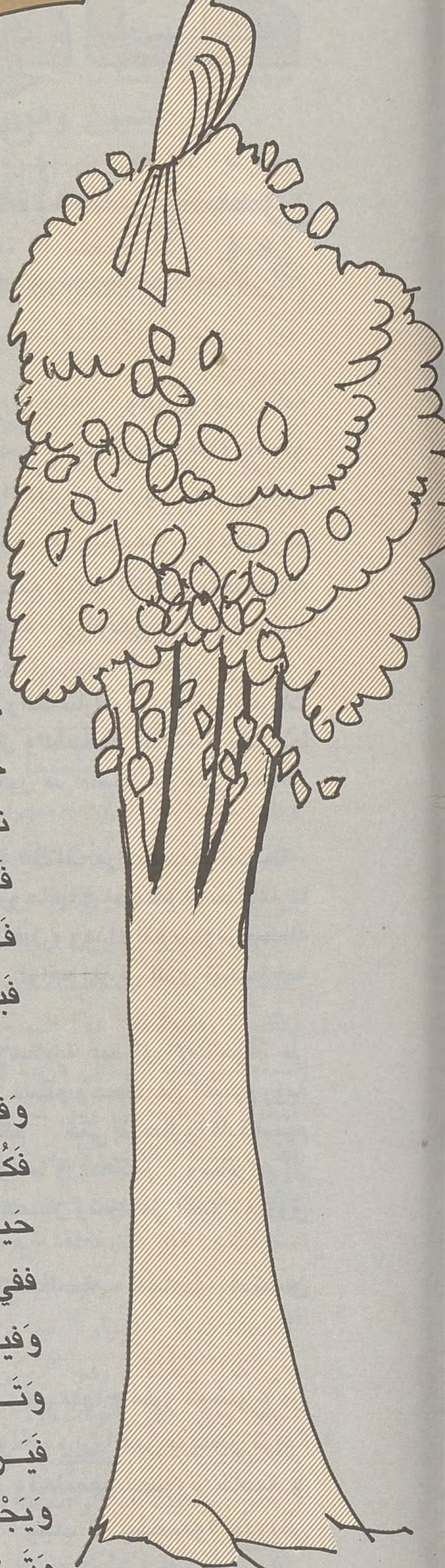

حَضارَتُهُمْ يَضِلُّ النَّاسُ فيها   بِسوقٍ كُلُّ ما يَأْتيهِ خُسْرُ
تَراهُمْ كُلَّهُمْ في كُلِّ وادٍ   ضَحايا عَضَّهُمْ في القَيْدِ أَسْرُ
يَضُمُّهُمُ وَعِلْمُهُمُ ظَلامٌ   على لَيْلٍ تَغافَلَ عَنْهُ فَجْرُ
هُمُ الأَضْرارُ إِنْ كَتَبوا وَقالوا   وَما فيهِمْ بِذُلِّ العَيْشِ حُرُّ
فَأَهْلُ الشَّرْقِ في أَغْلالِ قَسْرٍ   وَمِثْلُهُمُ أَذَلَّ الغَرْبَ قَسْرُ
وَلَوْ فَتَّشْتَ في أَعْماقِ كُلٍّ   فَإِنْكارٌ لِمَبْدَئِهِ وَكُفْرُ
وَكُلُّ سَعادَةٍ فيهِمْ قُشورٌ   وَتَحْتَ قُشُورِها لِلْبُؤْسِ بَذْرُ
فَلا يَخْدَعْكَ في يَدِهِمْ ثَراءٌ   فَخَلْفَ بَريقِ هٰذا المالِ فَقْرُ
يُعَذِّبُهُمْ بِجَنَّتِها شَقاءٌ   فَطَعْمُ الجَنَّةِ الفَيْحاءِ مُرُّ
كَأَنَّ زُهورَها شَوْكٌ تَخَفَّى   لِتَحْسَبَ أَنَّهُ في الرَّوْضِ زَهْرُ
حَضارَتُهُمْ قُصورٌ مِنْ زُجاجٍ   مَآلُ صُروحِها الحَتْمِيُّ كَسْرُ
تَراهُمْ في مَفاتِنِها حَيارىٰ   كَصُعْلوكٍ غَدا يُؤْويهِ قَصْرُ
فَجَوْعانٌ .. وَمَحْرومٌ .. غَنِيٌّ   وَظَمْآنٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ نَهْرُ
فَإِنْ قَرَّتْ لِراحَتِها جُنوبٌ   فَلا يَرْتاحُ في الخَفَقانِ صَدْرُ
فَبَعْضُ النَّاسِ يَشْفيهِ انْتِحارٌ   وَيُشْقي البَعْضَ إِدْمانٌ وَسُكْرُ

حضـــــارتنا

وَفينا مِنْ حَضارَتِنا مَلاذٌ   لَدَيْهِ لِزَوْرَقِ الحَيْرانِ بَرُّ
فَكُلُّ حَياتِنا وَالعَيْشُ فيها   لِدَرْبِ حَياتِنا الأُخْرىٰ مَمَرُّ
حَياةٌ تَنْتَهي وَحَياةُ خُلْدٍ   وَبَيْنَهُما ذِراعُ المَوْتِ جِسْرُ
فَفي الدُّنْيا وفي الأُخْرىٰ حَياةٌ   يَتِمُّ بِها علىٰ الإِحْسانِ أَجْرُ
وَفيها يُصْبِحُ الخَيْرُ امْتِداداً   يَعُودُ وَلَوْ تَقاصَرَ عَنْهُ دَهْرُ
وَتَغْرِسُهُ النُّفوسُ علىٰ رَجاءٍ   بِأَنْ يَرْتَدَّ مِمَّا فيهِ عِطْرُ
فَيَرْبِطُ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ فينا   علىٰ الأَيَّامِ إِحْسانٌ وَبِرُّ
وَيَجْري الحُبُّ في الأَعْماقِ حَتَّىٰ   يَجُودُ بِيانِعِ الأَزْهارِ صَخْرُ
وَتَرْتَفِعُ النُّفُوسُ عَنِ الدَّنايا   فَلا يَنْحَطُّ بِالإِنْسانِ وِزْرُ
وَبَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ التِقاءٌ   لِكُلٍّ مِنْهُما في الكَوْنِ دَوْرُ

شعر : محمد التهامي

الطفولـة

بين شراسة الهدامين ورحمة الإسلام

مدخل

■■ الأطفـال هم جيل الغد ورجاله .. وهم في غد الأمة قادتها في السلم والحرب ومؤدبو نشئها ومفكروها وواضعو برامجها ومنفذو أطروحاتها واختياراتها .. بجدهم ووعيهم وإيمانهم وصدقهم يرقى المجتمع ويزدهر ، وبفتورهم وتقصيرهم وتميّعهم ينهار المجتمع وتدك أركانه ويأخذ مكانه وفق السنن المتداولة في سقوط الأمم في ذيل القافلة الحضارية « إن لم يكن بالرضا والاختيار فبالقوة والجبر ... » كما يعبر العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى ...

ولأجل ما للطفولة والشباب من تأثير في مستقبل الأمم والحضارات بادرت جلّ الحركات الهدامة في العالم على اختلافها إلى السيطرة على الأطفال والشباب ، متأولة في ذلك أنها بسيطرتها تلك على هذه الكتلة الطرية من المجتمع .. تكون قد أمسكت من مكان حساس وقيادي لتلك الأمة وتلك الشعوب ..

إذ الانطباعات الأولى لا تنسى وهي المؤثرة والموجهة لمختلف مراحل حياة الناشئة ، ولهذا السبب أو ذاك نجحت تلك الحركات رغم خبث أطروحاتها في إخضاع الأمم لأفكارها وأهوائها ، وسوقها إلى المصير النكد الذي خططته لها من قبل ، وهذا واقع ملموس يحسه كل دارس حصيف لواقع المجتمعات الحاضرة ، فمثلاً : الواقع المزري الذي تتخبط فيه المجتمعات العربية والإسلامية كيف تم الإعداد له ؟

عندما خطط الغرب الماكر لإسقاط الأمة العربية والإسلامية عمد إلى الاستحواذ على شبابها فغرس فيهم أفكاره الهدامة : ميَّعهم ونفَّرهم من دينهم وحجب عن أعينهم رؤية السماء ، ودربهم على شتى أنواع الاستبداد والبغي والظلم ... حتى إذا صاروا قادة أممهم وروّاد قومهم من ساسة ومفكرين وأدباء وفنانين أفرغوا ما في أمعائهم .. وساقوهم إلى ما ترى اليوم من انحلال منيت العلاقات الأسرية به ، وعصيان وتمرد على القيم ، ومروق عن الدين ..

وسنعرض فيما يلي بعض بنود هذه الحركات ـ الشيطانية ـ الخاصة باحتضان وافتراس الطفولة : ■■

الماسـونية ... والأطفـــال

تقول الماسونية ـ وهي حركة صهيونية سرية عالمية ، من أخطر وأمكر الحركات الهدامة في العالم ـ في أحد بنودها :

« إن حرية الآباء ـ أي في تربية أبنائهم ـ لا تتفق مع مصالحنا وغاياتنا أبداً ... لذا يجب تربية الأطفال وفق منهاج مقرر موضوع من قبل الدولة ، وإن الذين يريدون تربية أطفالهم وتعليمهم بصورة خاصة في البيوت : يجب أن يخضعوا لتدريس المعلمين الذين تعيِّنهم الدولة .. »[1] .

والدولة هنا ـ كما يجب أن نفهم ـ هي من وضع الماسونية تنفذ تعاليمها وأوامرها التي تستقطب هدم الدين أساساً وتقويض الأخلاق والقيم ، وجاء

كلمـــة

الســــؤال ؟

□□ إن الملاحظة الواضحة بشدة هذه الأيام ، ان نسبة الجريمة تزداد يوماً بعد يوم بشكل مخيف في معظم مجتمعات المسلمين ، وان اشكال الانحراف ـ خاصة بين الشباب ـ اخذت صوراً حادة ، سقطت معها ابسط القيم الإنسانية .. والغريب في الامر ان بعض الذين يتناولون هذه الظاهرة بالوصف والتحليل هم من المسؤولين عن نشوئها وتصاعدها ، ولو بطريق غير مباشر ـ فهم يحتلون منذ زمن مراكز التوجيه والتربية في هذه المجتمعات ويهيمنون على وسائل التاثير بها ، ويصنعون لها البرامج : ومن ثم فإن هذا الذي يحدث اليوم هو بعض ثمار غرسهم ، وبالتالي فإن ما يرونه من علاج يأتي في غير موضعه وقد يزيد من شدة المرض .. والحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها هي ان مجتمعات المسلمين باتت تعاني من وطأة التيارات التي يستوردها هؤلاء ويحرسونها ويروجونها ، بينما يعاني الناس من مشكلات اقتصادية واجتماعية لا تعد ولا تحصى ..

اما التحليل الواقعي والموضوعي للقضية فهو انه في غياب التربية الإسلامية السليمة والحلول المنهجية للمشكلات ، وفي حالة الضعف التي تصيب نظام الاسرة وتهدم الركائز النظرية التي تقوم عليها : من عواطف الأمومة والأبوة والبنوة والإخاء والرحم ووشائج المودة والحب ..

إن السؤال الذي سبق ان طرحه علماء الإنثروبولوجيا إثر موجات الانحلال التي تجتاح المجتمعات في الغرب :

هل لم يعد للأسرة وظيفة ؟؟

إن هذا السؤال هو ما نخشى ان نطرحه في يوم من الايام على انفسنا . □□

في بند آخر :

« **إن السيطرة على الشبيبة من أولى غاياتنا وأهدافنا**[٢] .. » ، وتقول في موضع ثالث أيضاً :

« **دعوا الشيوخ والكهول جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال ... إن الانطباعات الأولى لا تنسى ، وعليه يجب أن تبنى هذه الانطباعات على أساس أفكارنا ، ولابد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين**[٣] .. » .

نعم !! هكذا بكل خبث وجرأة وتبجح تحرض الماسونية الكافرة أنصارها وجنودها على الاستحواذ على الأجيال الطرية ، والتي ما تزال على صفائها وفطرتها .. وحشرها في اصطبل الماسونية العفنة ، حتى يكون أول ما ينطبع في ذهن الطفل الضحية - والذي لا يميز بعد بين الطيب والقبيح - أفكارها المسمومة ... فيشب وينمو بعيداً عن الدين ، متمرداً على كل خلق سليم ، رافضاً لكل القيم .

فيأخذ بتحدي تعاليم دينه وكسر أواصر الأسرة والبروز في مظهر المائع الماجن المتهور .. لا يعبأ بمثل ولا يحترم تقاليد ، وطبعاً فإن هذا السلوك العابث سينعكس عليه إن كان مربياً في غده أو مفكراً أو زعيماً ... ومن ثم يتولى - في إطار وظيفته - الدعوة إلى قناعاته وأفكاره التي يحملها وتربى عليها وحققها في سلوكياته : فإن كان معلماً ميَّع تلاميذه ، ودس في دروسهم سموم الفسق وتعاليم التفسخ ، ووزع أدوار البلبلة والتمرد .. وإن كان زعيماً - وهو الأنكى - ساق شعبه وفق الهوى والشهوة إلى الظلم والاستبداد والاستعباد والذبح والفقر ... حيث الذلة والتبعية والانهزام الحضاري ..

الشيوعية ... والأطفال ..

إن الشيوعيين الكفرة يرفضون بكل مكر ودهاء نمط العائلة المتعارف عليه بين الناس من قديم ... كذلك هم يسعون بكل جدّ وحزم إلى تفتيت وتذويب المشاعر والعلاقات الرابطة والمؤلفة بين الوالد وأبنائه ، مع شديد حرصهم على هدم مقومات الأسرة وزرع كل ما هو آثم ودنيء بين الذكر والأنثى .

وقد جاء في أبجدية الشيوعية لماركس :

« **حين يقول الوالدان هذا ابني وتلك ابنتي لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة أبوية فحسب ، بل توحي بأن للأبوين حقاً في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون ، والاشتراكية تأبى الإقرار بهذا الحق للآباء ؛ لأن الفرد ليس ملك نفسه ولكنه ملك للجماعة ، بل هو ملك للبشرية كلها ... ولهذا يجب أن ينتمي الطفل للمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه والذي جاء إلى الحياة بفضله**[٤] ... » .

وكلام ماركس الكافر في سلخ الأولاد عن التأثير المادي والأدبي للبيت ، وتمكين الدولة من مد رواقها عليهم هو جزء من فكرته المطلقة في فرض الشيوعية على الحاضر والمستقبل وتذليل كل عائق أمام هذا الهدف[٥] .

والاستعمار !!...

إن الملاحظ المنصف لجل البلاد العربية الإسلامية التي عشعش فيها الاستعمار الغربي ردحاً من الزمن .. يرى بعين اليقين أن جملة ما في هذه الأقطار من مدارس ؛ وخاصة الابتدائية منها .. إنما تكلّف ببنائها المستعمرون الماكرون .. لماذا ؟ أهو الإحسان ؟ أهي النوايا الطيبة ؟ كلا .. إنما فعل ذلك حتى يتسنى له الإشراف على أخطر جهاز اجتماعي وأشدها تأثيراً وحساسية ، ألا وهو الجهاز التربوي ، ومن ذلك تولّى تربية وتخريج أجيال - ضحاياه - وفق برامجه واختياراته وأفكاره حتى أفرزت هذه الخطة التربوية نشءاً مغترباً منبتاً عن أصالته ، لا يحمل في دماغه إلا ما سكبته فيه تلك المدارس من إهمال للإسلام ، وانفلات من التقاليد ، ونبذ لمقومات شخصيته العربية الإسلامية ، فكان - للأسف - جيلاً مذبذباً : **عربي الصورة إسلامي النسب .. غربي الفكر والاتجاه** .

الطفل في الغرب التائه !!

لقد ضاع الطفل بحق في الغرب المغتر بماديته ، التائه في حضارته . فقد تحول إلى بطل في الإجرام ، وإلى محترف مائع في الانحرافات الجنسية الخسيسة ، وبلغ في العقوق أقصى الحدود ؛ حتى مجَّه المجتمع ووصلت موضة التيه برجال الحضارة العليلة إلى تعذيب الأحداث ؛ وفتح سوق لبيع الأطفال في إيطاليا بؤرة الإرهاب الأحمر ... ولا غرابة فالقوم قد استعبدهم الدولار ، ولم تعد أنفسهم تتحمل تبعة وأمانة الكفالة والحضانة .. ومآسي الطفولة في هذا الغرب المتحضر كثيرة وانتكاسات الشباب هناك مفزعة وسنعرض ما تمكنا من الحصول عليه في السياق .

- شاب أوروبي يصفع أباه لأنه عارضه في أمر ما .
- في لقاء أجرته إحدى الجرائد مع شاب سويسري . قال :

« **نحن أناس ضائعون في هذا المجتمع الاصطناعي ، فكل شيء هنا مهم ما عدا الإنسان .. أنا هنا في الشارع أتظاهر لأني أريد أن أحس بأنني إنسان** »[٦] .

وفي الأول من يولية (تموز) سنة ١٩٨٠م وهو يوم العطلة الوطنية في سويسرا تظاهر الشباب في الشوارع وهم عراة ثم رموا أنفسهم في بحيرة زيورخ .

- تعرفت شرطة أطلنطا الأمريكية على جثة طفل أسود عثر عليها قرب نهر في جنوب المدينة ، وأعلنت الشرطة أنها جثة طفل يبلغ من العمر خمسة

الطفولة بين شراسة الهدامين ورحمة الإسلام

عشر عاماً كان قد اختفى ... وبذلك يرتفع عدد الأطفال السود الذين اغتيلوا في ظرف واحد وعشرين شهراً في مدينة أطلنطا أربعاً وعشرين طفلاً[٧] .

- في تقرير لمجلة « **باري ماتش الفرنسية** » عن تعذيب الأطفال في الغرب جاء : لقد ازدادت نسبة هؤلاء الأطفال المعذبين بنسبة ١٨٪ عن السنة الماضية ففي العام المنصرم تم تعذيب **٤٥٫٠٠٠ طفل** جسدياً وروحياً في فرنسا وحدها . **نعم ٤٥٫٠٠٠ طفل عذبوا وضربوا بل إن بعضهم قد تم تعذيبه حتى الموت** ، هذا هو الرقم الرهيب لأطفال ورضّع عذبوا لمدة طويلة ودون أن يدري أحد بذلك[٧] ، أبشع أنواع التعذيب والعقوبات الجسدية ، والعجيب أن جلاديهم كانوا المسؤولين عن رعايتهم وتربيتهم ، وهم آباؤهم أو أقرباؤهم[٨] .

الإسلام ... والطفولة ..

إذا كان الأطفال بالنسبة للماسونية وسيلة للهدم وقناة لنشر الفساد والشر ، وعند الشيوعية يعدّون من متاع المجتمع يتصرف فيهم كما يتصرف في أي معدن من معادن الأرض ، وهم عند رجال الحضارة محل نقمة وتعذيب ... فهم بالنسبة للمسلم وسيلة من جملة الوسائل التي يحاول بها جاهداً كسب رضوان الخالق عز وجل ، والفوز بنعيم جناته ومرافقة رسول الرحمة هنالك ... وتكثير عدد المسلمين ، ونصرة الدين ، ونشر الصلاح والخير في الأرض ؛ مع الحرص كل الحرص على جعلهم من أهل الصلاح والاستقامة والتقوى ، وهو أمر يتطلب جديّة في السهر على تربيتهم تربية إسلامية أصيلة ، مع غرس مبادىء الدين السمحاء في نفوس النشء والسهر الواعي الحازم على حمايتهم من أي انحراف إلى بؤر الفساد والضياع .. حتى يشبوا على الاستقامة المطلوبة ويكونوا خلفاً صالحاً قادراً بحق على حمل الأمانة وأدائها حق الأداء .. وحتى لا يتردى أبناؤنا إلى الحالة الأسيفة التي أصبح فيها الطفل في الغرب المائع .

وجملة دعائم هذه التربية السامية تبدو جلية واضحة في موعظة لقمان لابنه :

﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (لقمان : ١٣) إلى أن يقول :

﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ (لقمان : ١٦-١٩) .

والإسلام عندما يولي هذه العناية للأطفال إنما يرمي من وراء ذلك إلى الإصلاح الشامل الدائم ، وإقامة العدل وإفشاء الخير ، والسعي بالفرد نحو الكمال الإنساني .

والتعاليم الإسلامية الخاصة بالنشء هي خير دستور لتكوين وبناء الرجال الصالحين الذين لا يسعون في الأرض إلا بالحق والخير والعدل .

فمن هذه التعاليم الراقية أن أول ما يسمع المولود صيغة الأذان المبارك ، وما يحويه من توحيد ونداء إلى الصلاح والفلاح .. ثم هو يتدرج ويعيش في محيط تملؤه الربانية والحياء ، والصدق والأدب والوقار : لا مجال فيه للكذب والظلم والفحشاء ، وهذا طبعاً له آثاره وثماره الطيبة في تحصين المجتمع ومناعته وإصلاحه .

ووصايا رسول الرحمة والإنسانية ﷺ للطفولة كثيرة وقيمة ، ومما يحضرني منها على سبيل المثال لا الحصر :

- **أدِّبوا أولادكم على حب نبيكم وآل بيته وتلاوة القرآن .**
- **ما نحل والد من نحل أفضل من أدب حسن .**
- **يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك ... إلخ .**

فمتى يحقق المسلمون وصايا القرآن الكريم وتعاليم الرسول الأمين ﷺ في أبنائهم وأنفسهم وأهليهم كي ينتشر الحب والفلاح وتسعد الإنسانية جمعاء في ظلال هذا الدين الرباني القويم ... وبذلك نقطع على العابثين والهدامين كل سبيل يسلكونه لنشر الدمار والخراب ونضيِّع عليهم كل فرصة يقتنصونها للنيل من مقومات الإنسانية وتدنيس القيم والأخلاق .

هوامش :

(١ ، ٢ ، ٣) أسرار الماسونية : **الجنرال جواد رفعت أتلخان** .

(٤ ، ٥) **الإسلام في وجه الزحف الأحمر - الشيخ محمد الغزالي** .

(٦ ، ٧) **جريدة الصباح التونسية ، يولية (تموز) ١٩٨٠م** .

(٨) **منار الإسلام - العدد ٣ السنة ٧ ص ٥٧** .

قضية في رسالة

●● من تونس بعثت الأخت وسيلة بن قيراط برسالة تستحق المناقشة ، تعلق فيها على قلة مشاركة المرأة في استطلاع الرأي الذي أجرته المجلة في السنة الماضية ونشر عنه تعليق في كلمة الأسرة في العدد الخامس والأربعين . ذكرت في مقدمتها أن التغييرات التي حدثت في حياة الأسرة المسلمة منذ قرون تعد طفيفة ، وأكثرها سطحية وشكلية ولا بد أن لذلك أسباباً عميقة .. ثم تقول :

إن المسؤولية يتحملها المجتمع الإسلامي بأسره : المرأة والرجل معاً ، ولعل الرجل يتحمل القسط الأوفر من مسؤولية غياب المرأة عن الساحة العلمية والثقافية ، وعن موقع الفكر والعمل الواعي ، والمشاركة الإيجابية في تغيير المجتمع من حالة الجمود والركود والجهل إلى حالة الوعي والحركة الدائبة ، ولْنَرَ معاً كيف ذلك : إن عقلية الرجل : الأب أو الأخ لا تزال عقلية جاهلية في مضمونها ، وإن كانت تتخذ أشكالاً غير أشكال عقليات جهال العرب الذين يئدون بناتهم . ●●

نعم : فماذا ننتظر من نساء يحكم عليهن الرجال بوضعية شبه أميَّة ، ماذا ننتظر من امرأة حرمها والدها منذ كانت طفلة من مواصلة الدراسة بسبب أنوثتها ...

إن أعداداً ممن يلبسن الزي الإسلامي لا يفعلن ذلك إلَّا من منطلق عاطفي ، والمرأة المسلمة لا تفتقد شيئاً كافتقادها الوعي الفكري والاختيار الحر والشخصية المستقلة التي تعبر عن ذاتها دون أن تخرج على الأمة ودون أن تذوب في الرجال ، وكأنه لا وجود لها في الكون !

وإذا توفر هذا للقليلات فإن عوامل الإحباط والتيئيس كثيرة ، أقلها أن يعترض الرجل على نقد المرأة له أو معارضتها في مسألة اجتهادية لكونها امرأة وهو رجل ، ولا يمكن أبداً أن تعرف أو تفكر خيراً منه .

إننا حين نقرأ السيرة وتاريخ المسلمين الأوائل لا نأسف لعدم بروز نساء كالصحابيات في عهدنا هذا ، بقدر ما نأسف لعدم وجود رجال كالصحابة رضوان الله عليهم ..

إن الناس اليوم لا ينطلقون من الفكرة يناقشونها بغض النظر عن مصدرها ، بل هم ينظرون أولاً إلى مصدرها : فإذا كانت من رجل فمن يكون هذا الرجل ؟ ثم تقع عملية الرفض أو القبول .. أما إذا كانت من امرأة فإنه يحكم عليها مسبقاً بكونها دون المستوى .

إن الكتابات والتصريحات بإعطاء حرية المرأة - الحرية الإيجابية طبعاً - ليست إلَّا حبراً على ورق في أكثر الحالات - وأقول هذا من خلال تجربتي العملية - إن على المرأة أن تكافح ، لكن أيضاً على الرجل أن يقوم بواجبه إزاءها ، لأن المجتمع الإنساني خلية متراصة يتأثر بعضها ببعض ، وكلما طغى الرجل واستحوذ على حقوق المرأة انعكس ذلك عليها : فتذوب شخصيتها حتى نكاد لا نلمس لها وجوداً يذكر .

فمنذ البداية يتبعون خطأ عجيباً في تربية الأنثى : ما إن تكبر حتى يُعْمَدَ بالوسائل كلها إلى وأد روحها وفكرها - أثمن ما لدى الأنثى - كبديل لدفن الأجساد في الجاهلية الأولى ، وكثيراً ما نحصر التمييز العنصري في التفرقة بين البيض والسود في جنوبي أفريقيا وغيرها من بقاع الدنيا ، ونغفل عن التمييز العنصري في بيوتنا : فالبنت في البيت تحس باستمرار أنها دون أخيها مكانة وقيمة وأهمية ، ولنسأل خبيراً في علم النفس عما سيحدث لها من خلل وانهيار ويأس نفسي ينعكس على شخصيتها كلها حين يكرس هذا الأسلوب في تربيتها . أما إذا تكلمت وهي صغيرة بدافع الفطرة فقالت كلمة حق أو طالبت بشيء تريده ، فإن مصادرة حرية التعبير لديها ، تقف بالمرصاد : إذ كيف تجرؤ على الكلام وهي البنت أمام أبيها أو أخيها أو عمها أو ... ...

إننا نرى اليوم نساء مسلمات في مظهرهن ، لكنهن ذليلات منكسرات النفوس ، ولا رأي لهن ، فالتبعية للرجال ضاربة أطنابها في اعتقادهن .

لنتذكر امرأة فرعون ، لنجد البون الشاسع بين طموحها وتحديها للظلم والقهر والسيطرة على العقول والأرواح ، وبين كثيرات ممن ينتسبن للإسلام اليوم ، وكأن إسلام اليوم ليس هو إسلام امرأة فرعون !

إن الأمر يتطلب جهداً عملياً واقعياً من الرجل والمرأة ، خاصة الرجل الذي بيده تعليم البنت وتوفير جو من حرية الفكر والتعبير في البيت أولاً ، ثم في المساجد وغيرها من أماكن التربية والتكوين والتعامل مع المرأة بالتفصيل .

مع إمام النحو

ابن مالك الأندلسي

بقلم : الدكتور حسن موسى الشاعر

حياته

■■ هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني[1] . ويختصره بعضهم فيقول محمد بن مالك اكتفاء بالمشهور كما ذكر هو نفسه في مطلع ألفيّته بقوله :

قَـالَ مُحَمَّـدٌ هُـوَ ابـنُ مَـالِكِ
أحْمَدُ رَبِّي الَّـلَـهَ خَيْـرَ مَـالِكِ

وتشير أكثر الروايات إلى أن « ابن مالك » ولد في الأندلس سنة (٦٠٠هـ)[2] .

بدأ دراسته في بلده بحفظ القرآن الكريم ، ودراسة القراءات والنحو والفقه على مذهب الإمام « مالك » فأخذ العربية والقرآن بجيّان عن « ثابت بن خيار الكلاعي » من أهل « لبة »[3] . وقد ذكر « ابن مالك » لبعض تلامذته أنه قرأ « على ثابت بن خيار » من أهل بلده جيّان ، وأنه جلس في حلقات الأستاذ « أبي علي الشلوبين » نحواً من ثلاثة عشر يوماً[4] .

ثم رحل « ابن مالك » إلى المشرق في ريعان شبابه ، ويبدو أن رحلته كانت بين عام (٦٢٥هـ) وعام (٦٣٠هـ) ، وذلك بسبب الفتن والاضطرابات أولاً ، وعلى عادة أكثر علماء الأندلس حينذاك للحج والدراسة ثانياً[5] .

قدم « ابن مالك » دمشق ، وسمع بدمشق من « مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح » و « أبي الحسن السخاوي » وغيرهم[6] ، ثم توجه « ابن مالك » إلى حلب وتلقى النحو على ابن يعيش شارح المفصّل « للزمخشري » ، وعلى تلميذه « ابن عمرون » ، وأغلب الظن أنه حضر جانباً من شرح المفصل عند « ابن يعيش » .

وقد نبغ « ابن مالك » في اللغة والنحو نبوغاً عظيماً حتى صار مضرب المثل في معرفته بدقائق النحو والصرف واللغة وأشعار العرب . وقد قام بالتدريس في مدينة حلب بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان إمام المدرسة السلطانية فيها ، فأخذ يلقي بحلب دروسه في النحو ويؤلِّف ، وهناك نظم « الكافية الشعرية »[7] . ثم ارتحل إلى حماة من البلاد الشامية وأقام بها ونشر فيها علماً[8] وتابع دروسه في النحو ونظم ألفيته المشهورة ، وهي خلاصة الكافية الشافية[9] .

ثم تحول « ابن مالك » إلى دمشق حيث أقام بها يشتغل بالتدريس والتصنيف ، وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق ، وصار يضرب به المثل في معرفة دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب[10] ، وألَّف المصنفات المفيدة في فنون العربية ومن ذلك كتاب « التسهيل » الذي لم يسبق إلى مثله .

وقام بالتدريس في الجامع الأموي والمدرسة العادلية الكبرى بدمشق وقد عين إماماً لها ، وكان أكثر ما يلقيه على تلاميذه النحو ، كما كان يدرِّس القراءات . قيل كان يخرج على باب مدرسته ويقول : [هل من راغب في علم الحديث أو التفسير أو كذا أو كذا قد أخلصتها من ذمّتي . فإذا لم يُجَبْ قال : خرجت من آفة الكتمان[11]] .

ومن تلامذته الشيخ بهاء الدين بن النحاس[12] ، والشيخ الإمام النووي ، والعلم الفاروقي ، والشمس البعلي ، والزين المزّي[13] ، وكفاه شرفاً أنَّ ممنَّ أخذ عنه الإمام النووي ، ويقال : إنه عناه بقوله في الألفية :

وَرَجُـلٌ مِـنَ الكِـرامِ عِنْـدَنـا[14]

وكان « ابن مالك » إذا صلىّ بالعادلية يشيّعه قاضي القضاة « شمس الدين بن خلكان » إلى بيته تعظيماً له[15] .

توفي « ابن مالك » بدمشق ثاني عشر شعبان سنة (٦٧٢هـ) ، رحمه الله .

■ كان يخرج ابن مالك على باب مدرسته ويقول : هل من راغب في علم الحديث والتفسير أو كذا أو كذا .. قد أخلصتها من ذمتي . فإن لم يُجب قال : خرجت من آفة الكتمان . ■

منزلتـــه وأخلاقـــه

كان « ابن مالك » رحمه الله ذا عقل راجح ، حسن الأخلاق ، مهذباً ، ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للإفادة وصبر على المطالعة الكثيرة ، وكان حريصاً على العلم حتى إنه حفظ يوم موته ثمانية شواهد[16] .

وكان كثير المطالعة ، سريع المراجعة ، لا يكتب شيئاً من حفظه حتى يراجعه في محله ، وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الأثبات ، ولا يُرى إلَّا وهو يصلي أو يتلو أو يصنِّف أو يُقرىء[17] .

كان « ابن مالك » إماماً في القراءات وعللها ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيّها ، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يجارى وحبراً لا يبارى ، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه ويتعجبون من أين يأتي بها ، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه غاية[18] .

وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عَدَلَ إلى الحديث ، وإن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب[19] .

ومجمل القول إن « ابن مالك » كان أوحد وقته في علم النحو واللغة مع كثرة الديانة والصلاح .

مؤلفاتـــــه

عاش « ابن مالك » أكثر من سبعين عاماً ، قضى أكثرها في الدراسة والتعليم والتصنيف . وكان نظم الشعر عليه سهلاً رَجزُه وطويله وبسيطه[20] ، وكان مشهوراً بنظم الضوابط التي تسهّل الأمور على المتعلمين ، فأخرج كثيراً من مؤلفاته النحوية واللغوية نظماً .

ومن أشهـــر مؤلفاتـــــه :

١ - الكافية الشافيـــة : وهي منظومة طويلة تقع في نحو ثلاثة آلاف بيت من بحر الرجز ، تضم النحو والصرف ، وقد شرحها « ابن مالك » . وقد طبع الشرح في جامعة أم القرى بتحقيق الدكتور عبد المنعم هريدي .

٢ - الخلاصـــة أو الألفيـــة : وهي منظومة تقع في نحو ألف بيت من الرجز ، أودع فيها « ابن مالك » خلاصة الكافية الشافية من نحو وتصريف ، وقام بشرحها كثير من العلماء ، ومنهم الأشموني وابن هشام والمرادي وابن عقيل .

٣ - التسهيل ، أو تسهيل الفوائـــد وتكميل المقاصد : وقد قام بتحقيقه الأستاذ محمد كامل بركات وطبع في القاهرة بإشراف وزارة الثقافة ، وقد اعتنى به كثير من العلماء وشرحوه ، ومن أشهر شروحه « التذييل والتكميل » « لأبي حيان الأندلسي » في عدة مجلدات ، و « تعليق الفرائد » « للدماميني » و « المساعد » « لابن عقيل » .

٤ - وقد شرح « ابن مالك » كتاب « التسهيل » ولكنه لم يتمه ، ووصل فيه إلى باب المصادر .

٥ - شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، وقد قام بتحقيقه الدكتور « عدنان الدوري » وطبع في بغداد ١٣٩٧هـ . .

٦ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : وهو تعليقات ومناقشات قيمة لمشكلات الإعراب في صحيح الإمام البخاري . وقد حققه ونشره محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله في القاهرة عام ١٣٧٦هـ .

٧ - لاميّة الأفعـــــال : وهي منظومة لاميّة في (١١٤) بيتاً من بحر البسيط ، وقد شرحها « ابن مالك » ، وشرحها كذلك ابنه بدر الدين وغيره .

المـــــراجع

(١) التسهيل - تمهيد ص ١ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣٨١/١ .
(٢) البداية والنهاية لابن الأثير ٢٦٧/١٣ ، بغية الوعاة ١٣٠/١ .
(٣) نفح الطيب بتحقيق محمد محيي الدين ٤٢١/٢ .
(٤) نفح الطيب ٤٢٨/٢ - ٤٢٩ وفي بغية الوعاة ١٣٠/١ ثابت بن حيان بدل ثابت بن خيار .
(٥) التسهيل - تمهيد ص ٥ .
(٦) نفح الطيب ٤٢١/٢ .
(٧) دائرة معارف الشباب ص ٩٠١ .
(٨) التسهيل - تمهيد ص ٧ .
(٩) دائرة معارف الشباب ص ٩٠١ .
(١٠) نفح الطيب ٤٢٧/٢ .
(١١) حاشية الخضري على ابن عقيل ج ١ ص ٧ .
(١٢) نفح الطيب ٤٢٦/٢ .
(١٣) نفح الطيب ٤٢٨/٢ .
(١٤) حاشية الخضري ٧/١ .
(١٥) نفح الطيب ٤٢٢/٢ .
(١٦) نفح الطيب ٤٢٧/٢ .
(١٧) نفح الطيب ٤٢٨/٢ .
(١٨) بغية الوعاة ١٣٠/١ ، شواهد التوضيح والتصحيح ٢١٩ .
(١٩) نفح الطيب ٤٢٢/٢ ، بغية الوعاة ١٣٤/١ .
(٢٠) نفح الطيب ٤٢٢/٢ ، بغية الوعاة ١٣٠/١ .

بقلم : عبد الغني أحمد ناجي

تآلف القلوب..

■■ من داخل النفس البشرية تتفجر ينابيع السعادة الغامرة ، وإن كان الظاهر ظاهر الإنسان لا ينم عن شيء من السعادة .

ولا تسعد النفس إلاَّ إذا كان القلب من الصفاء والنقاء بحيث لا يزحمهما فيه غلّ موّار أو حقد دفين ، أو عداوة تغلي ، فهذه أمراض قلبية تعصر القلب عصراً ، وتطرد منه كل رضاً واطمئنان ، وإذا ذهب هذان كانت النفس تعسة شقية ■■

ولما كان الله يريد لعباده الخير والسعادة في حياتهم فقد أمرهم بكل ما يصفي القلوب من أمراضها ، والنفوس من أدوائها لترفرف أعلام السعادة الحقة على دنيا الأفراد والمجتمعات ، ويحس الجميع متعة الحياة ، فينصرفوا إلى عبادة خالق الحياة بدل الانصراف عن الله ، أو تسخير الحياة للشقاق والعداء .

ولا نودّ أن نذهب أو نحيل إلى نظريات علم النفس وتجاربه ، وإنما ندعو المسلم الحصيف أن يتحسس نفسه في حالتين : حالة صفاء وصلح مع من يعايش أو يعاشر ، وحالة عداء وخصام لبعض من في مجتمعه الصغير أو الكبير ، إنه - بلا شك - واجدٌ نفسه في الحالة الأولى وكأنها في روضة تعجب وتسعد أو تأسر وتسحر ، أزهارها الرضا والاطمئنان ، والسكينة والأمان ، وكيف لا يسعد من يقطف من هذه الزهور ؟!

وإنه واجد نفسه في الحالة الثانية في قلق قاتل ، وحيرة مربكة ، وهمّ عاصر وخوف واضطراب ، وكيف يشعر بسعادة من يعيش بين براثن هذه الوحوش المعنوية ؟ فأسماؤها ترعد وترعب « قلق - اضطراب - خوف - همّ » .

فإذا كان رسول الله ﷺ قد قال في موقف توجيهي : « ... التقوىٰ ها هنا » وأشار إلى صدره أي قلبه - فإن القياس يبيح أن نقول : السعادة ها هنا أي في الصدر والقلب .

والقلب - إذنْ - قد يترع بالرضا فيرسل السعادة كالعطر الفوّاح ، وقد يمتلىء بالضيق والتبرم فينفث السخط والألم ، ومن ثَمَّ جاءت تعاليم السماء لتستل من قلب الإنسان كل مآثر السخط المدمر لتحل محلها كل آيات الرضا المسعد البناء .

وإذا ذهبنا نستعرض ونبحث ، وجدنا ما يمتع ويقنع ، فالإسلام قد أولى هذه المضغة في الإنسان كل عناية واهتمام لأنها مصدر الخير ، ومنبع السعادة كما أسلفنا ، فيأتي تقرير الرسول ﷺ بادىء ذي بدء معلناً للمسلمين : أن مظاهر الحياة ومباهج الدنيا لن تغني عن المرء شيئاً في ميزان الله ، لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأشكال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

ثم تأتي توجيهات الإسلام تترى لتصلح القلب ، وتغرس فيه الألفة والمحبة للخير ، فتآلف القلوب - وهو ما نقصده بهذه الخاطرة - أمر جدّ خطير في تفجير ينابيع السعادة في كل مجتمع ينشدها ، وعليه تعتمد قوة الفرد والمجموع ، فكل وسيلة تؤدي إلى هذا التآلف والتعاطف دعا إليها الإسلام ليحقق أنبل هدف من رسالته وهو سعادة البشرية في الدنيا والآخرة .

فالعبادات كلها ذات أسرار وأهداف ، ولا نُبعِدُ إذا قلنا : إن من أهم أهدافها تأكيد هذا التآلف في القلوب ، ومن ثم كانت الدعوة إلى صلاة الجماعة شديدة وملحّة ، وكان الجزاء عليها يفوق صلاة الفذّ بأضعاف الجزاء ، لماذا ؟ لحرص الإسلام الشديد على أن يجتمع المسلمون في لقاء روحي خمس مرات في اليوم بوجه باشّ ، ونفس صافية ، وقلب سليم . أليس ذلك كفيلاً بغرس الألفة والمحبة في القلوب حتى تتوجه الجوارح للعمل الجاد ، والجهد المثمر في الحياة ؟ حتى إن ما يُتوقّع من النفور عند ذلك اللقاء حرّمه الإسلام أو كرِهه ، فأكل الطعام الذي من شأنه أن تنبعث من آكله روائح كريهة مكروه للمسلم عندما يعزم على الذهاب إلى المسجد للقاء ربه ، ولقاء عباد الله . والتطيّب مندوبٌ ومسنون عند ذلك اللقاء ، والنظافة من الإيمان وواجبة لهذا الغرض : ليكون الجذب بين المسلم وأخيه ، فإذا تصافحا باليد تصافحت النفوس والقلوب ، وكان المسلمون كما أراد لهم خالقهم فيما رواه النبي ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادهم وَتَعَاطفهم وَتَرَاحُمِهم كَمَثَل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

ولكن هذا التآلف القلبي شديد الأثر والخطر في دعم السعادة بين الناس ، والإسلام ينشد تلك السعادة لِيَفْرَغَ الناس للعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾ فقد فجَّر الإسلام كل ينابيع ذلك التآلف ، وولج بالمسلمين كل المنافذ التي تهب منها

في نهج القرآن

نسماته العبقة ، وأريجه الفوّاح ؛ فالكلمة الطيبة يعتبرها الإسلام صدقة لأثرها الكبير في دعم التآلف ، وتطهير القلوب ، وغرس المودة ، وإفشاء السلام سنّة مؤكدة ، وردّه واجب ، ولا يخفى ما فيهما من إيقاظ عواطف الأخوة ، وتآلف القلوب .

فرسول الله ﷺ يُسأل عن أي الإسلام خير فيجيب السائل بقوله : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ، ولا غرابة في جعل هذين الأمرين من خير تعاليم الإسلام مع يُسرهما وسهولتهما بجانب أعمال أخرى تستدعي التضحية والفداء ، ونقول لا غرابة بعد ما ظهر الأثر ، وعرف الهدف ، فالهدف تآلف قلبي سيفضي حتماً إلى تضامن وتعاون ، وهذان محققان للمسلمين في مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة خيراً أي خير ، فالنصر على الأعداء ـ وهو قمة الأهداف ـ لا يتحقق إلاَّ بذلك التضامن المركوز على تآلف القلوب وصفاء النفوس .

وإذا ذهبنا نجلّي الحكمة من فضائل الإسلام وجدنا معظمها يرتكز حول الهدف النبيل ، وهو التآلف والتحابّ ، فعيادة المريض ، والتزاور في الأعياد وفي غير الأعياد ، والتهادي ولو بكراع شاة ، والبشاشة وانطلاق الأسارير في التعامل وعند اللقاء ، والتسامح لدى الاقتضاء والبيع والشراء ، والتواضع وعدم الكبرياء والخيلاء ، والتصدق والإنفاق في تستر وخفاء ، كل هذا ـ ونظيره في الإسلام كثير ـ دعا إليه الإسلام بشدة لهذا الهدف أيضاً ؛ ليؤكد التآلف القلبي حتى تتعاون الجهود وتتضافر الخطا : خطا اتباع الإسلام على طريق الخير وإلى الخير ، فما أنبل الهدف والنتيجة ، وما أفضل الوسائل والمقدمات ، وقبلُ وبعدُ ، ما أحقَّ الدعوة في عالم البشر ، وما أحسن التشريع الحكيم الذي يريد لهؤلاء البشر سعادة الدنيا والآخرة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... ﴾ ﴿ ... لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

والإسلام في نظرته الفاحصة ، ومعياره الدقيق ليس مبالغاً إذا نفى الإيمان أو كماله عمَّن لا يتوفر لديه ذلك الحبّ والتآلف بينه وبين من يعاشر ، قال ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تحابّوا » لأن هذا التآلف ، وذلك الحب هما الدعامة القوية التي سيقوم عليها تعاون الأفراد والمجتمع .

ومن ثَمَّ وجدنا رسول الله ﷺ حينما ينزل المدينة مهاجراً يعمد أولاً إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليكوِّن المجتمع القوي المتآلف الذي يعتمد عليه في بناء دولة قوية ناهضة ، وقد تحققت النتيجة : نتيجة التآلف التي تشبه المعجزة حينما كان المسلم في المعارك يقف دون أخيه ليفتديه بروحه متمنياً الموت قبله ، وهذا أروع مظاهر الفداء .

وإذا كان علماء النفس ينصحون المريض بالاكتئاب أن يغشى المجتمعات ، ويَدَعَ الانطواء والانزواء ، فإن الإسلام الحنيف لا يترك الشخص حتى يصاب بداء الاكتئاب ويحار في العلاج ، وإنما يسلك مبدأ الوقاية التي هي خير من العلاج ، فينصح ـ بشدة وإلحاح ـ بالتآلف القلبي ، لأنه يحمي الشخص من معظم الأمراض النفسية ، وفي مقدمتها ذلك الاكتئاب ، حتى كظم الغيظ ـ وإن ادّعى المدعون أنه يسبب الألم النفسي ـ فهو مسبِّبٌ ما يذهب ذلك الألم إن حدث ، وذلك بغرس الودّ والتحاب في القلوب .

والود العميق في القلب قاضٍ على كل ألم نفسي تجاه الآخرين ، بمعنى أن كظم الغيظ بين شخصين سيكون مرَّة واحدة مع ما يحدثه من ألم وقتي ، ثم يكون ينبوعاً تتفجر منه الألفة والمودة بدل التباغض الذي يوتِّر الأعصاب ، ويقضّ المضجع ، ويحرم الشخص الراحة والهدوء ، وفي ذلك من الآلام النفسي ما يفوق أضعاف ما يحدثه كظم الغيظ ، ومن ثَمَّ مدح القرآن الكاظمين الغيظ بالدعوة إليه ، والترغيب فيه كوسيلة من وسائل التآلف القلبي الذي نحن بصدد الحديث عنه لتجلية جدواه قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وبعد ؛ فلعلَّنا ندرك أن تآلف القلوب هو سر السعادة المنشودة ، ولعلنا بعد الإدراك نسير على الدرب ونتبع النهج اللذين يؤديان إلى هذا الهدف النبيل ، ولعلنا إن وصلنا أن نعرف قيمة تلك النعمة : نعمة التآلف والتعاطف : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ .

ولعلنا نستعين الله تعالى في تحقيق هذا الهدف النبيل : هدف تآلف القلوب ، إذ هو وحده القادر على أن يحقق لنا ذلك ، فهو القائل لنبيّه عليه الصلاة والسلام في هذا المجال : ﴿ ... لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

بقلم : الدكتور سعيد اسماعيل علي

التحدّيات المستقبلية

■■ منذ أن تم اللقاء الشهير بين الثقافة العربية التقليدية ممثلة بمصر ، وبين الثقافة الغربية الحديثة ممثلة بالغزو الفرنسي عام ١٧٩٨م ، بدأ الصراع يعرف طريقه بين القديم والجديد ، بين الأصالة والمعاصرة ، بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية الحديثة ■■

وقد تباينت حدَّة الصراع بتباين واختلاف المجال المعرفي ، فبينما احتد واشتد وحمي الوطيس في مجال الدراسات الإنسانية ، خَفَتَ وبهت وهدأ في مجال العلوم الأساسية والتطبيقية ، ذلك أن المجال الأول يلتصق بالإنسان التصاقاً واضحاً بحيث يرتبط بقيمه واتجاهاته وعقيدته وفلسفته ، على حين لا يحدث ذلك بالنسبة للمجال الثاني ، فالكيمياء في الاتحاد السوفييتي لا تختلف عنها في الولايات المتحدة أو عنها في فرنسا أو عنها في اليابان إلَّا بالنسبة لمستوىٰ التقدم فقط ، لكن علم الاجتماع في الاتحاد السوفييتي لا يمكن أن يتفق مع مثيله في الولايات المتحدة أو في بلد إسلامي ...

أزمة الفكر التربوي والدراسات الإنسانية عند المسلمين

لكن ماذا كان الموقف بالنسبة للفكر التربوي ؟

هل عانىٰ مما عانته الدراسات الإنسانية والاجتماعية ؟

الغريب حقاً أن السنوات الأولى لمسيرة الثقافة العربية الإسلامية في العصر الحديث لم تشهد شيئاً من هذا .

وقد اتضح هذا في « دار العلوم » التي انشئت في مصر عام ١٨٧٢م خصيصاً لإعداد معلمين لتعليم مختلف العلوم التي تدرس باللغة العربية ، إذ لم تشهد مناهجها أول عهدها مادة تربوية واحدة ، ومن العجيب أن يكون ذلك كذلك .

وعندما بُدِيء بإنشاء مدرسة للمعلمين تحمل الاسم المتخصص بعد ذلك بثماني سنوات ، أي في عام ١٨٨٠م ، وبدأت الدراسة التربوية تعرف طريقها إلى قاعات الدرس ، بدأ النظر إلى التربية على أنها من الدراسات الحديثة ، وبالتالي فلا بد أن نتجه إلى الغرب كي نعبّ منها ، حتى عندما جاء أول من ألَّف في التربية تأليفاً مباشراً وخاصاً في كتاب مستقل قائم بذاته وهو الشيخ حسن توفيق العدل في أواخر القرن التاسع عشر ، نص في مقدمة كتابه على انه (اضطر) لكي يضع هذا الكتاب إلى أن يستعين بالعديد من الآراء والأفكار التي قال بها علماء التربية الألمان إلى درجة النقل المباشر .

وسار طابور المربين على الطريق نفسه ، هذا يأخذ من سويسرا ، وذاك من فرنسا ، وثالث من انجلترا ... وكلها توجهات أوروبية . ولم يجد أحد بأساً في أن تُربىٰ شخصيات عربية إسلامية بفكر أوروبي بحيث لم يعان الفكر التربوي - على الرغم من أنه من الدراسات الإنسانية - مما ساد هذا المجال من صراعات ، وكأنه فرع من دوحة العلوم الطبيعية والكيميائية والرياضية وغيرها مما ماثلها .

وإذا كان تحول قد بدأ يحدث في العقلية التي يتجه إليها الفكر التربوي بحيث أصبحت وجهة هذا التحول - منذ الأربعينيات - هي الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأساسية ، إلَّا أن القضية الأساسية سارت كما هي في هدوء تام .

غياب التوجه الإسلامي

اين إذن كان التوجه الإسلامي لهذا الفكر حتى منتصف القرن العشرين ؟ مجرد أصوات قليلة لا تزيد على أصابع اليد الواحدة بحيث لم تحدث أي تغيير على الساحة ، وقد ساعد على مزيد من الغياب وخفوت الصوت في الخمسينيات عوامل ثلاثة هي :

1. **تدفق كبير لبعثات تربوية عادت من الولايات المتحدة تحمل فكراً براجماتياً .**
2. **ضرب الدعاة المسلمين وإعدام القيادات الفكرية او تغييبها داخل السجون .**
3. **مدّ قومي عنصري اخذ يطرح القضايا الإنسانية والاجتماعية من منظور علماني ، وإذا كان للدين مكان فيه ، فهو مجرد مقعد بسيط ضمن صفوف عديدة لا يبرز فيها ولا يتقدم .**

وإذا كان المد القومي العنصري قد بدأ في أوائل الستينيات يضعف ، فيحتل المد الاشتراكي الساحة ، فقد ساعد هذا على استمرار غياب التوجه الإسلامي ، خاصة وقد اقترنت بهذا المد الاشتراكي ضربة أخرىٰ عنيفة لمن بقي ومن استجد من الدعاة والعاملين للإسلام في منتصف الستينيات .

وإذ يترنح العرب إثر **هزيمة ١٩٦٧م** ، تبدأ أصابع الاتهام بالاتجاه إلى المد القومي العنصري والفكر الاشتراكي ،

للفكر التربوي الإسلامي

■ نتيجة لغياب المفهوم التربوي غاب المنهج فجاءت النتائج في غير صالح الفكر التربوي الإسلامي . ■

وتأخذ أصوات بالارتفاع قائلة : لن ينجينا مما نحن فيه إلَّا الدين !! ويحذر بعضهم من هذه الأصوات على أساس أن الإنسان عندما يفاجأ بالفشل والعجز ، يبدأ بالتفكير الخرافي ويحلق في أجواء الميتافيزيقا ، وأن تجاوز المحنة لن يكون إلَّا بما سمي بـ «تعصير» المجتمع ، أي جعله مجتمعاً عصرياً يأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة !!

أزمة الفكر التربوي المعاصر عند المسلمين

وبدأت ظواهر غريبة في التواجد أفزعت كثيرين ، فبدؤوا يشيرون إلى الغرب كمصدر للآفات الأخلاقية والخلل الاجتماعي ، ويذكرون حاجتنا إلى إعادة بناء الإنسان العربي ، وأن نجاحنا في عملية البناء مرهون بأن تكون فلسفة البناء وأسسه وأساليبه نابعة من العقيدة الدينية .. وهكذا بدأت الساحة التربوية تشهد ما شهده غيرها من قبل من صور الصراع والتنازع .. صراع بين العصرية والسلفية .. بين القديم والجديد .

وإذا كان من المفروض أن يقوم الفكر عادة في كل مجال بوظيفة توجيه الواقع ونقده وتحليله ومواجهة ما يعانيه من تناقضات ، وينسق بين قوى التأثير ، فإن الفكر التربوي في الساحة الإسلامية عانىٰ من أوضاع شلَّت ما هو مفروض فيه من فعاليات ، ذلك أن الاتجاهات الرئيسة التي سار فيها كانت كما يلي :

١ - عدد من الكتابات كتبها علماء في الدين يدفعهم الإيمان ويحركهم الحماس ، ولكنهم يفتقدون العلم بالأصول والأسس التربوية .

٢ - عدد من الكتابات كتبها أساتذة في العلوم التربوية يدفعهم الإيمان أيضاً ويحركهم الحماس ، ولكنهم يفتقدون الثقافة الدينية والمعرفة اللغوية العربية .

كذلك ، فقد عانى الفكر التربوي الإسلامي من ثلاث صور من صور النقص :

الأولى : غموض واضح في المفهوم ، ففي سوق ذلك الفكر نجد مصطلحات مثل : التربية الإسلامية ، التربية الدينية ، التعليم الإسلامي ، تعليم المسلمين ، التعليم عند المسلمين ، التعليم الديني ... وهكذا ، ويغلب لدى الكثيرين المرادفة بين هذه المصطلحات دون وعي بتلك الحدود الدقيقة التي تميز احدها عن الآخر ، لكنها ليست حدوداً فاصلة ، فالعلاقات بينها ليست علاقات تطابق ، كما انها ليست علاقات انفصال ، ولكنها علاقات تداخل .

الثانية : انه نتيجةً لغياب المفهوم ، غاب المنهج ، فجاءت النتائج في غير صالح الفكر التربوي الإسلامي عادة ، إذ اصبح من المعتاد - مثلاً - أن يكتب واحد عن آراء ابن خلدون التربوية زاعماً أن كتابته إنما هي في التربية الإسلامية ، ولو أراد الدقة لم يقل ذلك لأن التربية الإسلامية هي تلك التي يعبر عنها مصدرا الإسلام الأساسيان وهما القرآن والسنة ، ومن المألوف أن نجد في مدارسنا المقرر الخاص بدراسة الدين يسمى بـ (التربية الإسلامية) ، بينما نريد بها نحن ، لا تعليم الدين في اساسياته ، وإنما وجهة النظر الإسلامية في قضايا ومشكلات ومفاهيم التربية من خلال هذين المصدرين الأساسيين .. وهكذا .

الثالثة : وهي ناتجة عن الأولى ، وهي غلبة الدراسات التاريخية على الإنتاج الفكري التربوي الإسلامي .

ونحن لا نستطيع إلَّا الإقرار بانها ضرورية لكننا نقع في خطأ كبير عندما نجعل لها الغلبة ونظن انها هي التي تعبر عن التربية الإسلامية ، إذ يجب أن نفرق بين المجالات التالية :

(أ) مجال تاريخي فيه يتتبع الباحث تطور واقع التعليم في المؤسسات التربوية الإسلامية .

(ب) مجال فلسفي ، فيه يتتبع الباحث وجهة نظر المفكرين الإسلاميين في قضايا ومشكلات ومفاهيم التربية .

(ج) مجال أصولي ، فيه يدرس الباحث ما يكون في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أفكار ومبادىء وآراء وتوجيهات وقضايا ومشكلات ومفاهيم في التربية والتعليم .

إن هذا المجال الأخير بالذات هو الوجه الحقيقي لما نسميه بالتربية الإسلامية .. ويمكن أن نقول - بناءً على هذا - إن هذه المجالات الثلاثة ، يطلق عليها كلها (الفكر التربوي الإسلامي) .

ولأن الجمهرة الكبرىٰ من دراساتنا تقع في المجالين (أ) و (ب) ، فإن النتيجة : أن الطرح القائم من الفكر التربوي الإسلامي

التحدّيات المستقبلية للفكر التربوي الإسلامي

يقف في كثير من الأحيان عاجزاً عن مواجهة مشكلات الحاضر وآمال المستقبل لأنك إذ تقول مثلاً : المدرسة النظامية ببغداد قامت بدور رائع في حركة الفكر والتعليم ، وأنجزت كذا وكذا ، فماذا يعني هذا للإنسان المعاصر في حاضره ومستقبله إلَّا أنه سيزداد إعجاباً بأسلافه وتزداد معلوماته ؟ فهذه الدراسة تمثل تراكمات كَمِّيَّة فقط هدفها الغالب هو هدف أكاديمي بحت يكاد يدخل في باب « العلم للعلم » .

وعندما يكتب آخر عن **الغزالي** مثلاً ؛ أنه قد سبق عصره فقال بآراء مثل كذا وكذا ، فماذا يعني هذا أيضاً لنا في مواجهة الواقع والتطلع إلى المستقبل ، إلَّا أن نزداد ثقة في قدرة الفكر الإسلامي على الإبداع والابتكار والإنتاج ؟ كما أننا لا بد وأن نذكر تلك الحقيقة المعروفة التي عبر عنها الشاعر العربي عندما قال :

إن الفتىٰ من يقول ها أنا ذا
ليس الفتىٰ من يقول كان أبي

ومع الأسف الشديد - ورغم وضوح هذه الجوانب إلى الدرجة التي تجعلها حقائق - فإن هناك من ينتقدون الدراسات التربوية المستمدة مباشرة من القرآن والسنة ، ويدعون أنها أقرب إلى الدراسات التي تتم في كليات أصول الدين وليست دراسات علمية تربوية ، وينسون - إذا جاريناهم في منطقهم - أن دراساتهم بهذا المعنى إذا كانت علمية تربوية ، فإنها ليست إسلامية .

أمثلة من التحديات التي يواجهها المسلم المعاصر

ولعلّنا بعد ذلك يمكن أن نتساءل عن أهم التحديات التي يواجهها المسلم المعاصر وتتطلب من الفكر التربوي الإسلامي أن يعد لها . صحيح أننا لا نستطيع أن نزعم إمكان الإحاطة - في الحيز الحالي - بكل هذه التحديات ، إلَّا أننا نستطيع أن نزعم أن ما سوف نسوقه فيما يلي يمثل - في رأي الكاتب على الأقل - أهمها وأبرزها :

١ - إن المسلم المعاصر يعيش في عالم بلغت فيه سبل الاتصال ووسائل الإعلام حداً من الكثرة والتنوع والسرعة يجد نفسه معه كل يوم - بل وكل ساعة - يواجه بِخِضَمٍّ من الآراء والأفكار والنظريات والفلسفات التي تمتد توجهاتها من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ، ولا يستطيع أن يواجه حياته بكفاءة ، إلَّا بأن يحدد لنفسه موقفاً من كل ما يتلقاه ، ولن يمكنه أن يسمع لذلك الرأي الذي يَسِمُ كل ما هو وارد بأنه غزو ثقافي يجب أن يصم أذنيه عنه ، فهو يكاد يعايش كل هذا وذاك ولا بد ولا بد أن يواجه الموقف .

إنه يستطيع - مثلاً - أن يستعين بدراسة التاريخ في كيفية مواجهة المسلمين عندما هزموا الفرس والرومان والهند واحتكوا بثقافاتها ، لكنها سوف تكون فائدة محدودة على أية حال لأن التاريخ لا يكرر نفسه ، فالظروف الآن مختلفة تماماً ، والأحوال متباينة جداً ، وهنا لا بد من أن يمد المهتمون بالتربية الإسلامية يد البحث والتحليل إلى القرآن والسنة ليستخرجوا منهما ما يعين المسلم المعاصر على أن يحدد موقفاً من كل ما يتلقاه ، وسوف يجد - مثلاً - أن القرآن يحرص على أن يعرض المواقف الفكرية المختلفة لغير المسلمين ، سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم ويناقشها ويدحضها ، ولم يتجاهلها تحت دعوىٰ أنها إنتاج كفرة ومشركين ، لأنها موجودة ، وتجاهلها لا يميتها .

■ إن الإصلاح والتغيير لا يمكن أن يجيئا بمجرد إسداء النصح وإصدار التوجيهات وتنميق المقالات وتدبيج الخطب والمحاضرات .. إنه يتطلب تغييراً في مجرىٰ الواقع المُعاش . ■

٢ - إن المسلم المعاصر يعيش عالماً يمكن أن نصفه بأنه عالم الآمال المتنامية المتزايدة ، وكثيراً ما تقصر موارد المسلم عن تحقيقها ، فأصبح الاتجاه الغالب هو أن يخطط لرسم وتحديد الآمال وحصر الموارد والإمكانات ، وتحديد فترة زمنية ، وترتيب أولويات لتحقيق الأهداف بأقل تكلفة ممكنة وبأحسن كفاءة متاحة ، **فما هو موقف المسلم من تلك الأفكار المتعلقة بالقضاء والقدر ، وأن كل شيء مقدر ومكتوب ولا سبيل لأحد أن يغير ما هو مقدر له ؟**

إن المسلم المعاصر إذا فتش في كتابات بعض المسلمين فسوف يجد واحداً مثل ابن عطاء الله السكندري يحذر دائماً من أن يشغل المسلم نفسه بالغد فضلاً عما بعد الغد ، ويطالبه بأن يحصر همه في اللحظة الحاضرة لأن ما بعدها هو من مسؤولية الله عز وجل ، ولو فكرنا في اللحظة التالية فإنه يعتبر ذلك تعبيراً عن عدم الثقة بالله ، وتقوم جهات مسؤولة عن نشر التراث الإسلامي بنشر كتاب يدور موضوعه حول هذا المعنى وعنوانه (**التنوير في إسقاط التدبير**) ، وما التدبير إلَّا ما نعبر عنه الآن بالتخطيط .

إن المربي عندما يواجه بهذه القضية ، ويتجه إلى القرآن ، فسوف يلمس في قصة سيدنا يوسف صورة رائعة من صور التخطيط عندما حكىٰ فرعون مصر ليوسف حلماً له عن سبع بقرات عجاف ياكلن سبع بقرات سمان ، فيفسر يوسف ذلك بان مصر ستشهد في زمنه سبع سنوات تنعم فيها بالرخاء والازدهار ، تعقبها سبع سنوات من القحط والفاقة ؛ وجعل فرعون مصر يوسف مسؤولاً عن خزائن مصر ، فاخذ يضبط ، ويوفر في سنوات الرخاء مخزوناً ضخماً افاد البلاد عندما جاءتها سنوات القحط ، وانقذ الناس بالتالي من

■ المشكلة أن عدداً من الكتابات كتبها علماء في الدين يدفعهم الإيمان ويحركهم الحماس لكنهم يفتقدون العلم بالأصول والأسس التربوية . ■

مستقبل مخيف بحسن تدبيره ، ولو شئنا استخدام مصطلحات العصر لقلنا بحسن تخطيطه ، بل لقد اعتبر تخطيطه هذا آية من آيات إعجاز نبوته .

وقد نواجه بمن يقول : إننا إذا كنا نجد واحداً مثل ابن عطاء الله السكندري يقف هذا الموقف المضاد للتدبير والتخطيط ، فهناك مفكرون آخرون يقفون موقفاً مستنيراً يتفق وحاجتنا المعاصرة ، وهنا فإننا نرد بأنه لا بأس من ذلك ، ولكننا سنجد أنفسنا شيعاً وأحزاباً ، فهذا يتبع ذاك ، وذاك يتبع آخر ، وكل يزعم أنه هو البصير بصواب الفكرة واستقامة الطريق ، لكننا إذا جعلنا القرآن والسنة معيارنا وحكمنا ، قرّبنا بين الفرق ، وأقمنا جسور التفاهم والاتفاق .

صحيح أنه سيحدث من غير شك اختلاف في فهم النصوص وتفسيرها ، لكنه سيكون أهون وأقل خطراً ، ومن القواعد الإسلامية أن المجتهد إذا اجتهد وأصاب فله أجران ، وإذا أخطأ فله أجر اجتهاده (كما ثبت في الصحيحين) .

٣ ـ والمسلم المعاصر ينظر بفزع إلى ذلك الاستقطاب الآخذ في الازدياد في المجتمع العالمي بين الأغنياء والفقراء ، ففي الوقت الذي يسمع فيه عن مجتمعات تقذف في عرض المحيط بأطنان تعد بالآلاف من مواد التغذية حتى لا تهبط أسعارها فيضار منتجوها الرأسماليون ، يسمع عن مجاعات تهدد مئات الألوف من دول العالم الثالث ، وهو إذ يحمد الله أن بعضاً من الدول الإسلامية منتجة للنفط ، ومستوى الدخل فيها يقف بها في الصف الأول من دول العالم الغنية إلَّا أنه عندما يتجاوز عن عدد الدول الإسلامية الغنية وتلك الفقيرة ؛ لينظر إلى عدد السكان فسوف يفزعه من غير شك أن الجمهرة الكبرى من السكان المسلمين تعاني الفاقة والفقر ، بل ويدخل بعضهم في عداد المجتمعات التي تهددها المجاعات أحياناً كما يرى في الصومال وبنجلاديش ، وعندما يفزع إلى مظانِّه يهوله أن يجد عدداً غير قليل من العلماء يمتدحون الفقر ويلوحون بنصوص تَعِدُ الفقير بالجنة ، وأن الحرمان الذي يراه في الدنيا لا بأس به ، فهو مجرد اختبار ، أما في الآخرة فسوف تتبدل الأحوال والأوضاع فيعاني الأغنياء من سعير النار وينعم الفقير بنعيم الجنة ، وبالتالي فلا داعي للضجر من الأوضاع السيئة والأحوال المتدهورة ما دام ذلك يرتبط بالحياة الدنيا فقط التي هي أمر عارض وحياة زائلة .

وهنا يكون مطلوباً من المفكر التربوي أن يتجه بالمسلم المعاصر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ سيجد فيهما أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، ولا شك أن الثروة صورة من القوة ، وسوف يجد أن الله وهو يعدد نعمه ، يذكر منها (الغنى) ، **ويؤكد سبحانه وتعالى ـ بحكم علمه بطبيعة مخلوقاته ـ أن المال محبوب حباً جماً ، وعندما يجيء الذم والنقد والهجوم على الثروة والمال ، فإنما ينصب لا عليهما بالذات ، وإنما على سوء توظيفهما والسفه في التصرف فيهما ، وحبسهما عن الجريان في المنافع العامة والخاصة ، وهو لا شك سيعلم أن التمكين لدين الله في المجتمع المعاصر أمر يستلزم إقامة المصانع الجبارة والشركات العملاقة والإنتاج الوفير .**

وهو لا شك يعلم كذلك أن الرسول الكريم ﷺ يذكر أن من علامات القيامة أن يوسد الأمر إلى غير أهله ، وأن الترجمة العملية لهذا في الفكر المعاصر والمستقبلي ، ألَّا يقوم بالعمل إلَّا أصحاب الكفاءات ، وإذ تتعدد الأعمال وتتنوع وتتعقد ، تتعدد الكفاءات المطلوبة بتنوع ما يلزم لها من إعداد وتدريب وتعليم وتجهيز ، وهذا كله لا يتم إلَّا بالمزيد من الثروة ، ومن هنا يعلم من غير شك أن الفقر مرذول ، وأن التعليم يجب أن يهاجم الفقر فيمتد إلى الفئات المحرومة بحيث لا توجد فئة من فئات المجتمع ـ مهما كانت ظروفها ـ خارج مظلته .

٤ ـ والمسلم المعاصر يرى أن **الشعوب إذا كانت سابقاً تنقسم إلى شعوب قاهرة وشعوب مقهورة ؛ فهي تنقسم اليوم إلى شعوب تعلم وشعوب لا تعلم ، وأن كل لحظة تمر على العالم تنفتح أمامه آفاق من المعرفة لا قبل له بها ؛ بحيث يكاد يصاب بتخمة معرفية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً . لكنه يقف حائراً أمام كتابات بعض أسلافه من مفكري المسلمين عندما يصنفون العلوم فلا يجد بينها العديد من الآفاق الحديثة ، ويجد أن العلوم الدينية هي التي يجب أن تحتل المرتبة الأولى . أما العلوم الطبيعية والرياضيات ، فهي في مرتبة ثالثة حيث تسبقها كمرتبة ثانية ، علوم الأدب واللغة والتاريخ ، أما العلوم التطبيقية والمجالات المهنية فيكاد لا يكون لها ذكر بالمرة .**

هنا يكون مطلوباً من المفكر التربوي أن يلفت الانتباه إلى أن القرآن الكريم حرص حرصاً شديداً على الإكثار من الحديث عن مظاهر الكون المختلفة : من الرياح ، والسفن ، والجبال ، والدواب ، والبحار ، والنباتات ، والفلك ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والحر ، والبرد ، بل والنفس الإنسانية ... إلخ . يذكرها مقرونة دائماً بالنظر والتأمل والتفكر والتدبر ، والتفسير الصحيح لذلك ؛ أن هذا لا معنى له إلَّا البحث والدراسة ، ولا يعقل أن يكون المقصود هو مجرد النظر العابر والسبحة الفكرية السريعة ، إذ لن ينتج عنهما المراد بالاستدلال من عظمة الكون على وجود خالقه .

والإلحاح المستمر على أن الله قد سخَّر للإنسان كذا وكذا من مظاهر الكون ، يتطلب منه حسن استخدامه واستثماره ، ولن يتأتى حسن الاستخدام وجيِّد الاستثمار إلَّا بدراسته والبحث فيه وحوله ، ومن ثم ينتهي إلى أن الإسلام يوجب على المسلم ألَّا يكفَّ عن السعي وراء المعرفة بشتى مستوياتها ، وصنوفها وآفاقها ، لأن شعار

التحديات المستقبلية للفكر التربوي الإسلامي

المسلم هو ذلك الدعاء الواضح الصريح : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ .

فليس المقصود إذاً هو ما يسمى فقط بالعلم الديني بالمعنى الضيق ؛ لأن دراسة الدين نفسها ـ وفي مقدمتها القرآن ـ تستتبع الامتثال لأوامر الله بدراسة مظاهر كونه المختلفة التي أشرنا إليها .

وهو إذ يجد نصاً يقول فيه سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ، فهو يفهم ذلك لا على أنه تثبيط للهمم عن السعي إلى المزيد من العلم ؛ لأن الدعاء السابق لا يؤدي إلى ذلك أبداً ، وإنما يفهم هذا النص بمعنيين : أحدهما أن الإنسان مهما سعى وعلم ودرس ، فإن علمه ما هو إلَّا قطرة من محيط المعرفة ومن ثم فهو مطالب بعدم الاكتفاء ، أو بمعنى أدق ، بعدم القناعة بما في يديه .

وثانيهما : أن الإنسان مهما سعى وعلم ودرس فإن علمه لا يمكن أن يقاس بأي حال من الأحوال بعلم الله عزَّ وجل ؛ لأن سعة أفق المخلوق لا يمكن أن تتطابق أو حتى تقترب من إحاطة علم الخالق سبحانه .

٥ ـ والمسلم المعاصر عندما يستقرىء وقائع الحاضر واتجاهات المستقبل ، يجد أن الطريق ينفتح للجماهير بحيث يبطل أن يظل الأمر بيد القلة أو (الصفوة) أو (النخبة) التي تستند إلى أسانيد عرقية أو مالية تصرفه كيفما تشاء ، ذلك لأن القوة المسيطرة دائماً تقود الأمور بما يخدم مصالحها ، فإذا كانت تحتكرها قلة تجاهلت مصالح الأكثرية .

ولقد وجد من برر تسلط (الصفوة) بقياس مغلوط ، إذ يذهبون إلى أن المجتمع كالجسم وبما أن أمر الجسم لا ينصلح إلَّا بتوجيه الدماغ ، استحال أن يستقيم أمر المجتمع إلَّا براي الصفوة وتوجيهها . ووجه الخطأ هنا هو أن التماثل دائماً بين تركيب ونوعية ما في الدماغ وتركيب ونوعية الصفوة يقتضي أن تكون الصفوة على قدر عال من العلم والتقوى ، كما أن الدماغ متيقظ دائماً لكل ما يؤذي الجسم أو يفيده فيستجيب لمقتضى الحال في ثوان معدودة ، وحسن القيام يقتضي ـ بناء على هذا ـ أن تكون الصفوة على قدر عال من الارتباط ببقية جسم المجتمع بحيث تستجيب على الفور لآلامه وتتطلع على الفور لآماله .

والمفكر التربوي عند ئذٍ مطالب بأن يوجه الأنظار إلى حقيقة تاريخية ودينية ؛ هي أن الأنبياء والرسل عندما كانوا يقودون الناس إلى الهدى والخير ، كانت جنودهم في أغلب الأحوال من جماهير العامة المستضعفين والفقراء ، وأن ما كانوا يلاقونه من أذى وحرب كان ياتي غالباً من القوى المتسلطة المترفة ، وأن ذلك طبعي ومنطقي ، إذ ما دام واقع الجماعة يضع الكثرة في جانب الفقر والاستضعاف والعبودية ، ويضع القلة في جانب السلطة والثروة والاستبداد ، يصبح من مصلحة العامة تغيير الوضع القائم ، ويصبح من مصلحة المترفين مقاومة التغيير وإبقاء الحال على ما هو عليه .

إن التحول التاريخي المعاصر ـ من الاستبداد بشتى مظاهره إلى العدالة ـ بدأت ملامحه تظهر على حركة التعليم في فلسفته ومحتواه وطرقه ، فبعد أن كان العلم للعلم ؛ لأن طلابه كانوا من قلة الأغنياء ممن كان العلم نفسه بالنسبة إليهم ترفاً فكرياً وحِلْيةً يتزينون بها ، أصبح العلم للمجتمع لأن غالبية طلابه الآن من جماهير العامة ممن يريدون مغالبة الحياة .

وبعد أن كان محتواه يقوم على الأفكار المجردة والتحليلات الفلسفية البحتة والسبحات الخيالية ؛ أصبح يقوم على دراسة الظواهر الاجتماعية المعاشة ، وتوظيف الظواهر الطبيعية المختلفة لمزيد من يسر الحياة .

وبعد أن كان يقوم على مجرد التلقين والحفظ والاستظهار ، أصبح يقوم على التجريب والممارسة .

تلك هي مجرد امثلة لعدد من التحديات الحاضرة والمستقبلية التي تلح على المفكرين التربويين ان ينقبوا في معين الإسلام الأساسي ؛ لكي يجدوا لها حلاً يعين المسلم المعاصر على أن يحيا حياة مطمئنة .. حياة يستحق معها ان يوصف بانه من خير أمة أُخرجت للناس ، لأن هذا الوصف مشروط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمعروف هو ما يكون في مصلحة المجتمع في إطار التوجيهات الربانية ، والمنكر هو كل ما يؤذي هذا المجتمع في إطار ما انكرته الشريعة الإسلامية .

تغيير شامل للواقع المباشر بوحي من مصادر الإسلام

لكن بعضهم قد يقول : إننا بذلك نجعل من واقع العالم المعاصر معياراً نقراً به مصادر الإسلام الأساسية ، والحق أن هذا تشخيص غير سليم ، فلا يمكن فهم مقولة إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان إلَّا بالاستناد إلى تلك الدعوى القائلة بأن المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة واتجاهات مستقبلها ؛ تتطلع إلى أن تجد في القرآن والسنة موقفاً واضحاً إزاءها ؛ إن لم يكن صريحاً ، فعلى الأقل يمكن الوصول إليه بجهد أهل الاجتهاد والعلم .

كذلك فمما لا بد من التنويه به هو أن النظام التربوي يستحيل أن نأمل إصلاحه وتطويره إذا قصرنا الإصلاح والتطوير عليه وحده دون بقية النظم المكونة للبنية الاجتماعية لأن النظام التربوي إن هو إلَّا جزئية من هذا البناء الكبير يأخذ منها ويعطيها ، وبقدر ما تكون عليه في مجموعها بقدر ما يكون عليه هو من صلاح أو فساد .

ولعل ذلك هو مغزى كون الإسلام ديناً ودولة ، بل إن هذا ليتوافق مع ما كشفت عنه دراساتنا المعاصرة من أن الإصلاح والتغيير لا يمكن أن يجيئا بمجرد إسداء النصح وإصدار التوجيهات وتنميق المقالات وتدبيج الخطب والمحاضرات .. إنه يتطلب تغييراً في مجرى الواقع المعاش في مختلف جوانبه بجهود متوازنة متكاملة شاملة .

بريد الأمة

●● لا شك في أنَّ مسؤولية الإعلام الإسلامي مسؤولية جسيمة وخطيرة ، وأكبر بكثير من خبرات القائمين عليه ـ وهذا قدرهم ـ فالأحداث من حولهم تقع بسرعة مذهلة ، والمتغيرات تتلاحق في العالم أجمع ، وقضايا المسلمين تزداد خطورة ، ومعالجتها بأسلوب صحيح سليم أصبح مهمة صعبة وشائكة ..

وقد كان مسموحاً ـ في يوم من الأيام ـ أن يتوقف الإعلاميون المسلمون عند قضايا جزئية تخص بلداً ما أو حتى مجتمعاً صغيراً من مجتمعات المسلمين ، وقد ينصب جهدهم ويفرغ في متابعة أحداث هامشية وفي تناول أشخاص لا شأن لهم .. بأسلوب هجومي اقتحامي ، وفي هذه المرحلة كثيراً ما كان المسلمون يُستدرجون إلى مثل هذه المواقف ..

وما نود أن نؤكده هنا هو أنه لم تعد هناك فرصة لممارسة مثل هذا الطرح الإعلامي ، فالمطلوب بشـــدة هو الخروج إلى الساحة العالمية ـ الساحة الحقيقية لصراع القوى ضد الإسلام والمسلمين ـ والارتفاع فوق الجزئيات ، وتناول قضايا المسلمين الأساسية الحقيقية الهامة والمصيرية ، فالله يحب لنا معالي الأمور ويكره لنا سفاسفها .. ولعلَّ نظرة فاحصة من حولنا تظهر بوضوح أن قضايا المسلمين واحدة مهما بعدت أو اختلفت البلدان ..

هذا ما تؤكده لنا كل يوم رسائل الإخوة القراء التي تصلنا من كل مكان ... ●●

رســـالــة ..

■■ هذه الرسالة بعث بها إلينا أحد القساوسة ، وقد عقد النيَّة على اعتناق الإسلام ـ بإذن الله ـ أو بالأصح على العودة إلى الإسلام حيث كان قد ارتد في صباه .. نسأل الله تعالى له تمام الهداية ... ونحن إذ ننشر مقاطع من رسالته لما تتضمنه من وقائع تهم الإخوة القراء ، نحرص على عدم نشر بعض المعلومات بناء على طلبه [إلى أن يحين الوقت المناسب بإذن الله لإعلانها لخير طالبي الحق ونصرة دين الله الحقيقي في الأرض] على حد تعبيره ..

يقول صاحب الرســالــة : [... نشأت في البداية نشأة إسلامية إلى أن التقى بي نفر من المنصِّرين فزيَّنوا لي النصرانية بأعذب الأوصاف التي توافق ذوق فتى في مقتبل صباه ـ كنت حينذاك في السابعة عشرة من عمري ـ وفارقت وطني إلى بلد آخر للدراسة فكان أن حللت بالقرب من حارة النصارى ووجدت نفسي منساقاً في تيارهم وعابداً كما يعبدون ، وأجريت لي مراسم القبول الكنسية ، وأعطوني اسماً جديداً ، ثم حبَّبوا لي دراسة اللاهوت ، فدخلت معهداً لهم ، حيث نلت شهادة في علوم النصرانية ، ومن ثَمَّ عينت راعياً لإحدى الكنائس ، وقضيت أربعة عشر عاماً في منصب قسيس الكنيسة وبعد ذلك استدعيت لرعاية كنيسة عربية في بلاد المهجر (وهو العمل الذي أقوم به الآن منذ سبع سنوات ...) .

وقد حدث أن أتيحت لي فرصة دراسة الإسلام بصورة أعمق وفي مناخ من الحرية عندما رأوا أن يؤهلوني ـ عن طريق دراسة خاصة ـ للتعرف على الإسلام لكسر شوكته وجذب النفوس إلى حظيرة النصرانية ، وكانت الزلزلة التي أعادت إليَّ صوابي وعقلي ، وشاء ربك أن يتحول هذا الشر في داخلي إلى خير جزيل ، وأفقت من غيبوبة استمرت نحو واحد وعشرين عاماً ..

إن دراستي للإسلام جعلتني أقف على جملة من الحقائق قد خلت منها النصرانية ، وجعلتني أدرك ـ عن علم ـ مقدار التفاوت العميق بين النصرانية المعمول بها والإسلام ..

إن صحوتي هذه تلح عليَّ أن أنفصل عن النصرانية ، غير أن هناك بعض النقاط التي أود أن أطرحها حتى تكتمل الصورة .. فأنا أعاني من عذاب لا يعلم مداه إلَّا الله ، لأن حياتي الآن ـ عائلياً ومادياً ـ قائمة على أسس نصرانية ، ورؤساء العمل والقسس الكبار في الهيئة التي أعمل بها غاضبون بسبب تصريحاتي حول الإسلام الحق ، وأنذروني مرتين بأن أكفَّ عن ذلك ، فهل من حلّ ترونه مناسباً ، فزوجتي ستغضب وسيغضب لها أهلها وجمهور الكنيسة ، وأولادي سيكون وضعهم حرجاً حيث إن تسلط الأم ـ دينياً ـ على عقولهم الصغيرة فائق ـ وسأخسر مركزي وعملي ؛ وسأواجه مشاكل مادية كبيرة بسبب انقطاع موردي الحالي هذا ؛ مع العلم بأنني أود أن أساهم بخبرتي في خدمة الإسلام] .

●● [الأمــة] : إن من يهديه الله تعالى إلى عقيدة التوحيد ، ويجاهد من أجل الاقتناع الذاتي والإيمان البصير والتوبة النصوح ، ويلتزم الصراط المستقيم ويستعين بالله تعالى في ذلك ويستهديه ، يشعر بإحساسه المؤمن بأن الله ـ الذي هداه للحق ـ معه ، يرعاه ويسدد خطاه ، ويجد في نفسه القدرة على الصبر في مواجهة الابتلاءات ، حيث لا يمكن هنا أن نحكم الأمور بالموازين المادية أو تقارن بروابط الأهل والمال والولد .. والله تعالى لا يضيع أجر المؤمنين الصابرين ، ويجعل لهم مخرجاً ، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون .. ■■

مقترحـــات

● يرى الأخ نبيل محمد مهران ـ من المنيا ـ جمهورية مصر العربية : [إصدار « كتاب الأمة » شهرياً ، وان تعالج بعض الكتب أمور العقيدة والسيرة والدعوة ، والتاريخ الإسلامي ـ لأن الكتب بصفة عامة ، والكتاب الإسلامي الذي يتناول مثل هذه الموضوعات أصبح ثمنه مرتفعاً جداً ـ كما يقترح إعادة طبع كتابي الأمة الثاني والثالث أسوة بما تم في شان باقي السلسلة ..] .

● ومن لبنان ـ أرسل الأخ عادل سالم قدورة يقترح : [إفساح المجال لطرح أسئلة على السادة علماء المسلمين في كل مكان ، والرد عليها بما لا يخرج عن أهداف المجلة ، والاهتمام بنشر معلومات عن حياة العلماء المسلمين الذين عاشوا في فلسطين المغتصبة ، وعن الدور الجهادي الذي قاموا به .] .

● ومن سريلانكا ـ أرسل الأخ فتح الرحمن بن محمد عثمان ـ يقترح : [تخصيص باب للتعريف بالأقليات الإسلامية المنتشرة في ربوع المعمورة ، وباب للتعريف بالعلماء والأعلام من المفسرين والفقهاء والمحدثين والنحاة وغيرهم] .

● ويقول الأخ المهراب ميلود ـ من المغرب : [إذا كانت المراة نصف المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي ، فلماذا لا تخصصون مساحة اكبر لمعالجة قضاياها الخطيرة ، بدل الاقتصار على باب « الأسرة المسلمة » ؟ وإذا كانت « الأمة » رائدة الصحافة الإسلامية بلا منازع ، فلا اقل من تخصيص صفحتين لتفسير آية أو آيتين من القرآن ـ حبل الله المتين ـ وليس وجود كتب التفسير وتوفرها بحجة لكم حتى تلغوا هذا الباب الهام ..] .

● ويقترح الأخ طوطاس حسين ـ من الجزائر ـ : [زيادة الاهتمام بأحوال المسلمين في العالم ونشر المزيد من الاستطلاعات عنهم ومتابعة أخبارهم .] .

● ويرى الأخ غالب حسن جابر العياط ـ من جرجا ـ مصر :

* ضرورة إصدار ملحق خاص بالطفل المسلم يوزع مع « الأمة » ـ يتضمن قصصاً من سيرة الرسول ﷺ وصحابته وقصصاً عن بطولات قادة جيوش المسلمين ، وشرحاً مبسطاً لأركان الإسلام ومبادئه .
* الدعوة لإنشاء مؤسسة سينمائية وتلفزيونية إسلامية لإنتاج برامج وأفلام عن الدعوة والشخصيات التاريخية بأسلوب عصري جذّاب .
* نشر استطلاعات عن المسلمين في الاتحاد السوفييتي والصين ..

● ويطلب الأخ خليل المعطي ـ من المغرب : إعادة طبع ونشر أعداد « كتاب الأمة » حيث إنها تنفد فور وصولها للسوق [... خصوصاً كتاب « نظرات في مسيرة العمل الإسلامي » ، والأمر كذلك بالنسبة لأعداد مجلة « الأمة » فهي لا تكفي الطلبات المتزايدة] ..

● ومن استراليا ـ كانبرا ـ أرسل الأخ مصطفى أومري ـ سكرتير اتحاد الجماعات الإسلامية ـ هناك ـ يقترح : [ترجمة مجلة « الأمة » إلى اللغة الإنجليزية .. ويقول : « إن هذه الترجمة سوف يكون لها أثر كبير في تزويد الشباب المسلم ـ وغيره ـ ممن لا يعرفون العربية خاصة في استراليا بالمفهوم الصحيح للإسلام ـ وكذلك بالنسبة لكتب « الأمة » ـ ثم يعرض الأخ مصطفى معاونته في عملية الترجمة قدر الإمكان ـ إذا طلب منه ذلك ـ وبشكل دائم إن شاء الله] ...

● ويقترح الأخ محمود عبد الرحمن عبد المنعم من مصر : [جمع القصائد الجيدة التي نشرت بالأمة ، وإصدارها في كتاب ضمن سلسلة « كتاب الأمة » ، نظراً للأفكار والمعاني المفيدة التي تحملها هذه القصائد] .

أصـــداء

● من السودان بعث الأخ خضر عبد الرحمن علي ، برسالة يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

قرات في العدد الخامس والخمسين ـ رجب ١٤٠٥هـ ـ موضوعاً تحت عنوان « من سير الرجال » بقلم الدكتور حسّان حتحوت ، واود ـ بداية ـ ان اشيد بما كتب حول سيرة الشهيد حسن البنا ، واضيف بأنّ هذا قليل من كثير من سيرة هذا الرجل الذي بذل كل جهده لإعلاء كلمة الحق ، وعمل من اجل تطبيق احكام الشريعة الإسلامية ، ولكن الأيدي الخبيثة فعلت ما فعلت لعرقلة المسيرة ، وما نرجوه هنا هو كشف المزيد من الجوانب المشرقة في سيرة الرجل .. وغيره من رجال الحركة الإسلامية المعاصرة ...] .

● ومن شمالي كردفان ـ بالسودان ايضاً ـ ارسل الأخ ابو بكر عبدالله جبريل يقول :

[... ارى انه لا مناص من إعادة نشر فقرات ممّا جاء بالعدد الثالث والخمسين ـ جمادى الاولى ١٤٠٥هـ ـ ضمن باب « من المحرر » تحت عنوان : « عملية موسى والشتات العربي » .. « إن الإنسان العربي المسلم يتفطر كبده الماً بسبب هذا « العد التنازلي الذي تنحدر إليه قضية المسلمين الاولى المقدسة ، حتى اصبحت المنظمة الواحدة منظمات ، وحركة التحرير حركات ، والأمة الواحدة اميمات » .

ونقول للعبـرة : الم يأن لنا ان نقف ، ونتأمل ، وننظر حولنا : كيف يعمل أعداؤنا وكيف نعمل نحن ؟ وأين عملية « موسى » اليهودية من عملية « ابو موسى » الفلسطينية ؟!

● وبعثت الأخت ع . ن . من الرياض ـ بالمملكة العربية السعودية تقول :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

لا بد ان نعترف بانكم ساهمتم كثيراً في نشر الأدب الإسلامي عبر مقالات عديدة وقصائد لشعراء إسلاميين لم نكن نعرف عنهم ولا عن إنتاجهم شيئاً ..

ولي ملاحظة حول القصيدة التي نُشرت بالعدد الرابع والخمسين ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ـ تحت عنوان : « الطريق إلى محمد ﷺ » للشاعر يوسف الخطيب .. إذ وجدتها مفعمة بالأفكار والاحاسيس الصادقة ، وقد شدتني منذ الكلمة الاولى حتى البيت الاخير ، ولكنني اعدت قراءتها ثانية بتأنٍ حتى اخرج بفهم إجمالي .. فوجدت انها لم تخل من غموض ووعورة في اللفظ والمعنى إذ تناثر الغريب بين ثنايا بعض الأبيات .. واحسب ان معظم القراء ينتظرون ان تمدهم « الأمة » بشرح مبسط لبعض مفردات هذه القصيدة او اي إنتاج ادبي تطالعنا به وتتطلب مفرداته تفسيراً ، وليس في هذا العمل اي حطّ من قيمة اللغة العربية ، او بحث عن السهولة ، بل هو تعميم للفائدة ...] .

واحة الاخاء

○ بعث الأخ غوباش نور الدين من الجزائر برسالة إلى « الواحة » يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

لقد أردت بهذه الكلمة أن ألقي بعض الضوء على قضية خطيرة يواجهها شبابنا المسلم بصفة عامة ...

أنا شاب أدرس في ثانوية تنشط فيها الحركة الشيوعية ، متمثلة في الأساتذة الروس . الذين يسعون جاهدين لمحو تعاليم الإسلام وتشويه أفكار الشباب بالوسائل والطرق جميعها ، حتى وإن كان ذلك على حسابهم الخاص ، فهم يأتون مساء يوم الاثنين ، وهو عطلة ، لإعطاء الشباب دروساً في لعبة الشطرنج أو في اللغة الروسية ، وأعتقد أن لهم هدفاً من وراء ذلك لأنهم بطبيعتهم ماديون ، ومتى كان الإنسان المادي يعطي بلا مقابل ؟!.. ولقد نجح الملحدون في الخطوة الأولى ، وساعدهم في ذلك أساتذتنا المسلمون الأجلاء - غفر الله لهم - ولكن لنر كيف كان ذلك ؟

إن الملحد يبدأ ويهيء جميع الظروف لكسب الطالب بأساليب ذكية مذهلة ، ثم يأتي المسلم ليضع العقبات في وجه الطالب فيخسره بالمعاملة الجافة ... وأخيراً أضع نقطتي استفهام :

هل من دواء لهذا الداء ؟؟ وهل من نجدة لهذا الشباب ؟؟] .

○ وحول قضية افغانستان ، بعث الأخ مختار سيد أحمد عبد السلام - من مصر - يقول :

[... مؤامرة الصمت تلف أفغانستان في غفلة من المسلمين ، لتضيع كما ضاعت فلسطين .. ومن بين هؤلاء المسلمين نرى من يُدْعون بالتقدميين الذين يرددون مقولات « ماركس » و « لينين » ، تتعالى أبواقهم للتنديد بامريكا لأنها قامت بغزو « جرينادا » وتعمل على إجهاض الثورة في « نيكاراجوا » ، وتؤيد وتدعم إسرائيل - كل هذا حسن وطيِّب ، ولكن .. لماذا هذا الصمت المريب عن افغانستان وما تخضع له من عدوان سافر ؟

إن امريكا وروسيا وجهان لعملة واحدة ، يعملان معاً على هدم الإسلام واقتلاع جذوره من أخصب أرضه .. فلنفق من غفلتنا ولندرك الأخطار الحقيقية المحيطة بنا ..] .

○ وحول القضية نفسها - افغانستان - بعث الأخ أسامة أحمد علي - من مصر ايضاً - برسالة يقول فيها :

[... في جنيف : أزاح تقرير أمام لجنة حقوق الإنسان عن بشاعة ما ترتكبه القوات الروسية في افغانستان من تدمير القرى باكملها والمحاصيل الزراعية ومصادر المياه إلى تسميم الماشية وقتل الأسرى من المجاهدين ، ومذابح للمدنيين ، وعمليات تعذيب للمسجونين السياسيين (٥٠ ألفاً) شملت استخدام الصدمات الكهربائية ونزع الأظافر ومنع المسجونين من قضاء حاجاتهم الضرورية لفترات طويلة ، ونزع لحاهم ، وإطلاق الكلاب البوليسية عليهم وتعليقهم من أطرافهم لفترات طويلة ..

وإذا استمر الروس في تصعيد أعمالهم الوحشية على هذا النحو ، فنخشى ألاّ يكون لدى فصائل الجهاد من الوسائل ما ترد به في المدى البعيد ، صحيح أن المجاهدين صامدون بفضل الله ثم بقوة إيمانهم وشجاعتهم النادرة ، ولكن يبقى على المسلمين في العالم شعوباً وحكومات أن يقوموا بواجبهم ، لا بالمساعدات المعنوية فحسب ، ولكن بالسلاح المتطور الحديث أولاً ...] .

○ وبعث الأخ عبد العزيز ثابت - من تعز - برسالة إلى « الواحة » تقول :

[... إنني اجد في « الأمـة » وفي كتبها التسعة - التي صدرت حتى الآن - قبساً من النور وسط هذه الظلمة الحالكة التي يعيشها المسلمون اليوم ، والتي لم يعهدها تاريخهم منذ قيام دولة الإسلام .. حتى أيام الغزوين - الصليبي الغربي والمغولي الشرقي - لم يخضع المسلمون ، بل ساروا تحت راية التوحيد ، يعيدون للأمة الإسلامية مجدها ، وفي مقدمتهم القادة والزعماء : صلاح الدين ، وقطز ، وبيبرس ، والعلماء : عز الدين بن عبد السلام ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ... فاين مثل هؤلاء الآن ؟!

من هنا ، وفي هذا الظرف بالذات تأتي أهمية مجلة « الأمة » - في جهادها بالكلمة - ملتزمة في منهجها ما ألزم الله تعالى به رسوله ﷺ من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .. مثلما تأتي الظواهر الطيبة : من جهاد المسلمين في افغانستان ، وصمودهم في لبنان أمام قاذفات القنابل وراجمات الصواريخ ... « والمعونة من الله تعالى على قدر الحسبة » ، كما قال خالد عندما عزم على قطع المفازة بجيشه من العراق إلى الشام ليمد أبا عبيدة ، فرحم الله من سار على دربهما ...] .

○ وحول قضية المسلمين في بلغاريا - بعث الأخ عامر احمد صلاح - من الأبيَض - بالسودان يقول :

[... يتعرض مسلمو بلغاريا للاضطهاد والقهر والقتل والتعذيب ليتخلوا عن دينهم ويغيروا أسماءهم .. وهذه الحملة تنفذها حكومة بلغاريا بقوة البوليس والميليشيات المزوَّدة بالهراوات والبنادق ، حيث يُضرب ربّ العائلة أمام أفراد عائلته ، ويجبر على التوقيع على بطاقة خاصة بتغيير الأسماء ، وكثير منهم رفضوا ذلك فضربوا حتى الموت ..

هل يمكن أن يصدق احد أن هذا الأمر يحدث في أي مجتمع إنساني في نهايات القرن العشرين ؟! ولكنها الحرب المعلنة التي لا تعرف حدوداً ضد الإسلام والمسلمين ...] .

○ وحول القضية نفسها جاءت رسالة الأخ محمد سالم محمد المعني - من شمال سيناء - بجمهورية مصر العربية ..

ردود خاصة

■ الاخ ع . ض - فاس - المغرب ..

●● « الأمـة » ليست جهة الاختصاص بجمع تبرعات للمجاهدين ، وهناك هيئات ومؤسسات إسلامية تقوم بهذا العمل ، نشكر لك اهتمامك .

■ الاخ محمد شاكر أشبينو - تونس ..

●● الخبر الذي انتشر حول رائد الفضاء الذي سمع الأذان على سطح القمر واعتنق الإسلام فيما بعد - غير صحيح - ونعتقد بأن الإسلام ليس في حاجة إلى أن يلتمس له الناس مثل هذا الكلام لإثبات صحته ، ولعلَّ الغرض من ذلك هو الإمعان في إلهاء البسطاء من المسلمين عن قضاياهم الحقيقية الحيوية .

■ الاخ محمد رضا مصطفي المطيري - نجع حمادي - مصر ..

●● نحن نرحب بجميع الآراء ، حتى وإن جاءت مخالفة لما نراه - وذلك من منطلق إسلامي - بشرط أن تكون موضوعية ، وباب المناقشة مفتوح على صفحات « الأمة » للإخوة جميعاً حول القضايا التي تهم المسلمين .. نشكر لك مناصحتك .

■ الاخ إبراهيم السيد خليفة - منية النصر - دقهلية - مصر ..

●● نأسف لعدم استطاعتنا إجابة طلبك بشأن الكتب والمجلات العلمية والطبية ، أما عن كيفية الاشتراك في « الأمة » فهي واردة بالصفحة الثانية من جميع أعدادها .

■ الاخ أحمد محمد السيد الشرنوبي - طلخا - مصر ..

●● لا توجد قيود ولا شروط للنشر في « الأمـة » سوى أن تكون المادة مفيدة وجيدة المستوى ، ويمكن معرفة ذلك من خلال متابعة ما ينشر بالفعل ، وعنوان الدكتور يوسف القرضاوي :

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

دولة قطر — الدوحة

■ الاخ مصطفى المصري - بيروت - لبنان ..

●● عنوان المركز الإسلامي في مدينة آخن بألمانيا الغربية :

ISLAMISCH ZENTRUM
BILAL — MOSCHEE
51 AACHEN, West Germany,
PROF. PIRLET STRABE

■ الاخ احمد حسن - القاهرة ، والاخ الدكتور الرضي جمعة الرضي ، اسيوط ..

●● يؤسفنا الاعتذار عن عدم إجابة طلبكما ؛ لأنه ليس بمقدورنا .

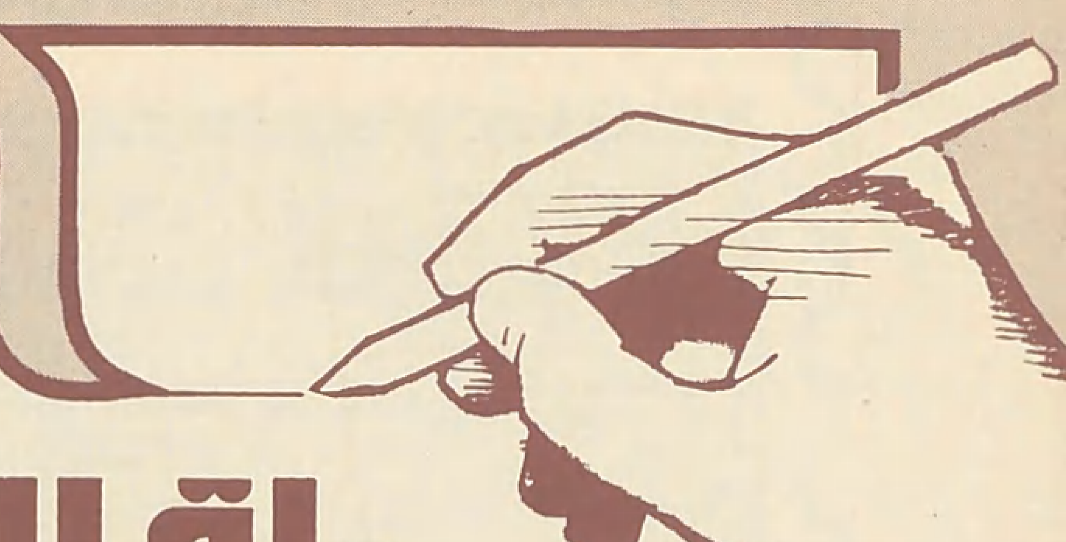

باقلام القراء

إلى الشَّـــهيد ..

غَدَوْتَ لِدينِ اللَّـهِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ
سَعيداً بِتَقْوى اللَّهِ في السِّرِّ والجَهْرِ
تَخِـذْتَ مِنَ القُرْآنِ نَهْجاً وَشِرْعَـةً
وَمِنْ سُنَنِ الهادي دَليلاً إلى الخَيْرِ
فَمَا إنْ عَرَفْتَ الحَقَّ حَتَّى جَلَوْتَهُ
لِمَنْ قَدْ نَسَوْهُ أو تَنَاسَوْهُ عَنْ كِبْرِ
وَقُلْتَ وَقَـدْ غَشَّتْ زَمَـانَـكَ كُـدْرَةٌ
سَيَنْحَسِرُ اللَّيْلُ البَهيمُ عَنِ الفَجْـرِ
سَتَحْيا البَرايا تَحْتَ ظِلِّ عَقيدَةٍ
تَشِعُّ بِفَيْضِ الأمْنِ والسِّلْمِ والبِشْرِ
وَقَفْتَ أَمـامَ الكُفْرِ تَقْـرَعُ سَمْعَـهُ
بِـذِكْـرِ إلـهِـيٍّ تَقَـدَّسَ مِـنْ ذِكْـرِ
وَلَمْ تَخْشَ مَثْوىً بالسُّجُونِ ، فَإنَّها
لِدَاعِيَةِ الإسلامِ جِسْرٌ إلى النَّصْـرِ
وَقَفْتَ فَـأرْدَاكَ البُغَـاةُ لِيُخْـرِسُـوا
لِسـاناً دَعـا لِلَّهِ ، لِلْعَـدْلِ ، لِلْبِرِّ
رَأَوْا أَنَّ ما تَدْعُو إلَيْهِ مِنَ الهُدىٰ
سَيَنْقُضُ مَـا قَدْ شَيَّدُوا مِنَ الكُفْرِ
فَمتْ شَـهيـداً والشَّـهَادَةُ مُنْيَـةٌ
لِمَنْ خَبَـرَ الدُّنْيـا الخَليقَةَ بـالهَجْرِ
وَرَفْـرَفَتِ الـرُّوحُ الـزَّكِيَّـةُ وانْتَشَتْ
هُنَالِكَ في الجَنَّـاتِ تَسْبَحُ كـالطَّيْرِ

الحرشي مصطفى ـ [المغـرب]

قصـة قصـيرة :

القاضـــي

●● كان المصلُّون قد فرغوا لتوّهم من صلاة العصر ، عندما وصل إلى جامع قرطبة الكبير ، رجل في الخمسين ، رث الثياب ، وكان القاضي محمد بن عبد الله يتهيّأ لأخذ مجلسه في ركنه المعهود ، ليقضي في الناس ، مسح الرجل المكان بنظرة واتجه حيث القاضي ، قال بصوت جاهد ان يجعله هادىء النبرات :

ـ سيدي القاضي ، جاري سلبني داري ، أمر خادمه واتباعه بإلقاء متاعي على الطريق ، وهددني بالقتل إذا ما جئت إليك .

... ولم يستطع متابعة حديثه ، فاجهش بالبكاء ، تجهم وجه القاضي ، ربت على ظهر الرجل مهدئاً مواسياً ، وامسك بقلمه ، غمسه في المحبرة ، وراح يكتب في قرطاس أمامه ، وانتظر ريثما جف المداد ، وقدمه للرجل قائلاً :

ـ اذهب به سلمه جارك وعد إليَّ .

ـ لا استطيع الذهاب ياسيدي ، اخاف منه على نفسي ، لقد سمعنا انه سيقلد حكم المدينة .

ـ قلت لك اذهب إليه ، إنّي آمرك .

باصابع مرتعشة ، مرتبكة ، اخذ الرجل الرسالة وانصرف ، اعتذر القاضي لجلسائه ، وراح يواصل ما انقطع من حديث ، حتى اقبل الرجل وقال وهو يلهث من فرط الجهد الذي بذله :

ـ سلمت إليه رسالتك ، عن بعد ، ثم هُرعت إليك .

ـ اجلس ، استرح ، سيحضر ، إن شاء الله سيحضر .

واعتذر لجلسائه وراح يواصل الحديث ، حتى ارتفع صخب وضجيج وصهيل خيل خارج المسجد ، وما لبث ان دخلت مجموعة من الناس ، يتقدمهم رجل انيق الملبس ، قال وهو يقف أمام القاضي :

ـ لماذا طلبني القاضي أطال الله عمره ؟

لم ينتظر لسؤاله إجابة ، فجلس بعيداً عن الجالسين ، مستنداً بظهره لحائط المسجد ، فقال القاضي موجهاً إليه الحديث وهو يشير بيده :

ـ قم هاهنا ، فاجلس بين يديّ بجانب خصمك .

ـ اصلح الله القاضي ، إننا في المسجد ، والمجالس فيه واحدة ، لا فضل لبعضها على بعض .

ـ قم هاهنا كما امرتك ، واجلس بين يديّ بجانب خصمك .

بغضب قام من مجلسه ، والاشمئزاز يرتسم على صفحة وجهه ، جلس في المكان الذي حدده القاضي .. ثم إن القاضي تجاهله وقال موجهاً الحديث إلى جاره الذي كان يلهث من فرط الجهد الذي بذله والخوف الذي احسه بدخوله :

ـ قل ما عندك الآن .

ـ هذا الرجل سلبني داري ، وأمر خدمه واتباعه بإلقاء متاعي على الطريق ، وهددني بالقتل إذا ما جئت إليك .

قال القاضي للرجل المتكبر :

ـ ماذا تقول فيما نسب إليك ؟

قال وهو يخفي شعوراً بالغيظ تملكه :

ـ حدث هذا في لحظة غضب ، وكان من حقي عليه ان ينتظر حتى يزول غضبي ، قبل أن يرفع الامر إليك .

ـ بالله عليك ما هو موقفك لو كان جارك هذا قوياً ؟

ولم يترك له فرصة للرد عليه ، واستطرد قائلاً بلهجة مرة :

ـ كما امرت خدمك واتباعك بإخراج متاعه وإلقائه على الطريق ، عليك ان تامرهم بإعادته إلى مكانه تحت سمعك وبصرك لتتاكد انهم لم يتلفوا منه شيئاً ، بعد ذلك سلم لجارك داره ، اذهب نفّذ ما قلت الآن ، وإلّا سيكون لي معك شان آخر ، وسكت برهة ، التفت خلالها إلى ثلاثة شيوخ من جلسائه قائلاً لهم :

ـ اذهبوا معه لتكونوا شهوداً على تنفيذ ما أمرت به .

انصرف الرجل ، يتبعه خدمه واتباعه ، وخرج الشيوخ الثلاثة في أثرهم ، فقال القاضي لصاحب الشكاية الذي كان في ذهول مما يسمع ويرىٰ :

ـ انت ايضاً ، اذهب معهم ، لا تتحدث مع جارك او مع احد من اتباعه ، وارقب ما يحدث ، ثم ارجع إليّ لتخبرني بالذي جرىٰ .

وما هي إلّا ساعة او بعض ساعة حتى اقبل الرجل يهتف صائحاً وقد تهللت اسارير وجهه بالسعادة والبشر والسرور :

ـ سيدي القاضي ، جزاك الله عني خير جزاء ، لقد نفّذ جاري ما امرت به .

قاطعـه القاضي قائلاً :

ـ بل بما أمر الله ورسوله ، اذهب يا أخي معافىً ، ولا تَنْسَنا من صالح دعائك .

واعتذر لجلسائه وراح يواصل ما انقطع من حديث .●●

عبد الحميد أبو عيسى
دقهليــة [ج . م . ع]

فرســـــان الفجـــر المقبـــل

●● كتب الأخ محمود الخوالدة من الأردن :

قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾

كانت لحظات لا تُنسى .. وقفت فيها أُودع جمعاً من شباب الإسلام وإخوة العقيدة .. بعد أيام قضيناها معاً كانت أروع ما مرَّ من عمري ..

كانت لحظات صعبة .. لم أتمالك نفسي فيها .. فإذا بالدمع ينزل مدراراً .. واختنقت كلمات الوداع .. وكان مشهداً لا أنساه ما حييت يثير في النفس شجوناً وشجوناً .

لم تكن مجرد عاطفة جيَّاشة كالتي تنتاب الأحبة دائماً عند الفراق .. ولكنها كانت أبعد وأعلى من ذلك بكثير .. إنها المعاني السامية .. أسمى من معاني هذه الأرض جميعاً ..

لقد كنت أرى شباباً يلوح في محيَّاهم الطهر .. شباباً صافياً آثر الآخرة .. في وجهه نور السماء .. وكأني أحيا معهم أيَّام النبي ﷺ وصحابته الكرام .. فأعظم وأنعم بها من أخوّة ..

إننا نحيا في لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .. إلى هؤلاء وغيرهم أهدي هذه الأبيات :

مِنْ فَيْضِ قَلْبي مِنْ مِدادِ دُموعي ... مِنْ فَرْحَةٍ سَكَنَتْ بِكُلِّ ضُلوعي
أَخْتَطُّ بِالقَلَمِ المُعَنَّىٰ صَفْحَةً ... بَلَّلْتُ أَسْطُرَها بِماءِ دُموعي
أَهْدَيْتُها فُرْسانَ فَجْرٍ مُقْبِلٍ ... مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ في أَتَمِّ طُلوعِ
هُمْ إِخْوَةٌ في اللَّهِ أَلْمَحُ فيهِمُ ... بَدْرَ الصَّحابَةِ في بَهاءِ سُطوعِ
عَرَفوا طَريقَ الحَقِّ أَبْلَجَ نَيِّراً ... فَأَبَوْا دُروبَ دَنِيَّةٍ وَخُنوعِ
وَعَرَفْتُ إِخْواناً تَفيضُ قُلوبُهُمْ ... بِعَزيمَةٍ وَتَبَتُّلٍ وَخُشوعِ
فَمَضَوْا دُعاةً يَهْتِفونَ بِقَوْمِهِمْ ... هَلَّا لَكُمْ لِعَقيدَةٍ بِرُجوعِ
أَنْعِمْ بِنَهْجِ اللَّهِ يَجْمَعُ بَيْنَنا ... أَنْعِمْ بِدينِ اللَّهِ مِنْ تَشْريعِ
إِنْ عِشْتُ بَيْنَهُمُ شَعَرْتُ بِلَذَّةٍ ... رَوَّتْ شِغافَ القَلْبِ مِنْ يَنْبوعِ
لَوْ ذاقَها أَهْلُ العُروشِ تَجَهَّزوا ... يَبْغونَنا بِصَوارِمٍ وَدُروعِ
هَيْهاتَ .. لَكِنْ مَن يَعيشُ بِظُلْمَةٍ ... هَلْ يَسْتَوي مَع حامِلٍ لِشُموعِ ؟
هَلْ يَسْتَوي مَنْ قَدْ أَضَلُّوا أُمَّةً ... مَعَ مُصْلِحٍ أَوْ مُرْشِدٍ لِجُموعِ ؟

الفـــرار إلى الله

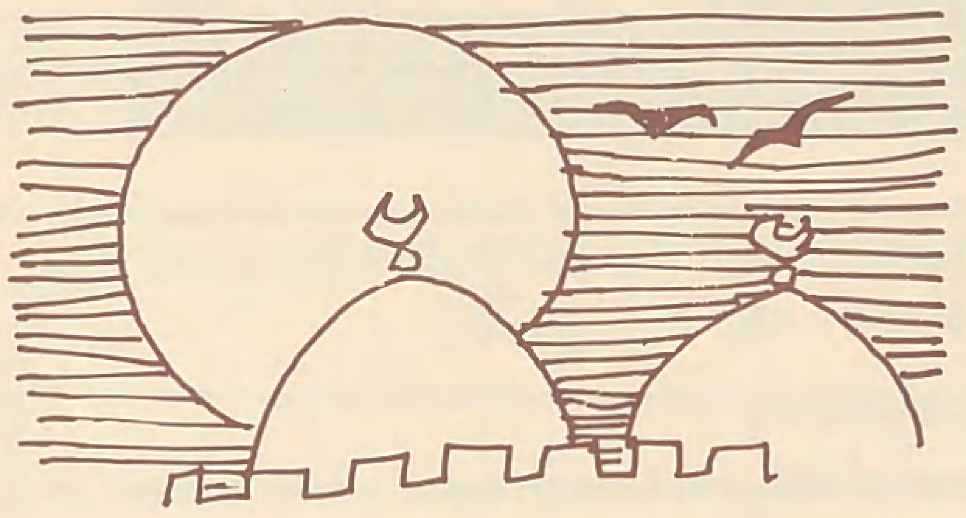

●● ما أجمل العودة إلى الحق ، ولو بعد طول إعراض عنه .

ما أحسن الصواب والاهتداء إليه ، ولو بعد امتداد الحبال من الإنسان في الضلال والخسران . إن رحمة الله التي وسعت كل شيء لا تضيق منافذها الرحبة عن قبول أي تائب مخلص عائد من حمأة الكفران إلى صراط الإيمان ، ومن ظلمات الرذيلة إلى نور الفضيلة .

قد يستذل الشيطان إنساناً فيرديه في المهالك ، ويغرقه في طوفان الإثم ، ويطول الزمن بهذا الإنسان أو يقصر ، ثم تتحرك في أعماقه نزعة الفطرة الإلهية ، وتضيء في صدره شعلة الهداية الربانية ، فإذا به ترتجف أعضاؤه من حديث ربه إليه معاتباً محاسباً : ﴿ يا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار : ٦ ـ ٨) .

وإذا هو يرتفع بنفسه من حضيض الإثم والمعصية إلى محراب الطاعة والفضيلة ، والله جلَّ جلاله يدعو عباده الشاردين : عن رحاب طاعته ورضاه : لكي يسارعوا بالرجوع إلى مواطن محبته وهداه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ (الزمر : ٥٤) .

كم من أُناس أسرفوا في الباطل ، وتوسعوا في الإثم ، ثم أدركتهم عناية الله سبحانه ، فإذا هم يقلعون عن غيّهم ، ويفرون من سيئات ماضيهم ، ويقبلون على رحاب ربهم ، يغسلون بدموع الندم والتوبة أقذار آثامهم وذنوبهم ، ويهدمون بأيدي العزيمة والشدة آثار بغيهم وطغيانهم ، ويشيدون بجدهم واجتهادهم صروح طاعاتهم وقرباتهم ، وإذا هم من الصالحين السعداء ، بعد أن كانوا من الأشقياء التعساء ، وإذا هم من المجاهدين الشهداء ، أهل التضحية والبذل والفداء ، بعد أن كانوا يناصبون الإسلام والحق أشد العداء .

... لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. ما داموا على صراط يقينهم ثابتين وبعزة ربهم مسستنصرين . ●●

محيي الدين أبو جبل ـ [لبنان] ـ البقاع

قراءة ثقافية

المؤتمر الثامن لمكتب التربية العربي لدول الخليج

■■ عقد بالدوحة في الشهر الماضي (من ٣ ـ ٦ رجب) المؤتمر الثامن لوزراء التربية والتعليم والمعارف لمكتب التربية العربي لدول الخليج ، وشارك فيه وزراء التربية في قطر والإمارات والبحرين والكويت والسعودية والعراق وعمان ، ووفد مكتب التربية العربي برئاسة الدكتور محمد الأحمد الرشيد المدير العام .

وكانت جامعة الخليج العربي التي أقيمت بالبحرين هي القضية الرئيسة التي ناقشها المؤتمر هذا العام ، حيث بحث ما تم تنفيذه من قرارات المؤتمر السابع الخاصة بالجامعة ، والتعديلات المقترحة على بعض مواد النظام الأساسي ، والميزانية المقترحة ونقل مشروع إنشاء الجامعة إلى رئاسة الجامعة ، وتقرير الموازنة ، وتنمية موارد الجامعة .

هذا وقد اشتملت توصيات المؤتمر على سبعة وثلاثين قراراً تناولت شؤون مكتب التربية العربي ، وأوجه التعاون مع المنظمات الثقافية والجامعات المختلفة ، والتعاون بين مكتبات جامعات الدول الأعضاء في المكتب كما بحثت هذه التوصيات مختلف الشؤون والقضايا المطروحة في نطاق العملية التعليمية في دول الخليج كالابتعاث والكتب وتطوير المناهج .

وفيما يختص بالمشروعات المقترحة ، فقد دعا المدير العام للمكتب لإحالة مشروع تطوير تدريس اللغة العربية لأبنائها إلى المركز العربي لدراسة إمكان القيام بالمهام التي وردت في المشروع ، كما وافق المكتب على إجراء دراسة للجدوى من إنشاء جامعة مفتوحة لدول الخليج العربي ، وحول مشروع الصناعات التربوية في الدول الأعضاء ..

ومن المعروف أن بداية عمل مكتب التربية العربي لدول الخليج قد انطلقت من فكرة أساسية هي أن البلاد المطلة على الخليج العربي تُكوِّن إقليماً واحداً في لغته وسكانه ودينه الإسلامي ، كما أنها متقاربة في الناحية الجغرافية والثقافية والعادات والسلوك والأمجاد التاريخية ، بالإضافة إلى أن ظروف الحياة الاجتماعية والثقافية والعادات والسلوك كلها متشابهة .. ومن هنا كان الحرص المشترك على توحيد أهداف التعليم والأسس العامة للمناهج ، والتنسيق والتكامل في عمليات تنمية التعليم وتطويره إذ هو يبني أجيال المستقبل ، وذلك عن طريق إبراز الشخصية الإسلامية وحاجاتها الروحية والمادية .

وقد قرر المجتمعون أن يكون مؤتمرهم التاسع القادم في دولة الإمارات العربية المتحدة . ■■

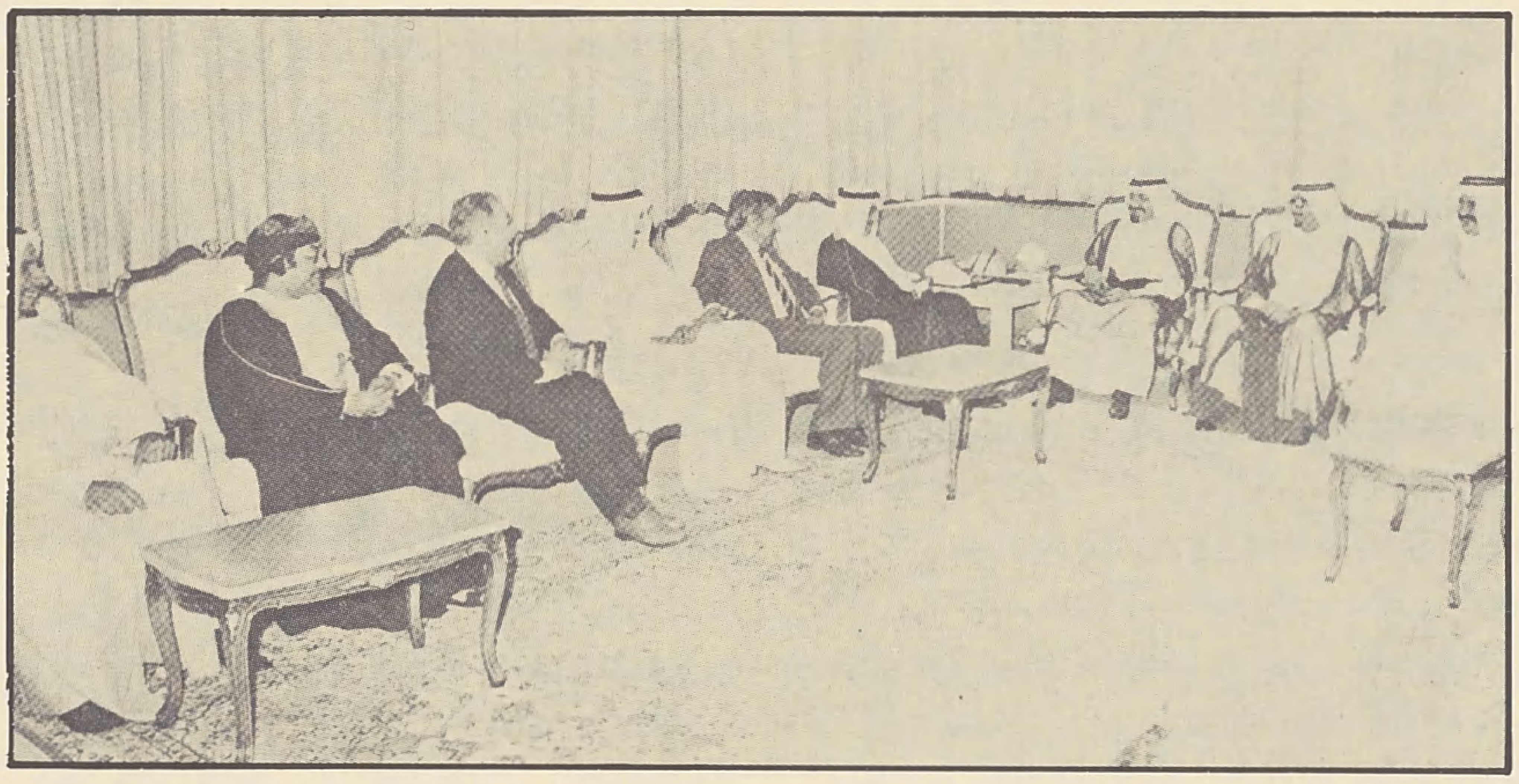

■ صاحب السمو أمير دولة قطر لدى استقباله وزراء التربية والتعليم والمعارف بدول الخليج ■

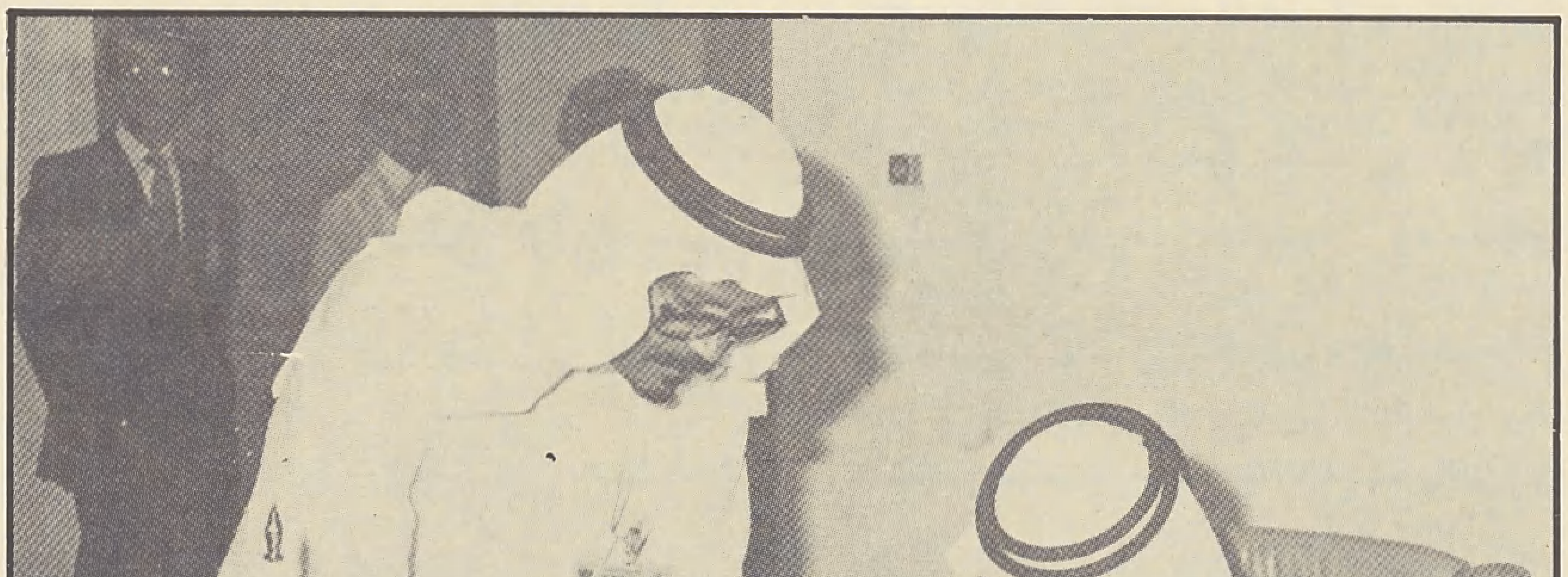

■ معالي الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم ، يعتمد بتوقيعه إعلان مكتب التربية لأخلاقيات مهنة التعليم ■

متابعات ثقافية

■ بهدف تشجيع الاهتمام بالحضارة الاندلسية ، عقد مؤخراً « المؤتمر الأول للحضارة الأندلسية » بالقاهرة .. ويأتي المؤتمر بعد سلسلة من الندوات العلمية المتخصصة عقدت على مدار السنين الماضية في بعض المدن الأندلسية (إسبانيا حالياً) وبعد آخر مؤتمر عقد لهذا الغرض في قرطبة عام (١٩٦٤م) ، وقد حضر المؤتمر باحثون متخصصون في مختلف فروع الحضارة الأندلسية في جامعات العالم العربي ، كما حضره مستشرقون من مختلف انحاء العالم ..

■ ذكرت نشرة أخبار التراث التي يصدرها معهد المخطوطات العربية أن فهرساً لمخطوطات الطب الإسلامي في تركيا قد صدر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استانبول ، ويشتمل الفهرس على حصر لكتب الطب الإسلامي الموجودة في (١٢٩) مكتبة في تركيا ، كما يحتوي على معلومات عن (٤٥٠) مؤلفاً ، و (١٠٠) مترجم وشارح .. وقد بلغ عدد الكتب التي احتواها الفهرس حوالي (ألف) كتاب .

وقد ادرجت الكتب وفق الترتيب الهجائي لأسماء المؤلفين ، كما أدرجت مؤلفات كل مؤلف تحت اسمه ، وقدم وصف للنسخ الموجودة منه في المكتبات ، وارقام حفظها ، وغير ذلك من المعلومات الهامة عن النسخ الموجودة ، وجاء الجزء الرئيس من الكتاب باللغة العربية .

■ يعقد في البحرين في الفترة من (١٢ ـ ١٥) مايو [أيار] مؤتمر عالمي عن (العمران الإسلامي .. نظرة مستقبلية وإمكانية تطبيقية) ، ويبحث عدداً من الموضوعات الهامة التي تتناول التراث العمراني الإسلامي ، وتنظمه جمعية المهندسين في البحرين ..

ويهدف المؤتمر إلى تجاوز التنويه والتذكير باهمية وعظمة فنوننا الإسلامية إلى التاكيد على اهمية وضع الخطوات التطبيقية والالتزام المهني على مستوى الأفراد والمؤسسات الرسمية والشعبية حتى تعود للحضارة الهوية الإسلامية الاصيلة .

■ عن لجنة المخطوطات والتراث في جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت صدرت نشرة جديدة تُعنى بشؤون التراث الإسلامي .. وتحتوي النشرة ـ التي تعد إضافة جديدة وهامة في مجال التراث الإسلامي ـ على عدة أبواب منها : إصدارات جديدة ، وخزائن المخطوطات الأصلية ، والمؤلفون الكويتيون ، وعرض لأسماء فهارس المخطوطات في خلال القرن الماضي والحالي ، وأخبار الرسائل التي تقدم في الجامعات العربية .. بالإضافة إلى الأخبار التراثية العامة التي تعرض لها النشرة .. وما صدر من المؤلفات في علوم القرآن الكريم .

التعبير بالصورة

أطفال الجنوب اللبناني ..

هل يواجهون الإرهاب الإسرائيلي وحدهم ؟

[الحزن في عيونهم .. والسلاح في أيديهم]

يـوم القرآن الكريم
الخامـس والعشـرون

■■ القرآن عدة روحية وحصانة فكرية وضمانة خلقية ، يحمي عناصر الأمة من الذوبان ويحصنها ضد الانحلال والانزلاق .. وهو ما ادركته وزارة التربية والتعليم بدولة قطر فجعلت من سننها المحمودة التي تشكر عليها (مراكز لتحفيظ القرآن) في مختلف مناطق الدولة ويوماً لتكريم الحفظة من الطلاب والمواطنين ، مؤكدة بذلك ان رصيد حفظ القرآن ، رصيد سلوكي وعلمي وتربوي ليس للصغار فحسب وإنما للمسلم في مراحل حياته المختلفة .. ولا شك في ان ما تنفقه الوزارة على المكافآت التشجيعية للحفظة ، يعد من باب وضع المال في موطنه الطبيعي لبناء الإنسان الفعَّال القادر على العطاء .. وعلى الرغم من انها تؤدي دورها في هذا المجال ، إلَّا انه يُنتظر منها الكثير ايضاً .

وفي الثامن عشر لشهر رجب ١٤٠٥هـ [٨ ابريل (نيسان) ١٩٨٥م] ، احتُفل بيوم القرآن الكريم الخامس والعشرين .. حيث وزعت الهدايا على الفائزين في المسابقة السنوية التي تنظمها الوزارة لحفظة كتاب الله .. وهي المسابقة التي تنقسم عادة إلى قسمين :

● المسابقة العامة : وهي مفتوحة لكل المواطنين من الجنسين ، ويشترط فيها ان يكون المتقدم حافظاً لكتاب الله كله او حافظاً لقدر منه لا يقل عن خمسة اجزاء .. وبلغ عدد المشتركين في مسابقة هذا العام (٢٩٢) حافظاً وحافظة ، من بينهم (٢٦) حافظاً للقرآن كله نجح منهم (١٩) حافظاً .

● المسابقة المدرسية : وهي تشمل كل المراحل التعليمية ، بدءاً بالتعليم الأهلي فالتمهيدي ثم المرحلة الابتدائية فالإعدادية والثانوية ، حيث يُمتحن الطالب في مقررات سني دراسته كلها ، وقد يصل المقرر إلى ثلاثة اجزاء بالنسبة لطالب المرحلة الثانوية .. وتقدم للاشتراك في مسابقة هذا العام (٢٠٦٣) طالباً وطالبة ، نجح منهم (١٧١٣) طالباً وطالبة ..

وبيلغ اصغر حافظ للقرآن من العمر (١٣) سنة ، حفظ القرآن في عشرين شهراً ..

وبهذه المناسبة ، القى السيد عبدالعزيز عبدالله تركي وكيل وزارة التربية والتعليم كلمة اشار فيها إلى انَّ الاحتفال سنَّة مباركة لتكريم حفَّاظ كتاب الله كل عام .. وان [نبتة التكريم لحفَّاظ كتاب الله انطلقت مع اللحظات الأولى لتاسيس النهضة التعليمية في دولتنا الفتية ، وتوالى الاحتفاء بهم عبر السنين] ..

وقـال :

[... إن القرآن الكريم سبيل وحدتنا وعزتنا ، فتحت راياته ازدهرت حضارتنا وقويت شوكتنا وتلاحمت صفوفنا وتوحدت قلوبنا ... إن الذي يستظل بالقرآن ، دستوراً لحياته ومنهجاً لسلوكه ونبراساً يضيء له معالم الطريق في دنياه وآخرته ، هو ذلك الفرد الإيجابي الذي لا تفتر إرادته ولا ينثني عزمه ولا تتبدد آماله] ..

واضـاف :

[... إن الإسلام ليس تاريخاً يُقرا ولا مجرد عقيدة تدرس وإنما هو اسلوب شامل في الحياة يستلزم التدبر المتواصل والتامل المستمر والاجتهاد الذي يمتد على طول الزمان لكي يلائم الناس بين حياتهم ومشكلاتهم ويبين رسالة الله إليهم] .

كما القى فضيلة الشيخ رافت محمد وافي رئيس توجيه العلوم الشرعية بالوزارة كلمة اكَّد فيها على عظمة القرآن وانه جدير بهذه العناية [فإليه يرجع الفضل فيما تشرَّف به المسلمون عامة والعرب خاصة من عزٍّ ومجد في كل ادوار حياتهم وتاريخهم] .

وقـال :

[... لقد عرف المسلمون في السابق فضل القرآن وما اتمّ الله عليهم من النعمة فجعلوه وِرْد ارواحهم ومنهاج حياتهم] .. إنه [الدستور الجامع لاحكام الإسلام ، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة ، وهو افضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى] .

وفي نهاية الاحتفال قام سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم بتوزيع الجوائز والهدايا على حفظة القرآن الكريم .. ■■

■ سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم يكرم حفظة القرآن الكريم ■

المؤتمـر الأول
لمنظمة الطلاب الإسلامية
بكـيرلا - الهنـد

■■ عقدت منظمة الطلاب الإسلامية ، فرع كيرلا جنوبي الهند ، في فبراير [شباط] الماضي مؤتمرها الأول بحضور اكثر من (٥٠) ألفاً من الطلاب والشباب المسلم وغير المسلم . كما حضرته شخصيات إسلامية وفكرية من داخل الهند وخارجها كان من بينها فضيلة الشيخ « ابو الليث علي الندوي » امير الجماعة الإسلامية بالهند والمفكر « رجاء جارودي » ، وقادة المنظمات الشبابية للاحزاب السياسية المختلفة ..

وقد افتتح المؤتمر الذي عقد في معسكر « دار الإسلام » في مكان بالقرب من « كاليكوت » في كيرلا ، واستمر لثلاثة ايام ، الشيخ « ابو الليث الندوي » الذي اكَّد في كلمته على دور الشباب في إحداث التغيير المنشود في المجتمع ، مشيراً إلى ان هذا التغيير يبدا بتغيير الفرد نفسه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١٣) .

وقال الشيخ : [إن الشباب ثروة غالية لا تقدر قيمتها ، ومصير كل دولة وكل مجتمع مرتبط إلى حدٍ كبير بالشباب] .

وفي إشارة لقرار الأمم المتحدة باعتبار عام ١٩٨٥م عام الشباب قال الشيخ الندوي : [... لا غرو ، أن تولي الجماعة الإسلامية التي تستهدف بناء مجتمع إسلامي ، اهتماماً كبيراً بشؤون الشباب والطلاب منذ تاسيسها] .

وقدمت في المؤتمر عدة محاضرات ، كما عقدت ندوة فكرية اشترك فيها زعماء منظمات طلابية تمثل وجهات نظر وتيارات مختلفة ، حيث اتفق الجميع ، برغم اختلافهم حول كثير مما طُرح ، على ضرورة تغيير المناهج الدراسية المعمول بها حالياً في المدارس والكليات والجامعات ، فهي لا تؤدي لتكوين « إنسان فعَّال » .

جُورباتشيف يتبنّى النهج التحريفي ويخشى المد الإسلامي من أفغانستان

■■ ظهرت أول بوادر الخلاف داخل المعسكر الشيوعي حول التوجهات الفكرية والسياسية للزعيم السوفييتي الجديد ، ميخائيل جورباتشيف ، من خلال الهجوم العنيف الذي شنَّه النظام الشيوعي في البانيا ، والذي وصف فيه « الرجل القوي في موسكو » بانه اسم جديد لسياسة قديمة .. فقد اكّدت صحيفة « زيري آي بوبيليت » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الألباني ان : الأساليب التي انتهجها « جورباتشيف » بل وسينتهجها في المستقبل ترمي إلى دفع الخط التحريفي الذي تبنّاه الزعيم السابق « خروتشيف » ، وقالت : إن الضجة التي تثار حول السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي في الداخل والخارج تستهدف إضفاء اهمية شخصية على هذا الرجل القادم من الريف والذي كانت ميزته الكبرى انه على علاقة بـ « اندروبوف » ..

ويرى المراقبون ان الصحيفة تشير إلى سيل الكتابات التي ظهرت في الغرب عن الزعيم السوفييتي الجديد ، ومنها الكتاب الذي صدر مؤخراً « جورباتشيف .. سيرة حياته » للصحفي الأمريكي « توماس بوتسون » ، مساعد رئيس قسم الأخبار في صحيفة « نيويورك تايمز » ، ويقول فيه : « إن نجم جورباتشيف بدأ في الصعود عندما اصبح المستهلك السوفييتي يلقى عناية من حكومته .. » .

هذا من ناحية السياسة الداخلية ، اما على صعيد السياسة الخارجية ، خاصة فيما يتعلق بقضية افغانستان ، فإن توجهات الزعيم السوفييتي الجديد قد اسفرت عن صفقة امريكية - سوفييتية تمت مؤخراً ، وجرى فيها الربط بين قضية افغانستان وحرب الخليج ، واعتبارهما قضية واحدة متصلة بالأوضاع الأمنية لمنطقة جنوبي الاتحاد السوفييتي اكثر منها مسالة متصلة بالقضية الفلسطينية او بالأزمة اللبنانية ..

وكانت صحيفة « السياسة » الكويتية قد اشارت إلى ان هذا الربط استمد قوته الضاغطة من وصول ممثلي جنوبي الاتحاد السوفييتي إلى الكرملين ، وابرزهم الزعيم السوفييتي الجديد « ميخائيل جورباتشيف » و « حيدر عليف » ، وهما ضمن المجموعة الأكثر تشدداً تجاه اي مد إسلامي إلى مسلمي جنوبي الإتحاد السوفييتي المجاورين لأفغانستان .

واكدّت الصحيفة ان اجتماعاً سرياً - امريكياً سوفييتياً - عقد (يوم الأحد ١٧ مارس [آذار] ١٩٨٥م) لمنع توسيع رقعة الحرب ولمنع الإخلال بالتوازن التقليدي في المنطقة ، او بالأحرى منع اجتياح اي من طرفي الحرب للطرف الآخر .. وتضيف الصحيفة : غير ان ذلك لا يعني - حسب قناعة واشنطن وموسكو - ان الحرب ستتوقف في المستقبل المنظور ..

والمعروف ان نشاط المجاهدين الافغان قد امتد إلى داخل روسيا نفسها حتى صار نفوذهم هناك مشكلة للحكومة الروسية وللحزب الشيوعي السوفييتي ، وقد صرح احد قادة المجاهدين مؤخراً بان اربعة ملايين كتاب إسلامي تم توزيعها في الجمهوريات الإسلامية المحتلة جنوبي الاتحاد السوفييتي باللغات المحلية عن طريق المجاهدين الافغان ..

ومن ناحية اخرى ، ذكرت وكالة انباء رويتر (٣١ مارس [آذار] ١٩٨٥م) ان الرئيس الباكستاني « ضياء الحق » يعتقد « ان الزعامة السوفييتية الجديدة - في ظل « ميخائيل جورباتشيف » قد تامر بشن هجوم كبير لسحق معارضة المجاهدين ، ونسبت صحيفة « صنداي تلجراف » إلى الرئيس الباكستاني قوله : إنه خرج بهذا الانطباع بعد مناقشة الوضع في افغانستان مع الزعيم السوفييتي عندما كان في موسكو لحضور جنازة الرئيس السوفييتي « كونستانتين تشرننكو » . ■■

وفي إطار المؤتمر اقيم جناح خاص بالمطبوعات حيث عرضت مجموعة من الكتب التي ترجمت من العربية إلى الماليبارية ومن بينها « كتاب الأمة » الثاني [الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف] الذي اعده الدكتور يوسف القرضاوي .

كما اقيم معرض احتوى على رسومات وصور ترمز للمراحل المختلفة لتاريخ المسلمين في الهند - بشكل خاص - واسباب انحطاطهم وتخلفهم عن ركب المدنية المعاصرة .

وكان من ابرز معالم المؤتمر ، اشتراك اعداد كبيرة من الأطفال والصبية حيث اعدَّ لهم برنامج خاص على قدر عقولهم واستعداداتهم .

وتجدر الإشارة إلى منظمة الطلاب الإسلامية فرع كيرلا ، التي تاسست سنة ١٩٨٣م تحت رعاية الجماعة الإسلامية ، بهدف تنشئة الطلاب والشباب على الإسلام وتوجيه طاقاتهم إلى مجالات البناء ، كما تهدف ايضاً - كما يقول السيد محمد جعفر رئيس المنظمة - لسد الفجوة بين الشباب المسلم والقيادات الإسلامية في الهند .

وتعتمد المنظمة الاتصال الشخصي كاهم وسيلة لتحقيق اهدافها وزيادة عضويتها .. وقد استطاعت في فترة وجيزة ان تلفت انتباه اعداد كبيرة من الشباب .. حيث انضم إليها - كما يقول السيد عبدالحكيم رئيس المنظمة ، فرع كيرلا - حوالي الفي طالب ممن كانوا يعملون في إطار منظمات طلابية ماركسية .

وتصدر المنظمة عدة مجلات مثل « ملا رواوزي » اي « الروضة » و « تت فور تات » وذلك لتنمية مواهب الشباب في مجال الكتابة .. كما انشات منظمة ثقافية باسم « التجمع الفكري » تهتم بتنظيم مسابقات في مجال تلاوة القرآن ، الرسم وكتابة المسرحيات وغير ذلك .

وفي ختام اعماله اتخذ مؤتمر منظمة الطلاب الإسلامية ، فرع كيرلا ، عدة قرارات من أهمها : التحذير من تعاطي الخمور وتفشي المخدرات بين قطاعات المجتمع المختلفة وخاصة الشباب .. ■■

في عالم الاقتصاد

إسبانيا والمجموعة الأوروبية

■■ أخيراً ، وبعد مفاوضات صعبة استغرقت ثماني سنوات ، وافقت السوق الأوروبية المشتركة (٢٩ مارس [آذار] ١٩٨٥م) على انضمام إسبانيا والبرتغال إلى عضويتها .. لتصبح المجموعة الأوروبية بذلك واعتباراً من أول كانون الثاني [يناير] ١٩٨٦م ، تضم (١٢) دولة بدلاً من (١٠) دول ..

وقد أثار هذا القرار قلق عدد من دول حوض البحر الأبيض المتوسط وبشكل خاص المغرب وتونس إضافة إلى الجزائر .. فهي تخشى من الآثار السلبية لتدفق الصادرات الإسبانية والبرتغالية في أسواق المجموعة الأوروبية على اقتصادياتها حيث تحتل مبيعاتها من المواد الغذائية إلى السوق المشتركة موقعاً أساسياً في عائداتها ..

وبالرغم من أن المجموعة الأوروبية ترتبط مع دول المغرب العربي ، كل على حدة ، باتفاقيات ثنائية ، إلَّا أنها لم تابه كثيراً لهذه الاتفاقيات عندما أصبحت المسألة أوروبية ـ أوروبية .. وذلك مع إدراكها لانعكاسات توسيع عضويتها على العلاقات والمصالح التي تربطها بدول المغرب العربي .. فتحوّل دول المغرب العربي إلى أسواق جديدة سيترتب عليه أشكال جديدة من العلاقات ستحرم المؤسسات والشركات الأوروبية من فرص الاستفادة من الأعمال والمشاريع التنموية في تك الدول ، كما هو الحال بالنسبة لإيطاليا التي تحاول النفاذ إلى أسواق المغرب العربي بهدف التعويض عن العجز التجاري الذي تعاني منه والذي يقدر بـ(٨٠٠) مليار ليرة إيطالية ..

ولكن هل تستطيع المغرب مثلاً أن تتحول بصادراتها الزراعية إلى أسواق أخرى غير السوق الأوروبية ؟ ..

يقول رئيس قسم المبيعات في وزارة التجارة المغربية : إن المغرب لا تستطيع الاستغناء عن السوق المشتركة التي تستوعب ثلثي صادراتها الزراعية وما يقدر بـ(١٢) الف طن سنوياً من الأسماك المعلبة .. كما أن إمكانية تحويل هذه الصادرات إلى أسواق أخرى كالخليج واليابان ينطوي على صعوبات كبيرة وكلفة أكبر وبالتالي قدرة أقل على المنافسة .

واثناء انعقاد المؤتمر الأخير لوزراء خارجية المجموعة الأوروبية الذي وافق على انضمام إسبانيا والبرتغال إلى المجموعة ، جرى تداول عدة أفكار بشأن تلافي بعض الخسائر الواقعة على دول المغرب العربي . وقد تمحورت هذه الأفكار حول نقطتين :

الأولى : تقديم تعويضات اقتصادية لهذه الدول حتى تتمكن من إيجاد بدائل جديدة « أسواق جديدة » وتنويع اقتصادياتها .. إلَّا أن ذلك ووجه بمعارضة شديدة ..

الثاني : تقديم ضمانات عملية بالتزام الدول المستوردة بحدٍ أدنىٰ من وارداتها الزراعية الحالية من بلدان المغرب العربي وفقاً للاتفاقيات الثنائية المبرمة معها .. وهو ما ترفضه إسبانيا والبرتغال لأنه يقلل من حجم استفادتهما من تدفق منتوجاتهما مثل

تحرك صيني في العالم الإسلامي

■■ تعكف الصين الشيوعية الآن ـ وبعد أن اعترفت صراحة بأن أفكار « كارل ماركس » لم تعد صالحة لإنسان الربع الأخير من القرن العشرين ـ على تنمية قوتها حتى تصبح ، قبل نهاية القرن الحالي ، القوة الكبرىٰ الثالثة ، وقد صرح الزعيم الصيني « دينج شياوبنج » أن بلاده تستمد قوتها من العالم الثالث ..

ويبدو أن بوابة العالم الإسلامي ستكون هي المدخل العريض والأهم لبلوغ الصين غاياتها .. ففي الفترة بين أواخر شباط (فبراير) وأواخر آذار (مارس) ١٩٨٥م ، قامت بعثة صينية رفيعة المستوىٰ ، يرأسها نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، بزيارة إلى كل من الكويت وإيران وتركيا والجزائر .. وقد تركزت مباحثات البعثة على استكشاف الإمكانات المتاحة لتوسيع التعاون الاقتصادي مع الدول الإسلامية وزيادة التبادل التجاري معها .

وادت زيارة البعثة إلى أنقرة لإقامة لجنة اقتصادية مشتركة تتولى تعزيز العلاقات التجارية بين البلدين وزيادة حجم التبادل التجاري الذي ارتفع من (٩ر٢١) مليون دولار (١٩٨٣م) إلى (٥ر٤٣) مليون دولار عام ١٩٨٤م .

وتذكر مصادر البعثة أن حجم المبادلات التجارية بين الكويت والصين بلغ (١٦٠) مليون دولار عام ١٩٨٣م .. وتعتزم الكويت تاسيس شركة بتروكيماوية صينية ـ عربية يكون مقرها في الصين وتهدف ـ بشكل رئيس ـ إلى استيراد حامض الفوسفور من تونس وتصدير الأمونيا المصنعة من الصين .

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة ، نجحت اتصالات صينية جرت خلال العام الماضي ، في إقامة أول علاقة دبلوماسية بين البلدين وفي عقد اتفاق على تأسيس غرفة تجارية عربية ـ صينية وبنك تجاري مشترك ، إضافة إلى وعد بإعطاء الشركات الصينية حصة أكبر في مشاريع البناء في الإمارات .

وتجري في الوقت الحاضر اتصالات لإقامة تعاون مصرفي بين البنوك العربية والصين . وقد سبق لمجموعة من المصرفيين العرب أن نظمت في كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٤م ، زيارة وفد صيني يمثل « مجلس تطوير التجارة الدولية » إلى كل من الإمارات والكويت والبحرين وعمان .. ويتوقف قيام هذا التعاون المصرفي على إقدام الصين على الترخيص لوحدات مصرفية خارجية « أوف شور » بالعمل من مراكز في الصين ، وتؤكد بعض الأوساط المصرفية أن الصين في طريقها لإصدار تشريع بذلك ..

ولإبداء حسن النيّة فقد شفعت الصين تحركها الاقتصادي بالإعلان عن قرب إيفادها « لبعثة صداقة إسلامية صينية » إلى الدول الإسلامية برئاسة رئيس الحكومة الشعبية في مقاطعة « نينكيا » الإسلامية ذات الحكم الذاتي ..

ولكن ، هل تقف الصين في علاقاتها مع العالم الإسلامي عند حدود التعاون الاقتصادي المتبادل أم أنها ستسعى لنشر أفكارها وقناعاتها الأيديولوجية والعمل على تربية من يخدم مصالحها من أبناء المسلمين ؟ ■■

زيت الزيتون والموالح والأسماك إلى دول السوق ..

وبالرغم من المشكلات العديدة التي اثارها انضمام إسبانيا والبرتغال للمجموعة الأوروبية بالنسبة لدول المغرب العربي إلا انه يمكن القول بان العامل الإيجابي لذلك انه طرح من جديد فكرة التعاون لإيجاد سوق إسلامية مشتركة على غرار السوق الأوروبية .. أو على اقل تقدير إرساء أسس تكامل اقتصادي إقليمي بين دول المغرب العربي كبديل عن السوق الأوروبية .. ويشير الخبراء إلى أن الجزائر التي تجلب معظم وارداتها من المنتجات الزراعية والأسماك من أوروبا وبقيمة تتجاوز مليار دولار سنوياً ، يمكن أن تستوعب بسهولة الجزء الأكبر من صادرات المغرب إلى السوق الأوروبية والتي ستتأثر سلباً بانضمام إسبانيا والبرتغال إلى هذه السوق ..

ويؤكد هؤلاء الخبراء أن هذا التكامل المطلوب بين دول المغرب العربي لن يتحقق إلا إذا استطاعت هذه الدول أن تتغلب على المشكلات السياسية المعلقة بينها .. ■■

قطر الأولى في احتياطي الغاز الطبيعي

■■ احتلت دولة قطر المركز الأول بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من حيث احتياطي الغاز الطبيعي خلال العام الماضي (١٩٨٤م) .. وجاء في تقرير أعدته مجموعات استشارية دولية في مجالي النفط والغاز ، أن احتياطيات الغاز الطبيعي بدولة قطر بلغت عام ١٩٨٤م ، (٣٤٠٠) مليار متر مكعب مقارنة مع (٣٢٠٠) مليار متر مكعب بدولة الإمارات ، (٢٢٠٠) مليار متر مكعب بالسعودية و(١١٠٠) متر مكعب بالكويت .

من ناحية أخرى ، حققت قطر أرقاماً قياسية من إنتاجها من الأسمدة الكيماوية خلال عام ١٩٨٤م .. حيث تراوح إنتاج « شركة قطر للأسمدة الكيماوية » من المصانع الأربعة التابعة لها بين ١٠٥٪ و ١١٥٪ من معدل الطاقة التصميمية لهذه المصانع .. ■■

●● أخبار قصيرة

●● من المقرر أن يسمح الاتحاد السوفييتي لحوالي ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين المحتلة خلال شهر نيسان [أبريل] الحالي .. وأعلن راديو العدو نقلاً عن « يوري شتيرن » مدير مركز الإعلام لليهود السوفييت ، أن المركز علم من مصادر في موسكو أن المسؤولين السوفييت أبلغوا (٢٨٠) عائلة يهودية - رسمياً - أنهم سيتلقون الوثائق الخاصة بالهجرة .

●● انضم حزب العمل الإسرائيلي - عملياً - إلى حليفه تكتل « الليكود » في إقرار مشروع إقامة شريط حدودي عازل داخل الأراضي اللبنانية غير مرتبط بالسلطة الشرعية لحماية قرى الجليل من عمليات القصف المنطلق من جنوب لبنان ..

وقد اتفق الحزبان على استكمال حلقات المشروع ، وتم بالفعل تسوية الخلاف على مدى المنطقة العازلة واستقر على (٣٠) كيلو متراً ، كما استقر الاتفاق على وضع ضفاف نهر الليطاني والأنهر الجنوبية الأخرى في نطاق الهيمنة الإسرائيلية الدائمة ولو لم يكن هناك وجود عسكري ، كما اتفق على أن تكون القيادة العسكرية في تلك المناطق خاضعة للعناصر اللبنانية المتعاونة مع إسرائيل ، وأن يعاد النظر تدريجياً في نوعية الكثافة السكانية المقيمة في منطقة الثلاثين كيلو متراً ، واعتماد سياسة التهجير الإجباري لدفع الفئات المناوئة للهيمنة الإسرائيلية إلى النزوح .. وكلّفت القيادة الإسرائيلية خبراءها في الشؤون الجغرافية والديمُغرافية بمهمة إجراء المسح السكاني لمنطقة الشريط الحدودي .

●● تم الاتفاق بين إيطاليا وإسرائيل على زيادة التعاون العسكري والأمني بينهما وعلى عقد اجتماعات دورية بين القادة العسكريين والمسؤولين عن الأمن في البلدين لتبادل الرأي والمعلومات ، ويشمل الاتفاق أيضاً تنمية التعاون في ميدان الإلكترونات والتقنية العسكرية المتطورة .. وتقول المصادر الإيطالية : إن الاتفاق تم خلال زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي « شيمون بيريز » إلى روما مؤخراً ، والتي التقى خلالها برئيس الوزراء الإيطالي ووزير الدفاع وبرئيس مؤسسة « فيات » التي تنتج - إلى جانب السيارات - الجزء الأكبر من إنتاج إيطاليا الحربى ..

●● على طريقة اليهود ، قام « أنطوان لحد » ، قائد ما يُسمى بجيش لبنان الجنوبي - المتعاون مع إسرائيل - بجولة في الولايات المتحدة لجمع تبرعات من الأوساط الكنسية والنصارى لصالح الجيش العميل ..

●● اعتمد مؤخراً في ميزانية الدفاع الأمريكية مبلغ (٨٩٤) مليون دولار لتطوير الأسلحة الكيميائية بعد أن كشفت أجهزة الاستخبارات « العلمية » بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أن الاتحاد السوفييتي قد حقق تفوقاً كبيراً في مجال الأسلحة الكيميائية والبكتريولوجية .

●● تصل ديون العالم الثالث إلى (٩٧٠) مليار دولار في نهاية هذا العام ١٩٨٥م بزيادة نسبتها ٨ر٤٪ بالمقارنة بعام ١٩٨٤م ..

●● يقوم معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - بالرباط - (المغرب) قريباً بتأسيس « بنك المصطلحات العربية » وذلك بعد انتهائه مؤخراً من وضع قاعدة معلوماتية للمعطيات المعجمية المتعددة اللغات « عربية وأوروبية » .. وكان المعهد - قبل ذلك - يقوم بتخزين معطياته المعجمية بمركز الحاسب الإلكتروني التابع للوكالة الأوروبية للفضاء بروما - إيطاليا - مما كان يتسبب في امتصاص قدر كبير من ميزانيته ..

القبس

درس الجنـــوب

■■ تساءلت « القبس » الكويتية ، « لماذا لم تستوعب الدول العربية الدرس الجنوبي حتى الآن ؟ وما الداعي إلى كل هذه البيانات والتصريحات والخطب ، طالما أنها لا تتحول إلى رصاصة واحدة في بندقية مقاتل ؟ وما جدوى الاجتماعات والندوات والمؤتمرات ، إذا لم تحرك جندياً واحداً إلى ساحة القتال ؟

وقالت الصحيفة : الدرس الجنوبي واضح : قاتل عدوك أينما كان ، وفي كل لحظة ، وبأي سلاح ، لا تدعه يرتاح أو ينام . احرمه نعمة الشعور بالأمان ، امنعه من الاسترخاء ، وأبقِه مشدود الأعصاب .. فينهار من تلقاء نفسه ويبحث عن « مخرج مناسب » للانسحاب .

المقاومة اللبنانية لم تثبت وجودها إلّا بالدماء الغالية ، وبالتضحية بالنفس ، وبالاستعداد لتحمل ردّات الفعل المسعورة . لقد نجحت بذلك في تحويل جنوبي لبنان إلى بؤرة نزف للدماء الإسرائيلية ، وفخ استنزاف للاقتصاد الإسرائيلي .

وما شراسة رد الفعل الإسرائيلي على عمليات المقاومة إلّا دليل ساطع على جدوى هذه العمليات . وهكذا لجأت إسرائيل في محاولة يائسة لإنقاذ هيبة جيشها ، إلى اقتحام القرى الآمنة والعمل فيها قتلاً وتدميراً .

وقد عبرت الصحيفة عن أسفها لأن ذلك لم يؤد إلى تبلور عمل عربي مشترك ، أو فردي ، للاستفادة من الانهيار المعنوي والاقتصادي في إسرائيل ، لإكمال رحلة المقاومة اللبنانية ، وجعل الجنوب اللبناني منطلقاً لتحرير الأرض العربية كلها .

وقالت : بل إن ما نشاهده الآن من تحركات سياسية يثير السخرية بعد أن تبلد شعورنا عن الإحساس بالألم ، فالتسابق قائم بين المعنيّين ، لا إلى ساحة القتال ، بل إلى الباب المؤدي إلى الصلح والاعتراف ، حتى لو لم نحصل على أبسط الحقوق . والصراع صراع بين مشاريع حلول ، لا بين خطط تحرير . ■■ [العدد ٤٦٢١]

The SUNDAY Times :

القبضة الحديدية

دليل الهزيمة المعنوية

■■ لقد كان الغزو الإسرائيلي للبنان فشلاً كاملاً . إن الجيش الإسرائيلي يستطيع ان يخوض حرباً سريعة تقليدية ولديه سلاح جوي متفوق ، ولكنه جيش ضعيف التجهيز مادياً وبشرياً ، ومخابراته التي طالما تحدث عنها ضعيفة أيضاً ، إذا ما تعلق الامر بحرب العصابات . وفوق ذلك فإن ممارساته تؤدي إلى ظهور المقاومة بدلاً من منعها .

ومع ان الجنرال « شارون » ـ مهندس الغزو ـ لا يزال يتحدث عن نجاحه ، إلّا ان حقائق الواقع لا تدعم ادعاءاته ، فلبنان اليوم أكثر عداء لإسرائيل من قبل ، والمقاومة الفلسطينية التي خرجت ورثتها مقاومة لبنانية اكثر عنفاً ، وفوق ذلك فإن الغزو لم يؤد إلى ظهور قيادة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تقبل بالتفاوض مع إسرائيل كما كانت تتوقع . والراي العام الإسرائيلي فقد شهيته للحرب ، بعد كل تلك الخسائر .

وهكذا لم يبق امام إسرائيل إزاء ذلك إلّا ان تحاول رفع معنويات جنودها باستخدام ما أسمته « القبضة الحديدية » ، حتى لا تتحول الهزيمة العسكرية إلى هزيمة معنوية . ولكن المصادر العليمة تفيد بان هجمات المقاومة قد اشتدت إثر تلك « القبضة » ، بل إنها تضاعفت . وقد اكدت مصادر إسرائيلية انباء رددتها مصادر القوات الدولية ، من ان هجمات المقاومة في النصف الأول من آذار [مارس] الماضي وصلت إلى (١٦٠) هجمة اي اكثر من الهجمات التي شنتها المقاومة طيلة شهر شباط [فبراير] . ■■

الإبـــداع .. والسياســـة .. والإيمـــان — الدستور

■■ وجهت صحيفة « لوموند » الفرنسية مجموعة من الأسئلة ، لعدد من المفكرين الفرنسيين ، تحت عنوان « جولات العقل في الأفكار والعلوم المعاصرة » ، وكان من بين أولئك المفكرين ، رجاء جارودي ، الذي أجاب بمقال طويل تحت عنوان : « الإبداع والسياسة والإيمان » ، وجاء فيه :

إن مهمة العقل الأساسية هي ان يطرح الأسئلة ، وأن يحل المشكلات ليتيح للإنسان أن يبني مستقبلاً كريماً ذا محتوى إنساني ، لكن العقل المعاصر لا يمارس هذا الدور اليوم ، لأنه أصبح عقلاً مادياً وضعياً ، مزعزعاً مضطرباً ، مفصولاً عن الجذر الأساس . إنه لا يسأل عن الغايات ، ولكن عن الوسائل فحسب ، إلى درجة الحرص على تملك اضخم الوسائل لتحقيق اتفه الغايات وأكثرها انحطاطاً : حتى لو كانت غايات إجرامية .

واضاف جارودي ، لقد وقع الخلط بين ما يمكن تسميته بالبراجماتية من ناحية ، وبين السياسة الانتهازية التي تركز السؤال على كيف ؟ وليس على لماذا ؟ وفي هذا الطريق انحطّ العلم واستحال إلى نوع من التعلم السطحي ، أما الفن فقد اصبح تكنوقراطية جافة ، بينما باتت السياسة مجرد ميكيافيلية انتهازية » .

اصبح العلم نوعاً من الخرافة تقوم على افتراض خاطىء : وهو أن باستطاعته ان يحل جميع المشكلات ، وأن أي شيء لا يخضع للقياس او يجرب في المختبر فهو غير موجود ، وهذا المنطلق المادي يستبعد كل المعاني والأبعاد الجميلة في الحياة الإنسانية كالحب والإبداع والإيمان .

اما التكنوقراطية الحديثة فقد اصبحت ديناً جديداً يمكن تسميته بدين الوسائل ، وهو يفترض أن كل شيء يمكن إيجاده من الناحية التكنيكية فهو ضروري ، بل مرغوب فيه . وهذا النمط من العقلانية المادية انتج شر أنواع الوسائل غير العقلانية ، بما فيها الأسلحة النووية وحرب الكواكب المتوقعة .

اما الميكيافيلية فهي نوع من الحيوانية السياسية التي تستبيح كل الوسائل للوصول إلى القوة ، ولا يحكمها أي ميزان اخلاقي يمليه التفكير في الغايات النبيلة التي يراد تحقيقها للمجتمع الإنساني » .

اقترح « جارودي » في نهاية إجابته ضرورة الربط بين العلم التجريبي الذي يكتشف الوسائل وبين الحكمة التي تكتشف الغايات السامية ، وبمعنى آخر : ان يصعد الإنسان المعاصر من الغايات الدنيا إلى غايات أكثر سمواً في اتجاه الغاية الأخيرة . إن احد مشاكل المعرفة المعاصرة انها تعزل العلم عن الحكمة وتعزل الحكمة عن الإيمان ، ذلك لأن العلم في بحثه عن الوسائل ، والحكمة في بحثها عن الغايات ، كلاهما يظل عاجزاً عن إدراك السبب الأول أو الغاية الأخيرة ، وهي التي يستطيع الإيمان وحده ان يدركها ويفتح لها المجال الرحب .

إن الإيمان ليس قيداً يحد من انطلاق العقل ، بل هو الذي يمنعه من الانغلاق على نفسه او القناعة بما وصل إليه ، ويفتح امامه آفاقاً ارحب من السمو والاتساع .

ويرى جارودي ان المناقشة حول دور العقل المعاصر ليست مناقشة أكاديمية فحسب ، بل قضية باتت تؤثر على مستقبل الإنسانية باسرها ، ذلك لأن العقل المادي أصبح في طريقه لاغتيال الأجيال القادمة ، وتدمير منجزات المسيرة الإنسانية التي استغرقت ملايين السنين . ■■ [العدد ٦١٣٨]

THE OBSERVER

إسرائيل والانسحاب إلى الزاوية المظلمة

■■ من بين النتائج بعيدة المدى للغزو الإسرائيلي للبنان ما لحق بمعنويات الجيش الإسرائيلي من هبوط، قابله ارتفاع المعنويات العربية. لأول مرة منذ عام ١٩٤٨م يثبت العرب أنهم ند للجيش الإسرائيلي، إن لم يكن أفضل منه. كانت الحروب العربية الإسرائيلية السابقة تنتهي قبل أن يدرك العرب ما حدث، حتى ترسخت في الأذهان صورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر. ولكن المقاومة اللبنانية أثبتت العكس، مما طرح تساؤلات حول مصداقية العقائد العسكرية التي سارت عليها الاستراتيجية الإسرائيلية عقوداً من الزمن.

من هنا حرصت إسرائيل على ألَّا يتحول انسحابها من جنوبي لبنان إلى فضيحة، فشنت سلسلة هجمات على القرى والمدن الجنوبية، في إطار ما أسمته سياسة «القبضة الحديدية»، وقد استمر القادة الإسرائيليون يتحدثون، وكأن شيئاً لم يحدث: حرب ضد الإرهاب، مناطق أمنية، خطوط حمراء، ميليشيات محلية، الملاحقة الساخنة ... إلى آخر ما هنالك من أساليب أثبتت عدم جدواها.

لكن وزير الخارجية الأسبق «أبا إيبان» اعترف أنه «بدلاً من السبعة آلاف مقاتل فلسطيني الذين خرجوا من لبنان بفعل الغزو، يوجد الآن (٧٠٠) ألف لبناني في الجنوب، سوف يستمر عداؤهم لإسرائيل لأجيال قادمة».

لقد تجاوزت إسرائيل بفعل تفوقها العسكري الحد في طموحاتها، فلم تعد تكتفي بردع العرب، والقيام بهجمات وقائية ضدهم، وإنما أرادت في ظل «شارون - بيغن» تشكيل خارطة المنطقة على هواها. ولكن المغامرة فشلت، وأُجبرت إسرائيل على التراجع إلى الوراء.

تلك التطورات طرحت سؤالين: الأول عمَّا إذا كانت إسرائيل ستعود إلى عقائدها الأمنية السابقة تحتمي بها، أم أنها بحاجة إلى عقائد جديدة؟ والثاني يتعلق بمستقبل الأراضي المحتلة.

بالنسبة للسؤال الأول: أثبتت الأحداث أن إسرائيل لم يعد بإمكانها شن حرب طويلة الأمد، أو الاعتماد على الأسلحة المتقدمة للسيطرة على الأرض التي تحتلها. ثبت أن للقوة الإسرائيلية حدوداً.

بالنسبة للسؤال الثاني هناك أمران: الأول يتعلق باحتمال أن يستلهم أهل الضفة الغربية وقطاع غزة الأنموذج اللبناني للمقاومة، وهذا أمر محتمل خاصة مع انتشار الأفكار الإسلامية بين جيل الشباب هناك. والثاني هو صعوبة التوصل إلى تسوية سلمية للقضية في ظل التفوق الإسرائيلي، وهذا بدوره يغذي الاحتمال الأول، وهو انفجار المقاومة في الأرض المحتلة. ■■

The Washington Post

المغامرة الإسرائيلية والمسؤولية الأمريكية

■■ لقد اتخذت إسرائيل قراراً بوضع حد لمغامرتها في لبنان. ولكن قادتها يصرون على أن الانسحاب في ظل الهجمات الفدائية يعتبر تشجيعاً ومكافأة لـ «الإرهاب»، ومثل هذا المنطق استخدمته الولايات المتحدة قبل اتخاذ قرارها بسحب «المارينز» من لبنان. ولكن ليس هناك ما يدل على أن إسرائيل استفادت من «الحصافة» الأمريكية. كما أنها لم تستفد من التجربة الأمريكية في فيتنام. الأمر ليس غريباً فعندما تخدع حكومة شعبها في قضايا أساسية تتعلق بالحرب والسلام، فإنه يُحتاج لسنوات حتى يدرك الشعب الخدعة.

لقد احتاج الإسرائيليون إلى أكثر من ثلاث سنوات ليدركوا العواقب الوخيمة لمغامرة «شارون» في لبنان؛ تلك المغامرة التي تعتبر أسوأ كارثة في تاريخ إسرائيل، وهي كارثة جلبتها إسرائيل على نفسها، ولم يجلبها عليها أحد.

هناك فارق بين التورط الأمريكي في فيتنام والتورط الإسرائيلي في لبنان، فرغم هزيمتها، ظلت أمريكا بعد الانسحاب بعيدة أكثر من عشرة آلاف ميل عن فيتنام، ولكن إسرائيل لا تتمتع بهذه الميزة: فهي تعيش على حدود من حوَّلتهم إلى أعداء لها، بعد أن كانت تتوقع أن يستقبلوها بالزهور.

لقد ازدهرت «الأصولية الإسلامية» في جنوبي لبنان، ودخلت في حلقة عنف وعنف مضاد مع إسرائيل، وعلى إسرائيل أن تتوقع بعد انسحابها، استمرار الهجمات على مستوطناتها في الشمال.

كيف جلبت إسرائيل على نفسها هذه الكارثة؟ لقد استهترت بالمشاعر الدينية في جنوبي لبنان، وانتهكت حرمة المساجد، وبدلاً من ترتيب إجراءات أمنية معقولة، آثرت الاعتماد على جيش لبنان الجنوبي النصراني. كيف حدث ذلك؟ إنه بسبب الغزو الذي رافق العملية كلها. ذلك الغزو الذي جعل أهداف إسرائيل الاستراتيجية من الغزو، أشبه بأحلام يقظة.

تتحمل الولايات المتحدة قدراً من المسؤولية. فقد تم الغزو برضاها، وبدعم منها، ولا يزال بعض أنصار إسرائيل في الإدارة الأمريكية يزعم أن الغزو كان ناجحاً. وهذا الموقف الأمريكي هو بعض من ممارسات الإدارة الأمريكية في المنطقة، تلك الممارسات التي تتسم بالتسامح مع إسرائيل، والالتزام بدعمها بغض النظر عن علاقة ذلك بالمصالح الأمريكية، وبمدى تأثيره عليها. وموقف مثل هذا يرقى إلى درجة التواطؤ. ■■

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريَال قطَري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريَال قطري

• الفائز الثالث
مائتا ريَال قطَري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمَّة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

حل مسابقة العدد ٥٤

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ المن : طعام حلو يسقط على الشجر فياكله الناس .
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ٥٧) .

○ العفو : السهل والميسور من اخلاق الناس .
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) .

○ مكين : خاص المنزلة .
﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف : ٥٤) .

○ تترى : تتتابع (من المواترة وهي المتابعة) .
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون : ٤٤) .

○ الكُنَّس : المستترات .
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (التكوير : ١٥ ـ ١٩)

٢ ـ سبب السرية الثانية التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى بطن اضم هو إيهام عيون قريش عن توجه الرسول ﷺ إلى فتح مكة .

وكانت موتة محلم بعد سبع سنوات وحين دفن لفظته الأرض فاعادوه مرات حتى سطّحه قومه في ارض جبلية وردموا عليه بالحجارة (وكان محلم قتل عابر بن الأضبط بعد ان ألقى على المسلمين السلام) .

٣ ـ الصحابي الجليل هو مهن بن عدي ، رضي الله عنه .

٤ ـ الشاعر هو عبد الرحمن صالح العشماوي . ومناسبة القصيدة هي تقديم التحية للمجاهد الإسلامي عبد رب الرسول سياف رئيس اتحاد المجاهدين الأفغان .

٥ ـ [المؤلف] هو : ابو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي .
[الكتاب] : هو : الرسالة .

٦ ـ يغلق النبات مسامه أثناء الليل فيحتفظ بما فيه من ماء فتكون الثمار ممتلئة بالماء ، جميلة ، غضّة ، لذلك يقطف المزارعون ثمارهم قبل شروق الشمس فلا يفقد الثمر ما فيه من ماء بفعل التبخر والنتح من المسام .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٤

الفائز الأول :
● علي إبراهيم علي الطاهر (السودان)

الفائز الثاني :
● رمضاني عز الدين (الجزائر)

الفائز الثالث :
● سيد محمد بن الشيخ (موريتانيه)

الفائز الرابع :
● محمد بن مبروك شيبات (تونس)

الفائز الخامس :
● هديل مروان جرار (الإمارات العربية المتحدة)

الفائز السادس :
● فلاح عُلي باير (الأردن)

الفائز السابع :
● المقدم المقدم حسن (المغرب)

الفائز الثامن :
● محمد عبد الحميد موسى (ليبيا)

الفائز التاسع :
● وسامة الشافعي عبد الهادي (مصر)

الفائز العاشر :
● عمر محمد إسماعيل (الصومال)

مسابقة العدد ٥٦ السنة الخامسة

١ - قامـــوس المســـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● سِجّيل	: الصلب من الحجارة	اللهيب	اسم مكان	
● مؤصدة	: مسعـرة	مطبقـة	خامدة	
● الدَّرْك	: الظـلام	القـاع	الطبقات بعضها دون بعض .	
● جفان	: قصاع كبار	حفائر	عيون	
● زنيـم	: شرير	متقلب الأحوال	ملصق بالقوم وليس منهم .	

٢ - موقعة كانت بين المسلمين والمغول في سنة اثنتين وسبعمائة للهجرة حدثت بعد معركة عين جالوت ، أراد بها (قازان بن هولاكو) تحطيم سلطان المسلمين في مصر واسترداد الأرض المقدسة وتسليمها إلى النصارى .
حين رأى ابن تيمية الخوف على الأمراء والناس أخذ يهيىء الناس لخوض المعركة وألهب عواطف الأمة ، وأقنع الأمراء بالتصدي للأعداء حتى تعاهدوا وتحالفوا .. وأخذ يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرَّة منصورون .
خسر المسلمون أول الأمر ، لكنهم انتصروا بعد ذلك وترك المسلمون للتتار ثغرة في المسيرة ليفروا منها فتتبعوهم فقتلوا وأسروا منهم الكثير .. ووصل التتار إلى الفرات ، فلم يقدروا على عبوره لزيادة مائه .. فرح السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمسلمون بالنصر ، ودخل السلطان مصر ظافراً ومعه أسرى المغول يحملون رؤوس قتلاهم .. ما اسم هذه الموقعة ؟

٣ - مـــن هـــو ؟

- آخى الرسول ﷺ بينه وبين معن بن عدي .
- شارك في غزوة بدر ، وحين خلع عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه درعه وأقسم عليه أن يأخذها ، أخذها ولبسها ، ثم نزعها وقال لعمر : إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك ، وخرج إلى القتال .
- في اليمامة حين رأى هزيمة المسلمين قال : « اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة والحكم بن الطفيل » وحمل العلم وتقدم يضرب يميناً وشمالاً حتى قُتل » .
- حزن عليه عمر رضي الله عنه وقال : « رحمه الله ... سبقني إلى الحسنيين ، أسلم قبلي واستشهد قبلي » .

٤ - مـــن القـــائل ؟ وإلى من يتحـــدث ؟

جراحٌ تَوالى نَزْفُها وخريرها ... وَأنَّاتُ شاكٍ ليس يُدْرى مَصيرُها
عَلامَ ؟ على القُدْسِ المُعَنَّى تَحوطُهُ ... عصابةُ سوءٍ لا تنام شُرورُها
ذئاب ترى العدوان ديناً ومذهباً ... وَيَرْجِعُ بالفَخْرِ العريض غُرورُها
إليك .. وما أنْفَكُّ اجتاز رحلة ... يشق على غير المشوق عبورها
فداؤك (إن عَزَّ الفداء) نفوسُنا ... وكل مناها أن يُفَكَّ أسيرها
ولا بد أن تنجاب عنك سحابة ... وياتي بما سَرَّ النفوس بشيرها

٥ - مؤلـــف وكتـــاب :

[المؤلـــــف] :

- ولد في بغداد عام (١٦٤هـ) .
- كان أول عهده بالعلم في مجلس أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة .
- أخذ عن الشافعي الفقه أولاً ، ثم أخذ الشافعي عنه الحديث .
- من تلاميذه البخاري ومسلم .
- قال الشافعي عنه : (خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من ... ...) .
- توفي ببغداد عام (٢٤١هـ) .

[الكتـــاب] :

- أورد فيه مؤلفه أربعين الف حديث ، منها عشرة آلاف مكررة .
- رتبت أبوابه على أساس جمع الأحاديث التي رواها كل صحابي في باب منفرد .. رغم اختلاف موضوع الأحاديث .
- قال الذهبي وابن حجر ، وابن تيمية والسيوطي : إن الكتاب فيه من الأحاديث (الصحيح) و (الضعيف) وذلك رداً على من قال بوجود (الموضوع) في الكتاب .
- قال عنه مؤلفه : « ما اختلفتم فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه ، وإلّا فليس بحجة » .
ما اسم الكتـــاب ومن هو مؤلفـــه ؟ .

٦ - ميناء إسلامي مغربي ، كانت قبل الفتح الإسلامي للأندلس منزلاً لملك « غمارة » لوليان ، ثم أخذها المسلمون بعد (طنجة) صلحاً ، احتلها البرتغاليون بقيادة يوحنا الأول (١٤١٥م) فقاموا ببناء حوائط عالية أقرب إلى الحصون ، واتخذوها قاعدة لمهاجمة المدن المغربية . يرجع اسمها إلى رقم (سبعة) العربي ، إذ أن الجيب الذي تقوم عليه مكون من سبعة تلال ، ويطلق عليها باللاتينية لقب الإخوة السبعة ، وقد ولد بها القاضي عِياض .
حاول المسلمون استردادها كثيراً ، لكنهم لم ينجحوا ، وفي (١٦٦٨م) أصبحت تحت الاحتلال الإسباني طبقاً لمعاهدة لشبونة بين البرتغال وإسبانيا ، ويمثل المسلمون فيها حوالي سبعين في المائة .. ما اسم هذه المدينة الإسلامية المحتلة ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

- □ دعوة إلى كسر الحواجز (عن الشيخ النورسي) — الدكتور عماد الدين خليل
- □ الاجتهاد طريق بنّاء الشخصية الإسلامية — الدكتور محمد إبراهيم الفيومي
- □ المنهج ووظيفة الجامعات — الدكتور عباس محجوب
- □ أطفالنا بين التأثير السلبي والإيجابي للتلفزيون — الدكتور محمد محمود المرسي
- □ الردع الإسلامي في غزوتي بدر والفتح — اللواء الركن جمال الدين محفوظ
- □ أين الخلل ؟ إلى الأمل والعمل — الدكتور يوسف القرضاوي
- □ الأدب الإسلامي وقضية الإبداع — الدكتور نجيب الكيلاني
- □ كليات الإلهيات في تركيا ... الدور المطلوب لمؤسسات التعليم في مجال التربية الإسلامية (استطلاع مصور)

خواطر وأفكار

الزاد الثقافي والقتلة المجرمون

□□ عندما تنهزم الأمم ، وتسقط تحت أقدام الطغاة ، تحتاج إلى زاد ثقافي جادّ وخاص ، يؤجج فيها نار الجهاد ، ويشعل عاطفة الحماس والوطنية ، ويدفعها دفعاً قوياً إلى الثأر ، ويزرع في نفوس أبنائها حب الدين والوطن ، ويمجد البطولات ويقدس الجهاد ، ويكون لها خير باعث على الاستشهاد ، مشجعاً على مواقف القتال والانتصار .

وأمتنا الإسلامية الآن تعاني من احتلال غاشم لبعض أجزائها ؛ فاليهود في فلسطين منذ سنين ، وقد ضموا إليها أجزاء أخرى من جسد الأمة الإسلامية ، والروس منذ خمس سنوات في أفغانستان المسلمة ، وهم مصممون على إلحاقها بأخواتها المسلمات المعذبات اللائي سقطن من قبل مثل بخارى وسمرقند .

أما عن الاحتلال الاقتصادي والثقافي فلا يكاد يفلت منه قطر من أقطار هذه الأمة .

من أجل هذا فإن أمتنا في حاجة إلى زاد ثقافي متميز ، في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها ، يستطيع أن يقوم بدوره خير قيام ، في بعث هذه الأمة من جديد ، ينهض بأبنائها ، ويربيهم التربية السليمة ، التي تدفعهم إلى الأمام ، ولا تعود بهم إلى الخلف .

وعبء تقديم هذا الزاد الخاص والهام يقع ـ بلا شك ـ على عاتق الأجهزة الإعلامية في الدول الإسلامية ، فهي القادرة على الأخذ بيد الجماهير ، وتثقيفها ، ونفخ الروح فيها ، وتعبئتها عسكرياً وسياسياً وثقافياً وأخلاقياً ودينياً ، حتى تستطيع أن تحرر أرضها ، وتقهر غاصبيها .

ولكن الزاد الذي يقدم للجماهير المسلمة الآن ـ في معظمه ـ يقتل ولا يحيي ، ويهدم ولا يبني ، ويؤخر ولا يقدم ، ويجلب الهزيمة والعار ، ويبعدنا قروناً عن النصر . بل إن الأمة الإسلامية ـ بهذا العفن الثقافي الذي يقدم إليها في أجهزة الإعلام ـ تقدم نفسها غنيمة باردة لعدوها وهي طائعة مختارة دون أن يخسر عدوها رصاصة واحدة ! .

إن هذا العفن الثقافي الذي يقدم للجمهور المسلم في بعض أجهزة الإعلام مسموعة ومرئية في كثير من الدول الإسلامية : لهو طوفان قادر ـ إن لم يُتدارك الأمر بسرعة ـ على تقويض أركان هذه الأمة ، وهدم شبابها ، وتفريغه تفريغاً كاملاً من كل خلقٍ كريم ، ودين قويم .

إن أمتنا في هذه المرحلة العصيبة لفي أمس الحاجة إلى القدوة الحسنة ، والأنموذج الطيب والمثال الصالح .

فإن درهماً واحداً من المثال الصالح خير من قناطير الوعظ الجميل ـ كما قيل ـ إنها أيضاً في حاجة إلى أناشيد الحماسة ، وتمثيليات البطولة ، ومسرحيات الغضب والجهاد ، وأفلام القوة والشجاعة ، وسيرة السلف الصالح وأبطالنا الأولين . وهذا الزاد النافع ـ إن تهيأ ـ قادر على أن يربي هذه الأمة تربية جديدة ، ويبعثها بعثاً قوياً ، ويجعلها تقذف بأنفسها في ساحات الوغى شجاعة مستبسلة لا تبالي الموت في سبيل الله .

وإننا أمام عدو متربص بنا ، كنا ننتظر من أجهزة الإعلام هذا الزاد الثقافي النافع ، ولكن .. وا أسفاه ! لقد راحت بعض هذه الأجهزة بكل ما أُوتيت من قوة هادفة شريرة تزودنا بأغاني الخليعين والخليعات ! ، وتقدم لنا القدوة من الراقصين والراقصات ! وتعرض علينا المناظر العارية ، والصور الفاضحة ، وقيم الضياع لكي نتحدى بها عقائد العدو ونظرياته !!.. هذا في الوقت الذي توأدُ فيه الدعوة الإسلامية ، ويُضطهد الشباب المسلم ، وتُوصَدُ أمامه كل الأبواب !

إن إعلامنا في كثير من الدول الإسلامية في أيدٍ غير أمينة ، فقد سيطرت عليه عقليات مريضة أسيرة الحضارة الغربية المادية ، فهي لا تقدم للجماهير المسكينة إلَّا الأنموذج الغربي الفاسد ، بهدف زحزحة القيم الإسلامية ، وإبعاد التراث الأخلاقي عن طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للشعوب الإسلامية .. إنها مؤامرة !

ومن العجيب الغريب أن هذه العقليات العابثة بمصائر الأمة هي التي تلقى الاحترام والتقدير ، وتحظى بالمكافأة والتكريم !

إن أعداء الإسلام يبذلون كل طاقاتهم في إفساد عقولنا بأفكارهم وإعلامهم الفاسد ؛ إنهم حاقدون علينا وعلى الإسلام . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (النساء : ٨٩) .

إنني أقول لهؤلاء ، إنكم تقتلون أمة بأسرها ، وذلك لأنكم تهدمون الضمائر ، وتخرِّبون النفوس ، وتذبحون الأرواح ، عن عمْدٍ وسبق إصرار وهذا أشد وأخطر وأفظع عقوبة من قتل الجسد ، فخافوا الله ، أو انتظروا عقابه :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء : ٩٣) وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الصواب . □□

ناهد عمر سليمان

صدر:

كتاب الأمة Al Ummah

١٠

التراث والمعاصرة

الدكتور أكرم ضياء العمري

■ يمكن للجامعات الإسلامية ان تؤدي دوراً كبيراً في تحديد ملامح المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والحفاظ على تميزها ووحدتها وتجانسها الروحي والفكري والعلمي، وتكاملها الجغرافي والاقتصادي، ويمكن ان تبرز على الصعيد العالمي كتلة قوية متضامنة لتؤثر في واقع العالم المعاصر ■

■ إن الثقافة الإسلامية تمر بازمة قوية تتمثل في غياب حركة النقد الواعية التي تحكم على الأعمال الفكرية والادبية، مما ادى إلى فوضى فكرية تتمثل في ضياع مقاييس التقويم، وكثرة التكرار في الأشكال والمضامين، وغلبة السطو الأدبي من «الجدد» على «القدامى» ومن «المبتدئين» على «الراسخين» ■

■ إن تراكم المعرفة يحتاج إلى تخطيط بحيث يبني اللاحق على السابق، ويضيف المتاخر على المتقدم، وبذلك تتراكم المعرفة ويحصل التقدم العلمي. ومن اجل ذلك لابد من وضع استراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية من اجل نموها ولحاقها بالفكر المعاصر من حيث تناول مشاكل الحياة المعاصرة بشمول وعمق وإبداع وابتكار، ويحتاج ذلك إلى رسم المسارات، وتحديد الأهداف، وتجنيد الوسائل ■

■ قضية التراث نفسها لم تنج من آثار الغزو الفكري فقد طرحت احياناً بمنظار غربي بحيث احتل الفلكلور الشعبي مساحة واسعة مما حوّله إلى نمط من المتعة والثقافة التي اضافها الغربيون انفسهم إلى انواع الترف الفكري الذي يعيشونه بعد ان حققوا احلامهم بالثروة والسيطرة على عالم اليوم ■

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

عصام عزوز

العدد ٥٦ السنة الخامسة شعبان ١٤٠٥هـ

Al Ummah - مجلة الأمة